الدكتور
جواد جعفر الخليلي

تاريخ الخلفاء

[illegible]
بيروت - لبنان

تاريخ الخلفاء

الدكتور
جواد جعفر الخليلي

تاريخ الخلفاء

(٢)

الإرشاد للطباعة والنشر
بيروت - لندن

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحیم



نبذة من حياة المؤلف ﷺ

هو الدكتور جواد جعفر الخليلي، حفيد آية الله الحاجّ الميرزا حسين الخليلي، نجل الميرزا خليل؛ أحد المراجع في القرن الـ ١٤ الهجري.

ولادته: ولد في مدينة النجف الأشرف في ١٩١٤/٦/٢٤ م.

أُسرته: أُسرة عريقة في النجف الأشرف مشهورة بالفقه والأُصول والطبّ ولها آثار باقية، ومنها: مدرسة الخليلي العلمية في النجف الأشرف.

نشأته: نشأ في مدينة النجف الأشرف.

دراسته: دراسة علمية وأدبية في الطبّ والحقوق وعلم النفس.

مسكنه وإقامته: العراق، ثمّ انتقل إلى إيران وأقام بها سنين عديدة، ومنها هاجر مع أهله وأولاده إلى كندا، وأقام في مدينة أُوتاوا.

أعماله الإدارية: تقلّد مناصب في الشؤون الطبيّة خلال إثني عشرة سنة. كما شغل منصب القضاء في طهران لثلاث وعشرين سنة، وبعدها مارس المحاماة.

هوايته: الشعر، والمطالعة، والكتابة، والبحث والتأليف.

له: ديوان شعر باللّغة العربية، وله دائرة معارف الأُمّ والطفل، وتقع في خمسة أجزاء.

كما كتب في علم النفس والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح.

وله: الحكومة العالمية المُثلى ثلاثة أجزاء طبعت في بيروت.

وله: موسوعة المحاكمات في عشرة أجزاء:

جزءان في حياة رسول الله ﷺ.

وجزءان في حياة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام. والجزء الخامس والسادس والسابع عن أبي بكر، وعمر، وعثمان.

والجزء الثامن من الموسوعة يحتوي على ذكر الناكثين، والمارقين، والقاسطين.

والجزء التاسع والعاشر من الموسوعة حوار حول العلل والأسباب التي أدّت إلى انقسام الأُمّة الإسلاميّة وتدهورها، مع محاكمة المسبّبين.

أولاده: الدكتور باسم: طبيب وجرّاح، الدكتور عاصم: أُستاذ جامعة في الهندسة الكهربائية، سالم: مهندس في الهندسة المعمارية، حسين: مهندس كمبيوتر، علي: طبيب، حسن: بكالوريوس في الإدارة والحسابات. وله ثلاث بنات حاملات شهادات عالية ومتزوّجات.

زوجته: علوية هاشمية حسينية من خيرة السلالات، ولها اليد الطولى في تربية أولادها وبناتها.

وفاته ومدفنه: انتقل إلى الرفيق الأعلى في مدينة أُوتاوا بكندا، وكانت وفاته في يوم الخميس ١٧ محرّم الحرام عام ١٤١٩ هـ ١٤/٥/١٩٩٨ م، ونقل جثمانه إلى مدينة مونتريال، ودفن فيها. تغمّده الله برحمته الواسعة، وحشره مع الرسول وأهل بيته الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

لابدّ لنا عند البحث عن الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب (رض) أن ندرس حياته وصفاته وما امتاز به من الخلق والخصال والسلوك، وسبر أفعاله وأقواله ونفسيّاته، وكيف بلغ بها ذلك الصحابي، من بين الصحابة جميعاً، فأخذ بزمام الحكم، وبعدها نرى من الموازين العقلية والتجارب التاريخية درجة آثاره في الأُمّة الإسلامية وسير حياتها، وتأثيره في الحياة الاجتماعية يوم كان، والأثر الذي ألقاه في الأُمة العربية والإسلامية والعالم.

وللوصول الى درك هذه الحقائق علينا أن ندرس حياته قبل الإسلام، ونوع حياته الاجتماعية، وسلوكه وتربيته، ومنطقه، والنوادي التي كان يتردد عليها، والأفراد الذين كان يعاشرهم، وسيرته البيتيّة، ومقدرته الفكرية والبيانية، ثم نتساءل:

هل كان قبل إسلامه من المشركين أو الحنفاء أو اليهود أو النصارى؟ وكم من سنيّة كانت على تلك الشاكلة؟

ومتى التحق بالإسلام، وكم سنة تربّى ودرس الدين الحنيف؟

وكيف كانت معاشرته في عهد إسلامه:

هل بقي على عقائده السابقة أم أنه ساير الرسول واعتنق الدين الإسلامي

اعتناقاً صحيحاً فلم يتداخله الشك والريبة بالرسول؟

وكم هي درجة تضحيته في سبيل الإسلام بالجهاد بالنفس والمال والفكر؟

وهل كان أوقف حياته على تعاليم الإسلام وتلقّى أحكام الله، وفهم وأدرك مجمل القرآن ومتشابهه. وسنن الرسول الأعظم وأحاديثه وتعليماته التي كان يفيض بها في كلّ صغيرة وكبيرة على من لازموه من الصحابة وحفظوا أحاديثه وتشبّعوا بتعاليمه؟

أم كان هو ممّن غاب عنها، ولهّاه الصفق في الأسواق والتجارة والبيع والشراء؟ ثم نبحث عنه عند وفاة رسول الله؛ حين مرضه وبعد موته، وفي عهد الخليفة الأول.

ونرى في ذلك حياته الجديدة التي كانت له اليد الطولى في إنشائها وتوطيدها.

ونراه في اتّباعه أُسس الشريعة وأُصول الدين، وحدود الله، وسنن نبيّه، واتّباع تعاليمه، ومن بعدها نعطف على عهد خلافته وكيف أصبح خليفة.

أكان ذلك نصّاً من الله أم الرسول؟ أم صحابة رسول الله وعقلاء القوم.

أم هو تدبيرٌ بينه وبين صاحبه؟!

وهل فُرضت على الأمّة خلافته هذه فرضاً؟

وكيف قابلها الصحابة والمسلمون؟

وكيف عامل عمر الصحابة عندما صارت إليه الأُمور؟

وكيف سار في تعاليم القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وتعاليمه؟

وماذا كانت آراؤه وفتاويه وأحكامه.

هل سار بها طبق كتاب الله ورسوله، أم خالفها.

وهل كان يحلّ له ذلك؟ وكيف سارت الأُمور في حياته.

وما هو الأثر الذي تركه بعد مماته؟

وما كانت أغراضه وأهدافه، وما لحق المسلمين من سياسته؟ وسنبدأ أولاً بسابقته:

١ـ سابقة عمر في الجاهلية:

ليس هناك شرح تاريخيّ نستطيع أن نعرف منه عن حياة الخليفة الثاني سوى بعض النبذ المجملة عنه، التي نستطيع أن نستدلّ بها على حياته الممزوجة بالفقر، وامتهانه طرقاً للعيش لايبرز بها في المجتمع القرشي بما يجلب له أنظار قريش لا من حيث المحتد والشرف العائلي الرفيع.

ولا الثروة حتى البسيطة، ولا اللباقة والشجاعة الأدبية والبدنية.

أن نجده مرة يقوم هو وأبوه كحطّاب يحمل حزمة الحطب على رأسه مع أبيه الحطّاب، وما منهما الآ في نمرة (والنمرة: بردة صوف، وفي فائق الزمخشري: هي بردة تلبسها الإماء (لاتبلغ رسغيه)[١].

كما نجده في أُخرى «يرعى الإبل في وادي ضجنان، يُرعب ويُتعب إذا عمل، ويضرَب إذا قصَّر»[٢].

---

(١) تجد ذلك في «العقد الفريد» ١: ٩١، و«شرح ابن أبي الحديد» ٢: ٥٨، و«فائق الزمخشري» ٢: ٢٨.

(٢) كما جاء في «الاستيعاب» ٢: ٤٢٨، و«الرياض النضرة» ج٢ ص٥٠، و«تاريخ أبي الفداء» =

كما جاء في «الفتوحات الإسلامية» ١٢: ٤٢٣، و«الإصابة» ٤: ٢٩، و«الاستيعاب» هامش الإصابة ٤: ٢٩١ أنه كان مرة يقف في سوق عكاظ ويسمى عميراً، وبيده عصا ترع به الصبيان.

وإبّان إسلامه امتهن البرطشة يلهيه عن أخذ الكتاب والسنة الصفق بالأسواق. كما كان في أخرى يبيع الخيط والقرضة بالبقيع(١).

ومما لاشك فيه أن سابقة أبي بكر في الإسلام، التي مرّ ذكرها هي أقدم وأحسن من سابقة عمر، ولم يكن لعمر سوابق تطرى في الجاهلية، وإذا عدنا للمناظرة التي أقامها المأمون، والتي ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد، وتكلّم فيها عن سابقة أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة، وأنها جميعاً كانت لاتُعدّ شيئاً بالنسبة لسابقة علي في الاسلام، وقد رأينا في ما مرّ في أبي بكر أن سابقته لاتعدّ ولا تطرى كما لعليّ. فبالأحرى أن عمر ـ وهو أقل من أبي بكر، وأنه طوى أكثر حياته في الجاهلية، وكان من مشركي قريش، وكان من أولئك الذين عرفوا بالقسوة والشراسة.

وقد قتل ابنه مريضاً يوم اتهموه بالخمرة، وكان قد أُقيم عليه الحد وشهدوا بذلك، ولكنه جدّد ذلك عليه حتى مات وهو يصيح:

إنك لقاتلي ظلماً! أتلك هي عدالته؟ أهذا هو الفاروق بين الحق والباطل؟!

= ج١ ص١٦٥، و«الخلفاء» للنجّار ص١١٢، و«لسان العرب» ١٧: ١١٢، و«تاج العروس» للزبيدي ٩: ٢٦٢.

(١) راجع بذلك «تفسير الطبري» ج١ ص٥٧، و«مستدرك الحاكم» ج٣ ص٣٥، و«تفسير القرطبي» ج٨ ص٢٣٨، و«تفسير الزمخشري» ج٢ ص٤٦، و«تفسير ابن كثير» ج٢ ص٣٨٣، و«الدر المنثور» ج٣ ص٢٦٩، و«كنز العمال» ج١ ص٢٨٧ و٢٨٥، و«تفسير الشوكاني» ج٢ ص٣٧٩، و«روح المعاني» طبع المنيرية ص٨.

وسنقدم شكاية ابنه مع الأدلة عليه، كما نقدّم الشاكين المتظلمين الآخرين.

وقد عرف عن عمر أنه كان من الأفراد الذين يعاقرون الخمرة ويدمنون عليها، ولم يتركها حتى في إسلامه، وحتى بعد الهجرة حتى نزلت آخر آية في تحريم الخمرة، وبعدها كان يعاقر النبيذ وظلّ يعاقرها حتى زمن خلافته وهو يدري أنها محرّمة، بل كان يؤوّل التحريم على أنها لاتسكره! لهذا نراه يحدّ مَن عاقرها، وحتى أنه حدّ من شرب من نبيذه وسكر، وقد اعترض عليه شاربها.

وسيأتي ذكر ذلك بأسناده، كما مرّ ذلك في شكاية ابنه عبدالرحمان الذي مات بعد حدّه له.

ولقد كان للخمرة والنبيذ أثر قوي على فظاظته وصرامته وشدّته لدرجة أنه كان يأبى على أقرب الصحابة إليه الاعتراض أو السؤال أو الجواب عن سؤال!

ولطالما قسا على الصحابة فمنعهم من الحديث ورواية السنّة، وحبسهم بالمدينة ومنعهم من مغادرتها، وأحاطهم بالجاسوسيّة التي كانت على أشدّها في عهده، وحتي أنه كان يتجسّس بنفسه حتى على البيوت! ولا يستطيع صحابي ـ قريب أو بعيد ـ أن ينبس ببنت شفة أو يروي سنّة إلاّ ألزمه بالإتيان بأسنادها أو إقامة الحدّ عليه.

وقد كان له وللخليفة الأول اليد الطولى في توطيد ملوكيّة آل أُمية، أُولئك الذين رعوا حقّه وحقّ أبي بكر فوضعوا ودسّوا وزيّفوا ما شاءوا من الأحاديث في فضائلهم وكراماتهم، والحطّ من فضائل علي وآل بيت النبي ﷺ كما سترى وكما مرّ.

❋ ❋ ❋

إيمانه وتقواه وبرّه وإحسانه، سلوكه في الجاهلية وأعماله وأخلاقه في الإسلام زمن رسول الله ﷺ وبعده:

عين الرضا عن كلّ عيب كليلةٌ كما أن عين السخط تبدي المساويا

أيها القارئ الكريم.. بوصفك إنساناً مفكراً عاقلاً تبحث عن الحقيقة، وتحبّ العدالة وتكره الظلم، بوصفك تكره الكذب والنفاق، والتعدّي والمكر والخداع، والرياء والدسّ والجعل، بوصفك تكره كلّ مظاهر السياسة الخداعة، وتحبّ ما جاء به النبي الإسلامي من أوامر الله، وترى وجوب تطبيق نصوص كتاب الله ورسول الله، وتعرف أنّ كلّ صحابي عاصر رسول الله إنما هو إنسان لا يمكن اعتباره ـ قولاً أو فعلاً ـ شيئاً بالنسبة لرسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، وأنّ كلّ ما جاء به النبي إن هو إلاّ من عند الله، وكلّ من شكّ في رسول الله وأعماله قولاً أو عملاً، أو أحكام الله وسنن نبيّه وهو يشكّ بها ويكذبها فقد كفر، أو هو يصدق بها ويخالفها فقد فسق، وإذا خالفها وتظاهر بالدين وأعطاها الصبغة الدينيّة.. ففي الأُولى أي إذا كان شاكاً أو مكذّباً بها فهو كافر ومنافق، وفي الثانية: أي أنه يصدقها ويخالفها فهو فاسق منافق.

أليست هذه خير ميزان لمعرفة درجة الإيمان وحقيقة الإيمان، والفيصل بين الكفر والإيمان؟ ثم ماذا تقول فيمن يدافع عن مثل هؤلاء الأفراد ويشوّه الحقيقة والواقع، ويمتدح الرجل السياسي بقوة الإيمان، أو يصم المؤمن المخلص للدين الإسلامي المتّقي المتّبع لأحكام الله وسنن نبيه بالضعف العقلي وقلة الدهاء؟

وهل يجوز لفرد أن يجتهد من نفسه في مورد النص النازل في القرآن أو السنن النبويّة، وإن فعل ذلك فماذا يكون مثل هذا؟

ما قولك في امرئ يعترف بالجهل قولاً وعملاً ويقول:

حتّى النساء أفقه منّي، ويغيّر أحكام الله وسنن نبيّه، ويوالي من خالف أحكام الله وسننه، ويطرد كل من أراد أن يقيم العدالة وأحكام الله، ويقرّب من طرده رسول الله من أعداء الإسلام، وبعدها يتظاهر بأرقى جلابيب الإسلام، ويرتدي لباس غيره، ويجلس مجلس غيره، ويشتبك بالرعاع، ويتخذ من الكافرين والمنافقين والفاسقين أعواناً ليضرب بهم أعوان الله ورسوله، كيف تفسّر هذا أيها القارئ الكريم؟!

شك عمر برسول الله في صلح الحديبية[١]

وعن ابن أبي الحديد قال: لما كتب النبي كتاب الصلح في الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو، كان في الكتاب: «إنّ من خرج من المسلمين الى قريش لا يردّ، ومن خرج من المشركين الى النبي يردّ إليهم». غضب عمر وقال لأبي بكر: «ما هذا يا أبا بكر، يُردّ المسلمون إلى المشركين»؟ ثم جاء الى رسول الله وجلس بين يديه وقال: «يا رسول الله... ألست رسول الله حقاً؟ قال: نعم، قال: وهم الكافرون؟ قال: نعم، قال: فعلام نعطي الدنيّة في ديننا؟».

فقال رسول الله: «أنا رسول الله أفعل ما يأمرني به ولن يضيعني». فقام عمر مغضباً وقال:

«والله لو أجد أعواناً ما أُعطيت الدنيّة أبداً!».

وجاء إلى أبي بكر فقال له: «يا أبا بكر أما وعدنا أنه سيدخل مكة، فأين ما وعدنا به؟» فقال أبو بكر: «أقال لك إنه العام ندخلها؟» قال: لا، قال: فسندخلها». قال فما هذه الصحيفة التي كتبت، وكيف نعطي الدنيّة من أنفسنا»؟ فقال أبو بكر: «يا هذا الزم غرزه، فوالله إنه لرسول الله، إن الله لايضيّعه».

فلما كان يوم الفتح وأخذ رسول الله مفتاح الكعبة قال:

«ادعوا لي عمر» فجاء فقال: «هذا الذي كنت وعدتكم به!».

فبالله عليك أيها القارئ المؤمن، أنصف وانظر الشك بعد الشك، والاعتراض

---

(١) أنظر: حياة الصحابة: ٢/ ٥.

بعد الاعتراض، والتهمة بعد التهمة.

* * *

حديث المفيد مع الشطوي وإثباته كفر عمر

وهكذا ترى الفاروق يشك بأقوال رسول الله الواحدة تلو الأُخرى، ويعترض على رسول الله ويحاول تكذيبه، وكلّما أراد إقناعه غضب، رغم أن رسول الله يخبره أن ما أفعله إنما هو بأمر الله، ويعود بعد غاضباً ومتحدياً.

قال الشهرستاني: قال النظّام: إن عمر شك يوم الحديبية وقال: هذا شك في الدين ووجدان خرج في النفس مما قضى وحكم.

ولما أراد أبو عمرو الشطوي المعتزلي إلزام محمد بن محمد بن النعمان المفيد بوقوع الإجماع على إسلام أبي بكر وعمر وأجابه المفيد بما اعترف الشطوي به، قال له المفيد: «قد علمت ما الذي أردت فلم أُمّكنك منه، ولكني أنا أضطرك الى الوقوع في ما ظننت أنك توقع خصمك فيه؛ أليست الأُمة مجمعة على أنه من اعترف بالشك في دين الله والريب في نبوّة رسول الله فقد اعترف بالكفر وأقرّ به على نفسه؟» فقال: بلى، فقال له: «إنّ الأُمة مجمعة لا خلاف بينها على أنّ عمر بن الخطاب قال:

ما شككت منذ يوم أسلمت إلاّ يوم قاضى فيه رسول الله أهل مكة فإني جئت إليه فقلت له: يا رسول الله، ألست بنبي؟ قال: بلى، فقلت:

ألسنا بالمؤمنين؟ قال: بلى، فقلت: فعلام تعطي هذه الدنيّة من نفسك؟ فقال: إنها ليست بالدنيّة ولكنها خير لك، فقلت له:

أليس قد وعدتنا أن ندخل مكة؟ قال: بلى، قلت: فما بالنا لا ندخلها؟

قال: أوعدتك أن ندخلها العام؟ قلت: لا، قال: فسندخلها إن شاء الله».

فاعترف بشكه في دين الله ونبوّة رسوله، وذكر مواضع شكوكه وبيّن عن جهاتها! وإذا كان الأمر على ما وصفنا فقد حصل الإجماع على كفره بعد إظهار الايمان واعترافه بموجب ذلك على نفسه.

«ثم ادّعى خصومنا من الناصبة أنه تيقّن بعد الشك، ورجع الى الإيمان بعد الكفر، فاطّرحنا قولهم لعدم البرهان عليه، واعتمدنا على الإجماع في ما ذكرناه، فلم يأت بشيء أكثر من أن قال:

«ما كنت أظن أن أحداً يدّعي الإجماع على انتخاب عمر بن الخطاب حتى الآن»، قال: فالآن قد علمت ذلك وتحققته، فإن كان عندك شيء فأورده، فلم يأت بشيء! ثم يقول بعد ذلك:

«لنذكر تخلّفه عن جيش أُسامة رغم ما بدر عن رسول الله من لعنه للمتخلفين، ثم مجابهته واعترافه أنه خالف رسول الله في كتابة العهد، وبعدها غضبُ رسول الله وإخراجه هو ومن معه. وقبلها عن ابن أبي الحديد في «شرح النهج» ص ٩٥ في ط مصر ١٣٢٩ أنّ عمر أغضب رسول الله ﷺ مرة فأخذ النبي بمجامعه وقال:

«ما أنت بمنتهٍ يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة»!!

❊ ❊ ❊

عمر وذو الخويصرة التميمي:

أول مخالفة: مخالفة عمر أمر رسول الله عندما رأى ذا الخويصرة التميمي رئيس الخوارج وهو ساجد فطلب من عمر قتله، وامتنع عمر عن تنفيذ أمر رسول الله ﷺ بقتله، بدعوى أنه يصلي، أو في حالة سجود، مع العلم أنّ رسول الله هو الذي شاهده في هذه الحالة وأخبر عنه وأمر بقتله، ونتج من عدم قتله تلك الفتنة العظيمة للخوارج وما أحدثوا في الأمة الإسلامية. وظهر أنّ من أمر رسول الله بقتله إنما هو زعيم الخوارج، يعني زعيم المارقين الذين أمر رسول الله بقتالهم علياً وأصحابه والمسلمين.

عن «الكامل» للمبرّد عن النبي أنه نظر الى رجل ساجد... الى أن قال: فقال: «ألا رجل يقتله؟» فحسر أبو بكر عن ذراعه وأنتضى السيف وصمد نحوه، ثم رجع الى النبي فقال: أأقتل رجلاً يقول لا إله الاّ الله؟ فقال النبي: «الا رجل يفعل؟» فقال عمر مثل ذلك. فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب فلم يره. فقال رسول الله: «كان أول فتنة وآخرها».

ورواه بطريق آخر أن أبا بكر اعتذر عن قتله حيث رآه راكعاً، واعتذر عمر بأنه رآه ساجداً، وأنه قال:

«لو قتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله».

كما رواه ابن طاووس في «طرائفه» من كتاب الحافظ محمد بن موسى الشيرازي الذي استخرجه من تفاسير الثقات الاثني عشر يعقوب بن سفيان، ويوسف بن موسى القطان، وابن جريح، ومقاتل بن نعمان، ومقاتل بن حيان، ووكيع، وقتادة، والقاسم بن سلام، وعلي بن حرب، والسدي، ومجاهد، وأبي صالح.

وقد عدّ الشهرستاني في «ملله» شبهته أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية، ثم ثنّى بمنع عمر عن وصية رسول الله ، ثم ثلّث بتخلّفه وتخلّف أبـي بكـر عـن جيش أسامة، ثم ربّع بإنكار عمر موته.

والحقيقة أنـهما خـالفا الله ورسـوله [ﷺ] لأن رسـول الله رأى صـلاته وأمرهما بقتله، ثم ما عذر أبي بكر وعمر في أنّ امتناعهما كان ردّاً على رسول الله وشكّاً بأمره.. فهل يجوز لرسول الله أن يقتل أحداً ظلماً أو جهلاً؟!

❊ ❊ ❊

عمر يعترف لابن عباس بمنعه رسول الله من كتابة العهد لعلي عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: روى ابن عباس قال: «خرجت مع عمر الى الشام في إحدى خرجاته، فانفرد يوماً يسير على بعيرة، فاتبعته. فقال لي: يابن عباس أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا أزال أراه واجداً، أفيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال: أظنه لايزال كئيباً لفوت الخلافة، قلت: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له. فقال: يابن عباس، وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟» (كأن رسول الله يعمل بغير إرادة الله!!).

إلى أن قال:

«وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، وهو قوله: إنّ رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلا امضاء ما حتم!!».

أُنظر الى هذا الكلام من عمر حيث يقول: «وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك»؟ فانظر كيف رأيه في رسول الله الذي لايريد إلا ما يريد الله، وهل يصدر هذا الكلام إلاّ عمّن لايعتقد برسالة رسول الله ويشكّ في سننه وأوامره ونواهيه، وقد اعترف بالتالي بأنه صدّه خوف الفتنة! وأي فتنة أعظم من صدّك له يا عمر؟! وهل خوف الفتنة إلاّ من قولك: إنه يهجر، وغلب عليه المرض؟! فكيف رضيت عندما أدنى لك أبو بكر بعهده، وفي حالة أشد؟ ومن هو أبو بكر بالنسبة لرسول الله، وأنت الذي قلت فيه يوم قلّد خالداً وسام الشرف وسمّاه سيف الله فقلت في خالد: «إنه قتل مسلماً (يعني مالك بن نويرة) وزنى بامرأته فيجب حدّه» فأصرّ أبو بكر على خلاف ذلك، فقلت فيه: «بحّ فيه شيطانه!» فكيف نصبته خليفة واتبعت أوامره، وعاديت آل بيت رسول الله ووصيّه وأخاه

ووزيره، وهجمت على دار بضعته تريد حرقها وهي فيها؟![١]

ما هذا؟ أهو دين أم سياسة؟ أهذا ما أمر به الله ورسوله، وهل هذا عمل مؤمن بالله ورسوله، وبالآية المباركة التي نزلت:

﴿وما ينطق عن الهوى*إن هو إلاّ وحي يوحى﴾؟! /سورة النجم:الآيتان:٣ و ٤.

فما جزاء من يخالف الله ورسوله، وأيّ مخالفة وأيّ فتنة وأيّ لعب وأيّ تحريف أعظم من هذا؟ وماهو الفسق وما هو الكفر إذاً؟

تُرى ما جزاء من يغصب ويظلم فرداً ويخالف أمر الله ورسوله فيه، هذا إذا كان فرداً عادياً؟ وما جزاء من خالف الله ورسوله، ومنع أوامر الله ونواهيه، وبدّل وابتدع وغيّر وظلم؟!

---

(١) الهجوم على دار الزهراء بضعة رسول الله وحبيبته وإحراقها كان بأمر من أبي بكر بن أبي قحافة.

قال الاستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود:

فلقد ذكر أنّ أبا بكر ارسل عمر بن الخطاب ومعه جماعة بالنار والحطب إلى دار عليّ وفاطمة والحسن والحسين ليحرقوه بسبب الامتناع عن بيعته. فلما راجع عمر بعض الناس قائلين: «إن في البيت فاطمة قال: وإنْ».

وقال ابن قتيبة: ثم قام عمر ومعه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها:

يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة*

وقال ابن أبي الحديد:

جاء عمر الى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ الى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم**

(*) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة طبع مصر.

(**) شرح النهج: ١٣٤/١ الطبعة الاولى بمصر، الإمامة والسياسة: ٢٠/١ ط مصر.

أنساب الأشراف للبلاذري: ٢٧٨/١، تاريخ أبي الفداء: ١٥٦/١، العقد الفريد: ١٧٦/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/٢ الامام علي للاستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود: ٢٦٦/٢، ذكر هؤلاء جميعاً أنّ عمر أتى بالحطب ليحرق باب فاطمة بضعة رسول الله ﷺ على من فيه وقيل لعمر: إنّ في البيت فاطمة قال: وإنْ.

أول فتنة لعمر

١] **رزيّة يوم الخميس:** أخرجها جميع أصحاب الصحاح، وسائر أهل السنن، وأهل السير والأخبار كافّة. منها ما أخرجه البخاري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال:

«لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي: هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم: قوموا. فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم».

وهذا الحديث أورده البخاري في عدة موارد من «صحيحه» ج١ ص٢٢ وهو موثق، وأخرجه مسلم في آخر الوصايا من «صحيحه» ج٢ ص١٤، ورواه أحمد في «مسنده» ج١ ص٣٢٥، وغيرهم من أصحاب السنن والأخبار، وتصرفوا فيه بالمعنى إذ لفظه الأصلي (النبي يهجر) وإنما أخرجوه بتلك العبارة تهذيباً لمن قالها، كما أخرجه أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب «السقيفة» كما في ص ٢٠ ح ٢ من «شرح نهج البلاغة» للعلامة المعتزلي مسنداً الى

ابن عباس أن عمر قال كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله ، وهكذا نقلوا معارضة عمر بالمعنى.

٢] وأخرج مسلم في كتاب «الوصية» من «الصحيح» عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خدّيه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله : ائتوني بالكتف والدواة ـ أو اللوح والدواة ـ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله يهجر».

وأخرج هذا الحديث بهذه الألفاظ الإمام أحمد ص٣٥٥ ج١ في «مسنده»، كما أخرجه آخرون في اثبات السنن.

فأول من قال: «يهجر رسول الله إنما هو عمر، ثم تبعه من هو على عقيدته من الحاضرين، وهنا حصل الاختلاف بين الحاضرين، منهم من يقول ما قال رسول الله، ومنهم من يقول ما قال عمر.

٣] أخرج الطبراني في «الأوسط» عن عمر قال: «لما مرض النبي قال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله ؟ قال عمر: إنّكنّ صويحبات يوسف، إذا مرض رسول الله عصرتنّ أعينكنّ، وإذا صحّ ركبتنّ عنقه! قال: فقال رسول الله: دعوهنّ فإنّهنّ خير منكم». هذا ما جاء في ص١٣٨ ج٣ من «كنز العمال».

ولم يجد رسول الله بدّاً من أن يطلب خروجهم. لماذا لم يفرض ذلك فرضاً، والموافقون يأتونه بالقرطاس والدواة؟ نعم، إن الذين خالفوه لا يخفى عليهم مايريده رسول الله، ويعلمون أنه لم يهجر، ويعرفون نصوص القرآن والأوامر التي أمر بها رسول الله مدة حياته، ومن خلّف في يوم الدار منذ بدء الرسالة حتى يوم

غديرخمّ، ويعرفون قوله تبارك وتعالى، ويسمعون الآيات المنزلة ليلاً ونهاراً حيث يقول:

٤] ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(١) وقوله عزّ من قائل: ﴿إنه يقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثَمَّ أمين * وما صاحبكم بمجنون﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون * تنزيلٌ من ربّ العالمين﴾(٣). وقوله تعالى: ﴿ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى * علّمه شديد القوى﴾(٤) وغيرها، الدالّة على عصمة الرسول وتجنّب مخالفته وأذاه، فالذي سبّب عدول رسول الله إنما هو خوف الفتنة، لأن الذين تجاسروا وهو على قيد الحياة وفي محضره، ومانعوا من أن يكتب، وهم يدرون أنه إنما يريد كتابة الوصية وتحديد الولي من بعده، لن تمنعهم وسيلة من تحقيق مآربهم ومطامعهم، حتى ولو أعطوا المنافقين والمشركين نصيباً من الحكم، بل حتى لو أعادوها جاهليّة، كما رأينا كيف تلقّفوها وكيف صدّوا عنها أصحاب الحق فيها من آل محمد، من أي ولاية صغيرة أو كبيرة، وأتوا بأعدائهم، وحالوا دون كتابة الحقائق بل قلبوها حتى آل الأمر إلى سبّ علي على المنابر، وجعلوا من ذلك سنّة، وأحلّوا قتل ذريته وأتباعه.

* * *

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢٢.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ـ ٤٣.

(٤) سورة النجم: الآيات ٢ ـ ٥.

احتجاج ابن عباس والحسن والحسين

١] طالع كتاب «النص والاجتهاد» وكتاب «الفصول المهمة» وكتاب «سبيل المؤمنين» لمولفها السيد عبدالحسين شرف الدين.

٢] أخرج الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه «تاريخ بغداد» بسند معتبر الى ابن عباس، وأورد العلامة المعتزلي في أحوال عمر من «شرح النهج» ص٩٧ ح٣، أن عمر حاور ابن عباس مرة فقال له في حديث: «كيف خلّفت ابن عمك؟ قال: فظننته يعني عبدالله بن جعفر، قال: فقلت: خلّفته مع أترابه، فقال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قال: قلت: خلّفته يمتح بالقرب وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قال: قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قال ابن عباس: وأزيدك، سألت أبي عما يدعي من نصّ رسول الله عليه بالخلافة قال: صدق.

فقال عمر: «كان من رسول الله في أمره ذِرْوٌ (يعني: كان رسول الله يرفع مقام علي) من قول لا يثبت حجّة، ولايقطع عذراً، ولقد كان يربع (أي يمتحن رسول الله القوم هل يقبلونه خليفة أم لا) في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك»!

هنا تجد أن عمر يعترف بخلافة علي ونصّ رسول الله، كما يعترف أنه منعه

من الكتابة يوم أراد قلماً وقرطاساً ليكتب أمراً لن يضلّ القوم بعده. فمنع حتى غيظ رسول الله وطلب خروجهم عنه.

٣] أورد ابن الأثير في «تاريخه» في آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ص ٢٤ ج ٣، كما أورد العلامة المعتزلي في سيرة عمر ص ٢٠٧ ج ٢ من «شرح نهج البلاغة» في محاورة ابن عباس وعمر، حيث قال عمر في حديث طويل دار بينهما: «يابن عباس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه فقلت له: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري. فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً (أي ترفّعاً وفرحاً وتفاخراً) فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت!! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتحط عن الغضب تكلّمت، قال: تكلّم، فقال ابن عباس: فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريش اختارت لأنفسها في حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسورد، وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عزّوجلّ وصف قوماً بالكراهة فقال: «ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم». فقال عمر: هيهات يابن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرّك عليها تزيل منزلتك مني! فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه. فقال عمر: بلغني أنك تقول: صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً! (قال) فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبيّن للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، كان آدم حُسد ونحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يابني هاشم إلاّ حسداً لايزول! (قال) فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لاتصف بهذا قلوب قوم

أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

٤] وأورد أهل السير في أحوال عمر محاورة أُخرى بين عمر وابن عباس جاءت في «شرح نهج البلاغة» للعلامة المعتزلي ص ١٠٥ ج ٣:

قال عمر: يابن عباس، ما أرى صاحبك إلاّ مظلوماً! فقلت: يا أمير المؤمنين، فاردد إليه ظلامته، قال: فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم وقف، فلحقته فقال: يابن عباس، ما أظنهم منعهم عنه إلاّ أنه استصغره قومه، قال: فقلت له: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك! قال: فأعرض عني وأسرع، فرجعت عنه.

٥] نقل ابن حجر في المقصد الخامس من آية المودة، الآية ١٤ من الباب ١١ من «الصواعق» ص ١٠٥، والدارقطني من أبي بكر قال: إنّ الحسن بن علي جاء الى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال له: «انزل عن مجلس أبي»!

٦] كما نقل ابن حجر ـ كما مر أعلاه ـ في نفس الصفحة، واخرج ابن أبي سعد في ترجمة عمر من «طبقاته» قضية الحسين مع عمر على شاكلة أخيه الحسن مع أبي بكر.

٧] كتاب «الاحتجاج» للإمام الطبرسي مليء بالاحتجاجات من الصحابة بالنسبة للخلافة، ومنها احتجاج خالد بن سعيد بن العاص الأموي حيث رفض خلافة أبي بكر وامتنع عن البيعة ثلاثة أشهر، جاء في «إثبات السنة» كابن سعد في طبقاته ص ٧٠ ج ٤.

❊ ❊ ❊

عمر يهدّد من قال إن رسول الله قد مات (يوم وفاته ﷺ) منكراً الآية: (وما محمد إلاّ رسول... الخ)[١] و(إنك ميّت وإنهم ميتون)[٢]

قال ابن أبي الحديد: لما مات رسول الله ﷺ وشاع بين الناس نبأ موته كان عمر يمرّ على الناس قائلاً:

«إنه لم يمت ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه، وليرجعنّ فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات»!! فجعل لايمرّ بأحد يقول إنه مات الاّ ويخبطه ويتوعّده، حتى جاء أبو بكر فقال:

«أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فالله حي لايموت». ثم تلا قوله تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾[٣]. وقال عمر: «لما سمعته يتلوها هويت الى الأرض وعلمت أن رسول الله قد مات».

أقول: لماذا ادّعى أنه لم يسمع تلك الآية، ألم يسمع قوله تعالى:

﴿إنك ميّت وإنهم ميتون﴾[٤]؟

وهل أن عمر على هذه الدرجة من قلة التفكير فلايعلم بأن رسول الله يموت مثل بني البشر؟ فماذا أراد بذلك؟ ألم يرد أن يهيّئ الجو لأبي بكر بشأن الخلافة؟!

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٤) سورة الزمر: الآية ٣٠.

نقض البيعة

ينقض بيعته لعلي بعد أن بايعه في غديرخمّ وقال له: «بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة». كما أثبت ما قال له جبرئيل من أن من نقض هذه البيعة فهو منافق، وحذره من النقض، وعمر يعلم ذلك حقّ العلم، وقد فاه بها لابن عباس، وقد مرّت أيضاً نبذة عن هذا في الكتابين الأولين.

عمر يعترف بأن مالكاً قُتل مسلماً، وأن أبا بكر «لجّ به شيطانه» ولكنه تابَعه!

قال الفضل: روى جرير بن عبدالحميد الضبي عن الأعمش عن قال: ذكر عن عمر بن الخطاب قتل مالك بن نويرة فقال: «قتله والله مسلماً، ولقد نصبت في ذلك ونازلت أبا بكر فيه كلّ المنازلة، وفي قتال من منع الزكاة فأبى إلاّ قتالهم وسبيهم، فلما رأيته قد لجّ به شيطانه في خطاه وعزمه عليه مسكت عجزاً عنه وخوفاً منه. ولقد ألححت عليه في ذلك يوماً حتى قال لي: يابن الخطاب إنك لحدب على أهل الكفر بالله، والردة على الإسلام. فأمسكت عنه، ويبح دمائهم كان أحدب على أهل الكفر».

وقد خطب أبو بكر مرة واعترف بشيطانه حيث قال: «يا أيها الناس، قد وليتكم ولست بخيركم.. الى أن قال: ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني مغضباً فتجنبوني لا أوثر بأشعاركم وأبشاركم».

وقد قال عمر للزبير عندما أراد ان يشكل جماعة الشورى: «أنت يوماً

إنسان ويوماً شيطان! فإذا وليت أنت الخلافة من يكون إمام الناس يوم تكون شيطاناً؟!».

ومن العجيب أن يقول عمر ذلك وقد بايع أبا بكر مع أنه كان يعلم منه ورأى بعينيه كيف يقتل المسلمين باسم الردّة، وينعم على القاتل. (راجع المصادر في هذا الكتاب في شكوى مالك بن نويرة).

انتصار ابن عبّاس

روى الزبير في «الموفقيات» عن ابن عباس قال: «خرجت أريد عمر بن الخطاب.. إلى أن قال: قال لي عمر: لم لا تخطب إلى ابن عمك، يعني علياً؟ قلت: ألم يبعثني إليه؟ قال: فالأُخرى، قلت: هي لابن أخيه. قال: يابن عباس، إن صاحبكم إن ولي هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به، فليتني أراكم بعدي، قلت: يا أمير المؤمنين، إن صاحبنا ما قد علمت، إنه ما غيّر وما بدّل، ولا أسخط رسول الله أيام صحبته له. قال: فقطع عليّ الكلام وقال: ولا في ابنة أبي جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة؟ قلت: قال الله عزّوجل: ﴿ولم نجد له عزماً﴾، وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله، ولكن الخواطر التي لايقدر أحد على دفعها عن نفسه، وربما كانت في الفقيه في دين الله، العالم العامل بأمر الله. فقال: يابن عباس، من ظنّ أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظنّ عجزاً»!

وقول ابن عباس: «إن صاحبنا ما قد علمت، إنه ما غيّر وما بدّل، ولا أسخط رسول الله» فذلك ما غيّر وبدل عمر نفسه بعد رسول الله، وأسخط رسول الله مراراً، في حياته خصوصاً، عندما تخلف عن جيش أسامة، وحينما طلب رسول الله

الدواة والقلم فقال عمر: إنه ليهجر، صنع ذلك حتى نهرهم رسول الله وطردهم، وذلك ما اعترف به عمر وقال: منعت ذلك!

وما ذكره عن خطبته لابنة أبي جهل فذلك ـ رغم أنه لم يحدث فهو افتراء محض منه، واكتفى ابن عباس بقوله: لم يعزم.

* * *

عمر يحرق بيت فاطمة ويسقط جنينها(١)

قال ابن قتيبة: فدعا عمر بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها! فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة، فقال: وإنْ!! فخرجوا وبايعوا إلاّ علياً فإنه قال: «حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن». إلى أن قال: ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا فاطمة فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة»! فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع، وأكبادهم تتفطّر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً، فمضوا به الى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك، قال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله. إلى أن قال: فألقى بنفسه على قبر رسول الله وهو يصيح ويبكي وينادي: «يابن أم، إن القوم

---

(١) جاء في صحيح البخاري: ج٢ ص١٨٥ وج٣ ص١٦٣ الحديث عن النبي ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها آذاني، ومن آذاني آذى الله»، وجاء أيضاً: ج٢ ص١١٥، وج٣ ص٢٥ أن فاطمة ماتت وهي غضبى على أبي بكر وعمر لأنهما آذياها.

استضعفوني وكادوا يقتلونني».

علم عمر

تدلنا أحاديث الصحاح والتفاسير والتواريخ والرواة من أهل السنة والجماعة التي سنستند إليها أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان أقل اطلاعاً على أحكام القرآن ونصوصه، والسنن النبوية، بل هو حتى في أوضح المسائل وكثيرمن لغات القرآن كان يجهل مفاهيمها، وأما في مجمل القرآن ومتشابهه فيكاد يكون خلواً منه، ورغم ذلك فما كان يهمه نصّ الكتاب ولا السنن النبوية، والتي يهون عليه أن يغيرها كما يشاء، ويفرض على الأُمة ترك النص، بل وأعظم من ذلك أن يعاقب على من أجرى النص، وسنورد كثيراً من ذلك، وبإمكان القارئ الكريم أن يراجع كتاب «النص والاجتهاد» للإمام العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، وفيه يجد أن عمر (رض) وهو يصرح بعلمه بالنص القرآني، ورغم علمه بأن رسول الله سار عليها كما سار عليها الخليفة الأول أبو بكر، رغم كل ذلك فقد فرض أوامره على المسلمين مجتهداً في مورد النص قائلاً ـ كما في متعة النساء ومتعة الحج ـ: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأُعاقب عليهما». وسيأتي البحث حول بعضها وإن كنت خصصت منها المتعتين، هذا إلى تناقضه في نفس الحكم الواحد، ودون أن يأتي بدليل على رأيه. ولطالما كان يُسأل من العامة سؤالاً عن متشابه القرآن أو مجمله فيعجز عن الإجابة ولا يجد بدّاً من أن يرفع درّته ويهوي بها على السائل ضرباً ما أكثر ما أدى الى الإضرار بالسائل وهتكه، وسنورد أمثلة على ذلك، وبإمكان القارئ الكريم أن يطالع ماورد في عمر في كتاب «الغدير». أخص من أجزائه الجلد السادس في «نوادر الأثر في

علم عمر». وسأسوق بعض النبذ من علمه وفتاواه واجتهاداته وآرائه في موارد نصّ الكتاب ونصوص السنّة النبوية. وهناك بعض أوامر ونواهٍ صدرت عن عمر في منع العمل بالنصوص والسنّة النبويّة، الأمر الذي كان له أثر بليغ ودائم على حياة الأمة الاسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل. ومنها الاجتهاد والفتاوى البعيدة عن المنطق السليم التي أدت الى اتهام الشرع والفكر الإسلاميين بالبعد عن الصراط السوي باعتبار الخليفة الثاني قريب عهد برسول الله، وما لهذا من أثر على المسلمين وأثر في نقد العلماء والمفكرين والكتاب من غير المسلمين للإسلام باعتبار ما صدر إنما يصدر عن خليفة المسلمين، في حين أن الإسلام منها براء، وسنورد الكثير منها مع أدلتها، منها: منع المسلمين من تطبيق النصوص أو إجراء الاجتهاد بحرق كتب العالم المتمدن كافة في الاسكندرية وبلاد الروم وبلاد فارس التي استولى عليها المسلمون، ومنها: سنّ مناصفة سلب أموال عماله وجعلها سنّة لبني أُمية، ومنها: منع تدوين أحاديث رسول الله الضرورية اللازمة المفصّلة لمجمل القرآن وغيره من النصوص، والأمور الإدارية وغير الإدارية لمحض أنها تنافي وتناقض أعمالهم، وغصبهم لمنصب الخلافة التي فرض فيها الله ورسوله الحق لعلي وآل الرسول، وقطع دابر تلك الأدلّة والأسانيد، وعلى أثرها وقوع الأمة الإسلاميّة في عهد الأمويين والعباسيين بين براثن الوضّاعين والدساسين والكذابين والمزيفين، وجرى قلب الحق باطلاً والباطل حقاً، ونسبة تلك الأحاديث الى رسول الله، ومنها: التبعيض في تقسيم أموال الدولة، ومنها ـ وهي من الأعاظم ـ: التلاعب من قبل المتغلّبين على إدارة الدولة دون حق، وفرض سيطرتهم باعتبارهم أولي الأمر دون رعاية كتاب أو سنّة، في حين أنّ أولي الأمر هم من عيّنهم الله ونصّ عليهم رسوله.

وسيوافيك كثير من أمثال تلك الضربات القاصمة التي أطاحت بالأُمة الإسلامية، وشتّتت شمل المسلمين وخلقت فيهم عناصر جديدة من الضعف، وأعادت العصبيّة الجاهلية التي محاها الاسلام، وقضت على المساواة والعدالة الاجتماعية لوقوع الحكم في قبضة فرقة من المتغلّبين البعيدين كلّ البعد عن مفاهيم الدين الإسلامي، بسلطات دكتاتورية استحوذت على السلطتين الدينية والدنيوية، والدين منهم بريء، وسنورد أسنادها فيما بعد في نفس هذا الكتاب إن شاء الله.

* * *

اعتراف عمر بجهله في أكثر الموارد ومخالفته في أوامر الله وسنن نبيه[1] اعترافه بالجهل:

نقل الجاحظ في كتاب فتياه عن شيخه النظام أنه ذكر في ما طعن على الصحابة عن المغيرة عن إبراهيم أن عمر بن الخطاب قضى بقضاء فقال له رجل: أصبت، والله يا أمير المؤمنين، فقال: وما يدريك أني أصبت؟ والله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ!

كما قال الشرقاوي في حاشيته على التحرير لزكريا الأنصاري في امرأة توفّيت عن زوج وأم وأخوين لأم وأخ لأبوين وتسمى بالحماريّة، لأنها وقعت في زمن عمر فلم يشرك الأشقاء في القسمة فقالوا: هب أن أبانا حمار ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم.

ثم روى أنه قضى به مرة فلم يشرك. ثم شرك في العام الثاني، فقيل: إنك

---

(١) النص والاجتهاد.

أسقطته في العام الماضي، فقال: ذلك ما قضينا، وهذا ما نقضي!

ذكر الحميدي في «الجمع بين الصحيحين في مسند عمار بن ياسر في الحديث الثاني من المتفق عليه، كما في الطرائف، قال: إن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنبت فلم أجد ماءً، فقال: لاتصلّ! فقال عمار: ألا تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سريّة فأجنبنا فلم نجد ماء، أما أنت فلم تصلّ، وأما أنا فتمكّعت في التراب وصلّيت، فقال رسول الله: إنما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفتح، ثم تمسح به وجهك وكفّيك، فقال عمر: اتّق الله يا عمار! فقال: إن شئت لم أحدّث به، فقال عمر: نولّيك ما تولّيت.

ذكر أيضاً في الجمع بين الصحيحين في مسند أبي سعيد الخدري في الحديث الثامن والعشرين من المتفق عليه ما معناه أن أبا موسى استأذن على عمر بن الخطّاب ثلاثاً فلم يأذن له، فقال له عمر: ما حملك على ما صنعت؟ قال: كنا نؤمر بهذا، قال: لتقيمنّ على هذا بيّنة أو لأفعلنّ.. فشهد له أبو سعيد الخدري بذلك عن النبي، فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق بالأسواق!

روى ابن أبي الحديد: أسلم غيلان الثقفي بن سلمة عن عشر نسوة فقال له النبي: اختر منهنّ أربعاً وطلّق ستّاً. فلمّا كان على عهد عمر طلّق نساءه الأربع وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر فأحضره، فقال له: إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك، فلعلّك لا تمكث إلاّ قليلاً! وأيم الله لتراجعنّ نساءك ولترجعنّ في مالك أو لأُورّثهنّ منك، ولآمرنّ بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال!

❊ ❊ ❊

سيرة وسلوك عمر حتى مع النبي ﷺ

وظلّ عمر يتحرّى في كل مرة ليظهر نفسه بالمخالفة والاعتراض على أعمال وأقوال رسول الله والطعن فيها دون أن تردعه الآيات الواردة، وما فيهما من الأوامر والنواهي، وأن ما جاء به رسول الله إنما هو من الله، وعلى أفراد الأمة اتباعه: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى﴾(١) فرسول الله ﷺ في الآية المارة الذكر يبين للمسلمين أنّ ما ينطق به ليس عن هوى نفسه بل كل ذلك إنما هو من الله ومن وحيه. لذا أمر الله في آية أخرى بطاعة الرسول: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(٢). فليس لأفراد الأمة الاعتراض على رسولهم والشك في أقواله وأعماله، ومن لم يطع فهو كافر، ومن عصى فالنار مثواه، قال سبحانه وتعالى: ﴿قل أطيعوا الله ورسوله فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٢ و٤.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٢.

وله عذاب مهين﴾ (١).

النبي يكره قول عمر

وقد رأينا عمر يشكّ برسول الله في صلح الحديبية، ويشكّ بقوله في فتح مكة كما مرّ، ويغضب رسول الله حتى يأخذ بتلابيبه.

وكما جاء في «حياة الصحابة» ج ٢ ص١٥٣: قول رسول الله لسائل: «ما عندي ما أعطيك، ولكن ابتغ عليّ شيئاً فإذا جاءني شيء وقضيته». فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته، فما كلّفك الله ما لا تقدر عليه! فكره النبي قول عمر.

عمر يخالف النبي

وفي حديث آخر في «حياة الصحابة» ج ٣ ص ٥ عن «صحيح مسلم» عن أبي هريرة: «إنّ النبي أعطاه نعليه وأمره أن يذهب ويبشّر بالجنّة من لقيه وهو يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه، فرأى في طريقه عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فأخبره بالأمر، فضربه عمر حتى وقع على الأرض، وأمره بالانصراف عما أمره به رسول الله... الخ!

عمر يغضب النبي

وجاء في كتاب «بين يدي عمر» ص١١ و٥٧ و٥٨، و«شرح نهج البلاغة» ج١ ص٩٥ ط مصر ١٣٢٩ لابن أبي الحديد: أن عمر مرة أغضب النبي فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال له:

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤.

«ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة».

عمر يعارض النبي

كما ترى عمر ينكر على النبي صلاته على ابن أبيّ ويغيظ رسول الله(١).

عمر يطعن بعدالة النبي

ويعود عمر دون أن ينتهي ليكرر إغضاب رسول الله ويطعن في عدالته وقسمته حين قسم فيقول للنبي ﷺ: «لغير هولاء كانوا أحق به منهم»! كما جاء في صحيح مسلم. فكأنه بقوله ذاك يريد أن يظهر نفسه فوق رسول الله ﷺ بعلمه من جهة، ويطعن ويصغّر فكر النبي من جهة ثانية، بل إن ذلك ما نستدل به على قلة إيمانه من حين إلى آخر بكتاب الله ومقام الرسالة، فلو كان حقاً مؤمناً بكتاب الله وآياته التي تنهى عن الاعتراض والردّ على رسول الله ومجادلته ولما تكرر ذلك منه غير آبهٍ، ولا يشك أحد أن ما في الجنان يظهر على صفحة اللسان، وأن رسول الله قد برهن له مراراً ـ كما في صلح الحديبية وفتح مكة وغيرها ـ أنه كان قد أخطأ عملاً ومنطقاً، وأن ما ذهب إليه رسول الله كان في النتيجة في صالح المسلمين.

امتناع عمر عن إمضاء قول النبي

مر بنا ما فصلناه عن تخاذله عن أمر رسول الله بقتل ذي الخويصرة رأس فتنة الخوارج، وهو الثاني الذي اعترض على قسمة رسول الله حين قسم فقال

---

(١) مجلة الأزهر ج٩ عام ١٣٥٧، وحياة الصحابة ج٢ ص٦٠٢.

للنبي: لم تعدل في القسمة! فاغتاط منه النبي ﷺ وقال له: «ويلك، إن لم أعدل فمن الذي يعدل؟!».

يخالف عمر النبي ويغضبه

عمر يخالف رسول الله بعدم إجابة: أبي. أخرجه البخاري. راجع بذلك «مجلة الأزهر» ج ٤ ص ٢٧٥ عام ١٣٥٨.

ويقرأ عمر التوراة عند النبي فيتغير لذلك وجه النبي ﷺ غضباً. روى ذلك الكادرهلوي في «حياة الصحابة» ج٣ ص ١٨٩، كما أخرجه الطبراني، وعن الدارمي في فتح الباري ح٩ أنه ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل. ولو كان موسى حياً وأدرك نبوتي لاتّبعني».

قال تعالى: ﴿والّذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ (١).

بدء الفتنة

وفي مرض رسول الله الذي مات فيه طلب رسول الله في محضر الصحابة كتفاً ودواة قائلاً لهم «ايتوني دواة وقرطاساً لأكتب لكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً». فقال عمر: إن النبي ليهجر، وذلك بمسمع من رسول الله ﷺ، وخالف أوامره وألقى الفتنة بين الحاضرين، فمنهم من اتّبع قول عمر ومنهم من خالفه حتى

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦١.

غضب ﷺ وطرده ومن معه![1]

كما روى ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» اعتراف عمر لابن عباس بقوله: إنما أراد رسول الله القلم والقرطاس ليكتب العهد لعلي فصددته عنه خوف الفتنة، وهكذا أراد الله! فكأنما أراد الرسول شيئاً مخالفاً لإرادة الله! وقد مر ذكره.

وهذا الاعتراف الصريح بمخالفة رسول الله فكأنما ادّعى عمر أنـه كـان أحرص على الدين الإسلامي من رسول الله، وأنه أعلم منه بمصالح المسلمين!

تخلّفه عن جيش أسامة

وهو قبل مخالفته لرسول الله ونسبته الهجر له فقد خالف رسول الله هو وأبو بكر وأبو عبيدة حينما أمرهم بالالتحاق بجيش أسامة وعدم تخلّفهم عنه بـقوله: «الحقوا بجيش أسامة وأسرعوا بالانقضاض على العدو قبل استعلامه».

وقوله: «لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة». وقد قالها وهو فـي حـالة الصحة، وقبل أن يصلي بالناس، وسيأتي شرح ذلك بأسناده، وذلك كما مرّ فـي شرح أحوال أبي بكر.

تدبير الفتنة

وعمر هو الذي انفرد مبدئياً لجمع شتات حزبه، وفي عداده أبو عبيدة بـن الجراح، وترقّب مجيء أبي بكر، ودبّر وأعدّ كلمته التي يقول فيها: إن رسول الله لم يمت. مهدداً من يقول بموته، وذلك كي يهيّئ الجو المناسب لمجيء أبي بكر وأخذه إلى السقيفة التي دبّر أمرها بليل (كما في حديث السقيفة)، وجـادل الأنـصار،

---

(١) «شرح نهج البلاغة» ج١ ص٦١ وج٢ ص٢٠.

وأسرع بمبايعة أبي بكر بالخلافة، فكان أول غاصب ومعدّ لأعظم فتنة وانـقلاب قام به خلافاً لأمر الله ورسوله، ونقض بيعة علي الذي بايعه بمحضر رسـول الله والمسلمين يوم غديرخم وهنّأه بالولاية. وقد مرّ اعترافه بأسناده يوم عجز عـن الحكم بين متخاصمين، وأحال ذلك إلى علي، حتى إذا حكم اعترض عليه أحد المتداعيين مستصغراً علياً، فقال له: ويـلك! إنـه مـولاي. مشـيراً فـيها إلى يـوم غديرخم. الذي أصبح فيه علي مولى للمسلمين جميعاً بعد رسول الله، وأميراً لهم وخليفة لرسوله.

ولم يكتف عمر بأنه كان أول من بايع أبا بكر بل هـيأ له الجـوّ، وحـرّض الآخرين حتى بايعوه، وخرج معه خارج السقيفة وأعلن خلافته، وفي الطـريق أجبر من وافاه على بيعته.

شجاعة عمر وجهاده

كان عمر حذو النعل بالنعل مع صاحبه أبي بكر، فلم تذكر له أو لصـاحبه تضحية واحدة من تلك التضحيات العلوية في بدر وأحد وخيبر والخندق وحنين وغيرها. أما في خيبر فلأن عمر تقلّد إمارة الجيش للزحـف عـلى اليـهود كـان اندحاره عظيماً، ظهر هذا من قول رسول الله ﷺ حينما قال: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار». ولا يخفي مدلول هذه العبارة في إشارتها الى أنّ أبا بكر وعمر كانا على النقيض من ذلك، في الحبّ لله ورسوله، وفي حبهما لهما وفرارهما. وقد ذكر ذلك مفصّلاً عند ذكر يوم خيبر، ولقد كان عمر وأبو بكر دائماً مع الفارّين في الحروب، وخـاصته فـي خـيبر وأُحـد وحُنين، ومن المتخلفين عن جيش أُسامة.

وجاء في «تاريخ ابن عساكر» ج٧ ص٣٩١ قال: قام رسول الله يطوف البيت على بعير، وعبدالله بن رواحة آخذ بحرزه وهو يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله   خلّوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم عن تنزيله   ضرباً يزيل الهام عن مقبله
ويذهل الخليل عن خليله   يا ربّ إنّي مؤمن بقبله

فقال له عمر: أوَهاهنا يابن رواحة أيضاً؟! فقال رسول الله ﷺ: «أوماتعلمن، أولاتسمع ما قال؟» وفي رواية أبي يعلى أن النبي قال: «خلّ عنه يا عمر! فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل».

وقد مر في محاجّة المأمون مع الأربعين عالماً في أحقيّة الخلافة ومؤهلاتها في عليّ، فإن أبا بكر ـ الذي هو أفضل من عمر في السابقة والدين والعلم والسنّ وكلّ شيء ـ لم يفز على عليّ فلم يدرك شأوه في إحداها، فكيف بعمر الذي اعترف بعجزه في كل شيء، كما اعترف بفضل علي عليه، واعترف بأعماله وسوء منافسته لرسول الله وخليفته، وتدبيره لصدّ رسول الله، وحسده لعلي وآل بيت رسول الله، فلم يأل جهداً حتى في القضاء المبرم عليه وفي إبعاده عن الحكم في حياته وبعد مماته، حتى أحالها الى بني أمية، وهيأ لهم الملك بنصب معاوية وتقويته وإسناده، ووضعه للشورى، تلك التي وثق من مآل الأمر عن طريقها لعثمان.

❊ ❊ ❊

آراؤه في حياة رسول الله

لقد مرّ بنا ورأينا آراءه التي طالما أثارت غيظ رسول الله وحنقه، حتى هدّده ﷺ وهو آخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه، وقال له: «ماأنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، كما مر في «شرح النهج» ج ١ ص ٩٥.

ورأيناه في مجلس الخمر يرثي موتى مشركي قريش وهو سكران حتى غضب عليه رسول الله فقال له: انتهينا، انتهينا! وأما سلوكه فقد كان خشناً فظّاً غليظاً قبل الإسلام وبعده، وكان للخمرة ـ قبل إسلامه، وحتى عام الفتح وبعدها حتى وفاته ـ أثرها في حياته لأنه كان مدمناً عليها كما مرّ.

ولقد كانت غلظته وفظاظته، وتعسفه بعياله وأصحابه وصحابة رسول الله، وأخص منها ما في عهد أبي بكر وخلافته، على أشدّها، حتى كانت تنفر منه الرجال والنساء.

أقوال الاستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود

وإليك ماكتبه الاستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود في الجزء الأول من كتابه عن عمر قوله: «حتى ليعدّ عليه أنه فارق من تزوج بهنّ في الجاهلية، وطلّق الكثيرات بعد الإسلام، وكانت النسوة المسلمات على الإطلاق ـ إن لم يكرهنه ـ يرهبنه، ونتبين ذلك حين دخل ذات يوم على رسول الله وعنده نسوة يلغطن بالحديث، ففررن

لدى دخوله وتركن له المكان، وساءه منهن هذا الفرار فصاح بهنّ:

يا عديّات أنفسهنّ، أتهبنني ولاتهبن رسول الله؟ فلم يفت النسوة أن يثأرن منه ـ مع ألسنتهنّ الطويلة ـ بالجواب خشناً دون مواربة أو خفاء: نعم.. لأنت أغلظ وأفظ! واللائي عرفنه من النساء، وطمع هو في أن يسكن إليهنّ بالزواج، أبَيْنَ عليه لم يشفع له لديهنّ سلطانه». ويتابع عبدالمقصود قوله:

«فاعجب إذاً لهذا السلطان المستطيل كيف لا يستهوي المرأة!».

ردّ خطبته

ويردف عبدالمقصود قوله: «أرسل ذات يوم من لدنه رسولاً الى أم أبان بنت عتبة بن ربيعة يخطبها له، فكرهت لنفسها المقام عنده زوجة، وردت رسوله وهي تقول: «كلاّ.. إنه ليغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً ويخرج عابساً».

تلك نبذة حقيقية عن الرجل مع أرقّ جنس وألطفه مع الرجل، وهذه هي معاملته لها، أما مع الرجال فيعلم الله كما كان يقسو عليهم حتى أنهم كانوا يفرّون منه، سواء منهم الصحابة القريبون والبعيدون، وحرّج عليهم حريّة التفكير وحرية الكلام، وتدوين الحديث والنطق به، وتدوين السنّة التي تلي في الأهمية كتاب الله، والمفسّرة له والمبيّنة لمجمله ومتشابهه. كما أنه كان يحرج الصحابة ويمنعهم من مغادرة المدينة، ويبث جواسيسه في الأقطار لمنع الحديث والسنة، ولشدّ ما كانت تؤثر عليه الأخبار إذا وصلته ـ صحّت أو كذبت ـ حتى يقع على من ألقيت ونسبت إليه، ولطالما نفت حنقه معذّباً. وسنورد شيئاً منها بأسناده إن شاء الله، وإليك نبذاً مما قاله فيه صحابة رسول الله، بعد أن أوردنا نبذاً مما جرى له مع رسول الله ﷺ.

شدّته مع الصحابة ومشاطرته عماله أموالهم

فهو أول من استعمل الشدة مع أصحاب رسول الله فأهانهم وحقّرهم وضربهم وحبسهم وضيّق عليهم. وهو أول من شاطر عماله أموالهم دون حقّ ودون دليل، وخلافاً للعرف والسنة، وجعلها سنّة من بعده يمارسها خلفاؤه من بني أُمية الذين وطّد لهم الملك فأثابوه بالعمل على وضع الروايات والأحاديث المختلقة، ودسّوا فيها ما شاءوا من الفضائل والكرامات الزائفة له ولصاحبه أبي بكر، وهو بهذا قضى على حريّة الناس في أموالهم، مخالفاً ما جاء في الكتاب والسنّة من أنّ الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم. وقد بحثنا هذا في الشكايات وكما ورد في «الفتوحات الإسلامية» ج ٢ ص ٤٨٠، وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي: ص ١١٠.

عمر يحرق بيت الزهراء

إنه نفسه من أحرق بيت فاطمة الزهراء البتول، ويسقط جنينها وهي سيدة نساء العالمين، ويرعب ولديها الحسنين سيّدي شباب أهل الجنّة، وريحانتي رسول الله، ويسوق أخاه ووصيّه وخليفته من بعده، والذي بايعه في غدير خم وهنأه بالولاية، وهو يعلم أن فاطمة بضعة رسول الله، من آذاها فقد آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله، ذلك ما حدّث به رسول الله وأيّدته الآيات النازلة فيها وفي بنيها وبعلها: آية الطهارة، وآية المباهلة، وآية الولاية، وهل أتى

وغيرها، وما قاله فيها رسول الله من أحاديث كحديث الثقلين وغيره الكثير في علي وبنيه وزوجه الطاهرة.

وعمر يعلم أن مبغض علي منافق فاسق وكافر، وهو يعلم الآية الكريمة: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾[١].

كلّ هذا يعلمه عمر، ويرويه الصحابة والمفسرون والمؤرخون والحفّاظ..

وبعد هذا يأتي الشاعر المصري حافظ ابراهيم المتوفى سنة ١٩٣٣ م ـ ١٣٥١ هـ، وفي حفل كبير حاشد يلقي قصيدة أسماها بـ«العمريّة» يشيد فيها بعمل عمر المشين، حين أحرق بيت فاطمة وساق بعلها ليبايع. ومما قاله شاعر النيل هذا:

وقــولةٌ لعــليّ قــالها عــمرٌ ... أكــرم بسامعها أعـظم بـملقيها

حرّقت دارك لا ألقـي عـليك بـها ... إن لم تبايع، وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يـفوه بـها ... أمـام فـارس عـدنانٍ وحـاميها

تراه يلقي هذه القصيدة على الجموع المحتشدة مشيداً بها بفعلة عمر، وإرغامه علياً، ونقض بيعته وموالاته له في غديرخمّ وغيره، وإغضابه وإغضاب فاطمة وإيذائها، والتسبب في جزعها ورعب الحسنين سيّدي شباب أهل الجنّة، أولئك الذين نزلت فيهم الآيات البينات، في طهارتهم من الرجس، وفي مدحهم وولايتهم والغضب لغضبهم، وفي أن من عاداهم وآذاهم إنما هو منافق فاسق كافر.

إنه الإقرار من الشاعر وإقرار من الجمع المحتشد المستحسن للقصيدة رغم ما تبينه من الظلم والإجحاف لوليّ رسول الله وأخيه وابن عمه وزوج بضعته سيدة

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

نساء العالمين، والتي قال فيها رسول الله: «من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».

وقد مرت جميع الأحاديث والروايات والآيات المرتبطة بذلك في الجزءين الخاصين بعلي مع أسنادها. ونحن نوجّه نظر القارئ الحكيم المنصف ـ الذي يعترف بالإسلام وأصوله ـ إلى أن يحكم على من قام بهذا الظلم العظيم، وعلى من أيده من أمثال حافظ إبراهيم، وعلى من أشاد بمؤيّده، والظالمون بعضهم أولياء بعض، ومن أحب عمل قوم حشر معهم، وقد قال الحكماء: «حدّث المرء بما لا يليق، فإن صدّق فلاعقل له». لئن صدقتم ما لايليق فقد حكمتم على أنفسكم بذهاب العقل، وحكمتم على أنفسكم بتأييد الظلم والقسوة ومخالفة الله ورسوله.

* * *

الاحتجاج على عمر من الحسين وأم سلمة وزينب بنت جحش وأبي بكر

الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة يخاطب عمر طفلاً، وعمر يتحدث على منبر رسول الله، فيقول له: «انزل عن منبر أبي»! أخرجه ابن حجر في «الصواعق المحرقة» ص١٠٥ ط مصر ١٣٢٤. إنه حديث طفل بريء رأى الظلم والاغتصاب فاستنكرهما.

وهذه زينب بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين، تخاطب عمر بقولها: «وإنك لتغار علينا يابن الخطاب، والوحي ينزل في بيوتنا»؟[1].

---

(١) أخرجه ابن حجر في «صواعقه»: ص٥٩.

إنها تخاطبه ولم تخاطب غيره، لأنه تجاوز حدود الأدب وتعرض لإحدى أمهات المؤمنين في بيت الرسالة، فما الرأي في ذلك، وهل هو يرضي رسول الله أم يغيظه؟!

وهذه أم المؤمنين، أم سلمة، ترى ابن الخطاب يتدخل في شؤون زوجات رسول الله، حتى تثور عليه كل منهن وتنهره وتشكوه الى رسول الله! تقول له أم سلمة: «عجباً لك يابن لاخطاب، دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه»![1]

وها هو في جولة من جولاته مع أبي بكر، فقد كان من طبيعة عمر الشدة والغلظة، وميله الى مخالفة رؤسائه، حتى كان يدلي بآراء تجافي المنطق، وكان بعمله هذا يثير غيظهم عليه ويذكي غضبهم لخروجه على الأصول والقواعد المرعية في سلوكه، وها نحن نراه حتى مع أبي بكر صاحبه، والذي كانت له اليد الطولى في تنصيبه خليفة بعد رسول الله، والذي حاك معه المؤامرات المديدة في بيت رسول الله، ورغم ما بينهما من أسرار ومنافع متبادلة نرى أبا بكر يغضب عليه حينما أشار عليه عمر بعزل أُسامة من إمارة الجيش، الموقع الذي نصبه رسول الله فيه، وقد وجد أبو بكر في هذا خطراً على سياساته وافتضاحاً لأمره وسلوكه، فهو من قبل قد اغتصب الخلافة من علي الذي بايعه مع ابن الخطاب في عهد رسول الله بغدير خم، وقدما له معاً التهنئة على الإمارة وولاية المسلمين، وهما حديثا عهد بذلك لايزالان، والدم لايزال يفور غيظاً في عروق المخلصين المتقين من الصحابة على هذا التجاوز المشين لحدود الله، والغائلة لمّا تهدأ، وهذا علي المرتضى يسكت لاجبناً ولا خوفاً من القوم ـ وهو من هو ـ وإنما وصية سبقت له من رسول

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» ج١ ص٥٧٩ ط مصر ١٣٢٧.

الله بالسكوت حذر الفتنة، وحذر انفلات الأمر من يد المسلمين، والاسلام غض طري لايزال، ويعود الأمر إلى المشركين والمنافقين والنصارى واليهود المتربصين للمسلمين بالمرصاد. وأبو بكر لاتخفاه الصورة، وهو يعلم أن الأمير الشاب أُسامة الذي جاهرهم بقوله: «أنا أميركم، فمن أعطاكم الحق في هذا الاختيار»؟! إنه مستعد للانقلاب عليهم، وله أعوانه وأنصاره، وهذا ما خفي على عمر، أو أبعدته خشونته عن الصواب فأشار بعزل أُسامة، وهكذا ليس أمام أبي بكر إلاّ أن يعالج الأمر بالهدوء والحكمة، ولم يفته أن ما يؤخذ باللين لايؤخذ بالشدة، وأن النحو إلى استمالة أُسامة وأنصاره خير له ولحزبه. فقام الى عمر حين أشار عليه بذلك وأخذ بلحيته وقال:

«ثكلتك أُمك وعدمتك يابن الخطاب! استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه؟ جئتني بخذلانك جباراً في الجاهلية خوّاراً في الإسلام»؟![1].

وبهذه السياسة برهن أبو بكر على تدبيره فأقنع أسامة وحزبه، تحفّظاً إن كان مخالفاً مبغضاً لهذه الألعوبة، ولهذه الخلافة المغتصبة، وهو شاب لايرعوي أن يخلق لهم فتنة كبرى، وهو أمير الجيش بأمر رسول الله. وإذا به ينقلب لغضبة أبي بكر المصطنعة على عمر، ويأخذ جانب أبي بكر، وهو إذ فعل ذلك فإنما أصبح خصماً لعلي وآل بيت رسول الله، كما سيتبين لنا من انحيازه الى أبي بكر وعمر وعثمان بما أُغدُقوا عليه من أُعطيات، وبقي على ذلك حتى آل أمره إلى الاعتزال في من اعتزل مع سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر، ولم يبايع علياً بعد

---

(١) ذلك ما جاء في «تاريخ الأُمم والملوك» ج٣ ص٢١٢، و«تاريخ الخلفاء» ص١١١، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٣٧٧ ط مصر ١٣٥٤. وفي «الصواعق المحرقة» ص١٨. و«حياة الحيوان الكبرى» ج١ ص٤٥.

مقتل عثمان.

جواب على ردّ

لئن سألتني أيها القارئ الكريم: إذا كانت تلك حال عمر فكيف كان يشمخ بأنفه بين قومه في زمن خلافته؟ فأقول: من عادة الرجل الخشن المستبد أن يحافظ على تكبّره وشموخه سيّما إذا أعانته الظروف على ذلك، لكننا لانستطيع ـ ونحن نستعرض التاريخ وأحداثه ـ أن نقول إنه كان موفقاً، وإن زعمنا أنه كان موفقاً في أهدافه الشخصية، فهل بالإمكان القول إن شعبه كان موفقاً؟ وإن ادّعينا أن شعبه كان موفقاً في عهده، فهل يمكننا القول إن الشعب استمرّ موفقاً بعده؟ وإذا كانت مثل الفكرة الإسلامية فنحن لانستطيع إلا أن نقول عن الأمة الإسلامية جمعاء من عرب وعجم وما لحقها من نتيجة أعماله.

وعلينا أن نعود إلى البذرة التي بذرها نبيّها الأكرم وقائدها الأكبر، والمنهج الذي انتهج، والهدف الذي أراده، ونتساءل: هل ظلت تلك الأهداف باقية؟ فترى أن أهداف محمد ﷺ من قيامه سعادة العالم كلّه لا العرب فحسب، وأن تكون على أساس المساواة والعدالة الاجتماعية طبق كتابه وسنته التي استنّها، وأنه كان مبعوثاً من الله، وأنه ما كان ينطق عن هوى بل هو وحي يوحى، وأنه كان يستبق عدالته بالبر والإحسان، وكان العقل والدليل المنطقي سائدين في كل شيء، حتى في الكتاب السماوي، وحتى في الشرك، كان منطق القرآن أن من كان يشرك بالرحمان ولا برهان لديه على شركه فسوف يعذب، ومما لاشك فيه عند العقلاء والحكماء أنه ليس هناك منطق ودليل على أن لله شريكاً.

ثم إن أهداف النبي كانت الرأفة والرحمة، والعدالة والمساواة، والتفاهم

والخبر العميم، وعدم التفريق بين عربها وعجمها، وتقديم ذوي السابقة والعلم والتقوى والبر والإحسان على غيرهم، ولم تكن أهدافه هذه للحجازيين أو لأهل الجزيرة العربية فحسب، بل كان يرمي إلى أن يعم ذلك العالم كله، ومن كان هذا هدفه فهو لم يترك الأمور على غاربها، وهو يدرك من حوله، ويعرف أغراضهم ومراميهم، ويعرف أن الشرك ما زال متغلغلاً في النفوس، وأن الجهل والنفاق يعمّان أكثر من أسلم، وأن الحسد والحقد يغليان في الصدور، ويعرف أن أكثر الصحابة الذين بايعوه، حتى أُولئك الذين بايعوه تحت الشجرة، قد ينقلب أكثرهم ويفرّون كما فعلوا في كثير من الحروب إذ تركوه مدبرين، كما في وقعة حنين إذ أخذ عمه العباس يناديهم ويذكّرهم: يا أهل بيعة الشجرة! وعندما رأوا صمود رسول الله وعلي والعباس والخمسة الآخرين رجعوا، وكان ممن فر أبو بكر وعمر، عمر نفسه الذي طالما كان يشك برسالة الرسول ويعارضه كما مر. وكانت العصبية القومية والآراء الجاهلية تستحوذان عليه، وإلاّ فلماذا قتله أبو لؤلؤة، ولماذا قتل عبدالله ابنُه الهرمزان وابنته وغيرهم ظلماً وعدواناً دون دليل أو برهان؟ ومن الذي أعطى الحق لعثمان في أن يطلق سراح عبدالله بن عمر ويعفو عنه؟ أكان ذلك حكماً إسلامياً شرعياً؟!

نعم.. هل بقيت أهداف رسول الله وخططه سارية بعد موته؟ هل بقي سارياً نصبه علياً في غديرخم، والأمر بموالاة علي في سورة الموالاة، نصبه علماً ونصب ذريته عدول القرآن حينما قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»؟

هل بقيت أهداف القرآن بتعميم البر والإحسان في أحكام القرآن وسنن نبيه بعد رسول الله، أم أنها طمرت بإقصاء آل بيت الرسالة، وغصب حقهم في

الخلافة وفدك وغيرهما، ومنع الزكاة، وإقصائهم عن مناصبهم؟ هل ظلّت الحقيقة ناصعة، وظلّ الحق عالياً بموت رسول الله أم أنهما زالا بإقصاء آل البيت والصالحين من الصحابة، وتولية آل أمية والطلقاء منهم وعلى رأسهم معاوية ومروان بن الحكم شرّ المنافقين والفاسقين والملحدين، وتولية المغيرة بن شعبة أزني قريش، وتولية المنافق البغيض عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد السفاك الفاجر قاتل المسلمين كمالك بن نويرة، والزاني بالمحصنة زوجته بشهادة عمر بن الخطاب، هل ظلّت أهداف القرآن والرسول الأكرم بعد أن استودعها أبو بكر عمر. وأسلمها عمر الى الشورى أي الى عثمان ملكاً خالصاً لبني أمية يلعبون بها كيفما شاءوا، ويصلّون بالمسلمين وهم سكارى.

مكارم أخلاق عمر

إذا نجح عمر في حروبه، فهل نجح في صدد الأخلاق الإسلامية السامية؟ وهل كان ما يهدف إليه عمر بن الخطاب نفس ما يهدف إليه رسول الله من إصلاح عالم البشرية، أم كان هدفه الملك، كما قال يوماً: لايدري عمر هل هو ملك أم خليفة؟ وحقّ له أن يقول ذلك. فهذا التاريخ يرينا أن أعظم الفتوحات جرت في أيام عمر، لكنها بذرت في عهده كذلك أعظم بذور الشقاق والنفاق والخلافات والمذاهب، فهو وحده الذي أقصى آل البيت وخالف الله ورسوله في إقرار حكم أهل بيت الرسالة، وهو وحده الذي خلق الفتنة الكبرى فتنة اغتصاب منصب الخلافة من علي، وكسا بها أبا بكر، وهو كما قال علي مخطاباً إياه: احلب حلباً يا عمر فإن لك شطره غداً، وهكذا كان. فإذا زعموا أن المسلمين أجمعوا على تولية أبي بكر فقد عهد بها أبو بكر وهو يعاني السكرات وأشد حالات مرضه الى عمر،

وأحالها عمر وهو في أشد حالات مرضه أيضاً الى الشورى، بعد أن دبّرها ووجه بها آخر ضربة لآل الرسول وأهداف الرسالة فقدمها لآل أُمية ألدّ أعداء الرسالة، وخلق من أبناء الطلقاء ـ وممن لمّا يزل دم الشرك يسري في عروقهم ـ مسلوكاً يفتكون بخيار الصحابة، ويسبّون آل بيت الرسالة، وأعظم إنسان بعد رسول الله قام بسيفه الإسلام، وجعلوها بدعة بعدهم، ودسّوا الأحاديث المختلقة والمزيفة بعد أن قضى أبو بكر وعمر على الصحابة في الحروب، وشتتهم في البلاد، ومنعهم من تدوين الأحاديث حذر افتضاح حكمهم، فجزاهم بذلك آل أُمية بعد أن نسبوا إليهم فضائل وكرامات غيرهم، كما نسبوا قبائحهم ورذائلهم إلى آل بيت الطهارة!

ورغم ذلك فقد أبى الله إلا أن يتمّ نوره، فنرى معاوية نفسه والذي دسّ وزيّف يشهد في كتابه الى محمد بن أبي بكر بما أمر به رسول الله، وما خالفه أبو بكر وعمر وآل أمية التابعون لهم، وسنرى قصيدة عمرو بن العاص الجلجليّة لمعاوية وفيها يكشف الحقائق، والفضل أخيراً ما شهدت به الأعداء وغيرهم وغيرهم، وسنعود الى ذكر كلمات لبعض الصحابة قالوها في عمر بن الخطاب:

❊ ❊ ❊

الاحتجاجات على أبي بكر وعمر

احتجاج الصحابة

جاء في كتاب «عمر بن الخطّاب» أن جماعة من الصحابة قالوا لأبي بكر إبان وفاته، بعد أن رأوه يعهد لعمر: «ماذا أنت قائل لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته»؟!

احتجاج الناس

يقول محمد بن عبدالكريم الشهرستاني في «الملل والنحل» ص١١٤ ط مصر: لما أراد أبو بكر، في مرضه الذي مات فيه، تقليد عمر بن الخطاب زعق الناس وقالوا: لقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً.

سعد بن عبادة: يقول له سعد بن عبادة سيّد الأنصار: «والله ما جاورني أحد هو أبغض إليّ جواراً منك»[١].

طلحة: عمر يعترف بأن رسول الله مات وهو راض عن أفراد الشورى الستة الذين انتجبهم! وطلحة، أحد أعضاء الشورى، يخاطب عمر، فيجبهه عمر عندما أراد أن يتكلّم بقوله له يوم الشورى: «قل فإنك لاتقول من الخير شيئاً»![٢]

أبو عمر حفص بن المغيرة

هذا أحد الصحابة المعروفين يشهد بحقّ عليّ الذي نزعه عمر، وحرمه

---

(١) «نهج البلاغة»: ج٢ ص٤.

(٢) «شرح نهج البلاغة» ج١ ص٦٢.

بالتآمر حقه، وهو أبو عمر حفص بن المغيرة، ويقول: «والله ما أعذرت يا عمر، ولقد نزعت فتى ولاّه رسول الله، وأغمدت سيفاً سلّه رسول الله، ووضعت أمراً رفعه رسول الله، وقطعت رحماً، وحسدت بني العم»! راجع كتاب «بين يدي عمر» ص ٧٥، و«حياة الصحابة» ج ٢ ص ٢٣١. حقاً ما أحسن قول أبي عمر رحمه الله، فقد أوجز وأبلغ، وخير الكلام ما قلّ ودلّ، وقد شهد على عمر بفعاله، فأين منه الشاعر المصري حافظ إبراهيم في قصيدته التي يجلّ فيها من فعل ما فعل مع رسول الله وأخيه ووصيّه! والظالمون بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف!

أبو عبيدة بن الجراح

وإليك ما قاله أبو عبيدة بن الجراح، وهو صاحب أبي بكر وعمر، وأحد المتآمرين على اغتصاب الخلافة، وأقرب الأقربين الى عمر نفسه والذي يشهد عمر بفضله، اسمعه يخاطب عمر قائلاً: «دنّست أصحاب رسول الله»[(١)].

عمرو بن العاص

وحتى عامل عمر على مصر ـ عمرو بن العاص ـ يلعن الزمان الذي أصبح فيه من عمّاله قائلاً: «لعن الله زماناً صرت عاملاً فيه لعمر»![(٢)].

المغيرة بن شعبة

وقال عامله الآخر على البصرة، المغيرة بن شعبة، ذلك الفاجر الفاسق الزاني الذي لم يقم عليه حدّ الزنى، بل إنه لم يعاقبه أو يوبّخه وقد شهد عليه عمر نفسه

---

(١) كتاب «عمر بن الخطاب» ص١١٨.

(٢) «شرح نهج البلاغة» ج١ ص٥٨، و«صوت العدالة الإنسانية» ج٤ ط بيروت ١٩٥٨.

بمكة يوم رأى أم جميل[1]، قوله: أخشى أن تنزل عليه صاعقة تحرقه إذ حكم لأجله بغير ما حكم الله ورسوله، حيث حكم على الشهود العدول من صحابة رسول الله بالافتراء والقذف، وأجاز المغيرة حيث نقله الى ولاية الكوفة، وكانت أعظم شأناً بكثير من ولاية البصرة.

هذا المغيرة نفسه نراه يشهد على صاحبه الذي كان للمغيرة اليد الطولى في خلافته، وغصب علي، وما جازاه به من أحسن الجزاء، وأي جزاء أعظم من أن ينصبه ـ وهو المكّار الزاني المنافق ـ على رؤوس المسلمين فيرفع مقامه من ولاية البصرة الى ولاية الكوفة، بعد أن يقطع ألسنة أعدائه من الصحابة؟ يقول هذا المغيرة في عمر:

«فيك غلظة، ونحن نهابك وما نقدر أن نردّك عن خلق من أخلاقك». «العقد الفريد» ج٣ ط مصر ١٣١٦. أليست هذه شهادة صديق حميم على غلظة عمر وأخلاقه الحميدة؟!

عيينة بن حصن:

وهذا صحابي آخر هو عيينة بن حصن يخاطب عمر قائلاً:

«هيه يابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولاتحكم فينا بالعدل»[2].

سعد بن عامر

قال سعد بن عامر: «ألا فشرّ أيامي أيام عمر»[3].

---

(١) ام جميل هي التي اتُّهم المغيرة بها وشهد عليه الشهود.

(٢) «المستطرف» ج١ ط مصر، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٥٥، و«حياة الصحابة» ج٢ ص٥٩٨.

(٣) «الفتوحات الاسلامية» ج٢ ص٤١٨.

قول الشعبي

ولقد ضيّق عمر على قريش والمسلمين، وحبس الصحابة، ومنع الحريّة الفكريّة والكلاميّة، والحديث وتدوينه،وتدوين السنّة وأي قول فيه تنبّؤ أو شيء آخر، ومنع الصحابة المقربين من الخروج، وجعل عليهم العيون والجواسيس في المدينة وخارجها، وضيّق عليهم، ولقد كان قتله بيد أبي لؤلؤة فرجاً بيّناً لهم جميعاً، فقد ضاقوا به رغم الفتوحات وتطوّر الوضع الاقتصادي الذي كان له الأثر المهم في بقاء عمر في السلطة، وفي إشغال المسلمين عنه، وإلاّ لأحاطت قريش وبقية المسلمين بحكمه، وهاك ما قاله فيه الشعبي:

«ما قتل عمر بن الخطاب حتى ملّته قريش، واستطالت خلافته»(١).

فما هي استطالة هذه الخلافة؟ أليس كانت حوالي خمس عشرة سنة، كلها فتوح درت على المدينة والمسلمين الأموال الطائلة والغنائم، ودرّت على النساء منهم ما لم يكنّ يحلمن به من الحلي والجواهر والأموال، وعلى الرجال مثل ذلك إضافة الى المماليك والإماء، وتبدلت أوضاع الناس وانتفى العسر والضيق الماليّات، ورغم هذا نتساءل: لماذا ملّت قريش والمسلمون حكم عمر؟ لابدّ من حمل ذلك على فظاظته وغلظته، وشدّته على الناس وحبسهم بالمدينة وخارجها، وتضييقه على أفكارهم وأفواههم، والحكم فيهم بفتاويه الخارجة عن نطاق الكتاب والسنة.

* * *

---

(١) «شرح النهج» ج١ ص١٦٨.

استخفافه بالنصوص والسنّة واجتهاداته

امتازت أحكامه بعدم التقيد بنصوص القرآن والحديث، وكذلك بالاجتهادات الكثيرة في موارد النصوص، وإسناد الحكم الى غير أهله، والقضاء المبرم على ذوي الرأي والحنكة من أهل الخبرة والصلحاء، ومنهم أهل بيت الرسالة، إلا ما كان يضطره الى مشورتهم وهم تحت الكبت والضيق الشديد، وأخذهم بالكلمة والحديث، فهو مرة يحكم ويقيم الحد بناء على إخبار غير مسند، كما ناصف عماله لأبيات شعريّة أرسلت له! وأجرى الحد على مسلم بشهادة فرد واحد كما سيأتي، وفي أُخرى لايقيم الحد حتى بشهادة أربعة من الشهداء كما في قصة المغيرة، وستأتي في الشكايات بالتفصيل، ثم يعاقب الشهود وينعم على المغيرة بإعطائه مقاماً أسمى، ونراه فيما بعد يشهد على نفسه وعلى المغيرة بذلك!

وكان يتجسّس بنفسه، ويدخل البيوت من دون استئذان أهلها مخالفاً بذلك صريح القرآن: ﴿ولاتجسّسوا...﴾. كان يشرب النبيذ ويحدّ من يشرب من نبيذه! وقد مر ذكر ذلك بأسناده. وكان يفتي في موضوع واحد فتاوى مختلفة، فإذا لفتوه الى ذلك أجاب: هكذا أفتينا، وهكذا نقضي!! فالأُمور بنظره تجري دون قيد من كتاب أو سنّة، بل تجري كيفما ارتأى وكيفما شاء!

وقد ملّ القوم حكمه رغم انشغالهم بالغنائم، وقد ظهر للجميع أن ما فرضه الإسلام للإنسان كثير كحريّة الفكر وحرية السلوك وحرية الكلام، ومحاكمة الأُمور بالحجة والدليل والمنطق السليم، فمنع عمر كل هذا.

ولايخفى أنّ حكم الخليفة في قومه كحكم الأب في عائلته، ونرى أن نقاط الضعف ونقاط القوة عند الآباء والمربين لاتخفى على الأبناء، وتعتمد تربية الأبناء على المقدرة التربوية عند الآباء، فيشبّ الأبناء على الأخلاق السامية أو يشبّون على الرذائل. فالأب المتسلّط الذي لايأبه لحقوق أبنائه فيأمر وينهى ويزجر ويعاقب على هواه، ومن دون مراعاة لمشاعر أبنائه وحاجاتهم ومتطلباتهم، والضروري منها خاصة، نراه ينشئ أبناء يضمرون غير ما يظهرون، ويتوسلون بالحيلة واللف والدوران للوصول الى مقاصدهم، ويجرهم ذلك أحياناً الى الكذب والخداع والنفاق، وربما الى السرقة، فيظهرون الطاعة ويبطنون العصيان مكراً وخداعاً وتلفيقاً، ويترقبون الفرص للتخلص من هذا النير وهذا الضغط الشائن. ولا تختلف أحوال الرعية عن ذلك، فهذا شأنهم أمام حاكم غاشم شديد غليظ، يرهبه الكبير والصغير والعبد والحر، ويجتنبون التحاكم إليه، وهنا تتضارب الآراء والأحكام. وتسود الفوضى والبلبلة، خاصة إذا كان للمرء غايات شخصية ومقاصد ذاتية أنانية، فنرى مثلاً أن عمر خلق مشكلة اسمها السقيفة بدسّ الخلاف بين الأوس والخزرج ليلاً، حتى إذا اجتمعوا نهاراً ترقّب الفرصة، ودس نفسه وصاحبيه أو قل الأربعة، واستغلّ الفرقة بين الأوس والخزرج، وأعلن مبايعته لأبي بكر متنهزاً الظرف والفرصة بقوله: «الأئمة من قريش».

وهو إذ كان يشيد بهذه البيعة نراه يعود ليقول فيما بعد: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها»! ومع أنه القائل: الأئمة من قريش نراه يقدم أهل بدر على أهل أحد، والمهاجرين على الأنصار، ويقدم كليهما على الطلقاء، ثم إذا به يقدم أبناء الطلقاء، ثم يصرح بتقديم الموالي فيقول: «لو كان سالم حياً ما يخالجني فيه شك»! وذلك قبل الشورى، وهل سالم سوى عبد لامرأة من الأنصار، أعتقته وحاز

بذلك ميراثه، ولم لايقول عمر فيه كلمته تلك وسالم أحد العصبة التي عاضدته على المؤامرة في السقيفة مع حفار القبور أبي عبيدة بن الجراح، فأطاحوا بصرح الخلافة التي أمر بها الله وأقامها رسوله ﷺ. هذا التلاعب دعا الى وجوم القوم وبلبلة أهل الشورى الستة وهم من قريش أمام هذه الكلمة القاسية، فمن هو سالم؟ لا هو من المهاجرين ولا من الأنصار، ولا ممّن عناهم عمر بقوله إن رسول الله مات وهو راض عنهم.

أهكذا ينظر عمر في أُمور المسلمين وهذه هي أهدافه؟ من هو سالم، وما هو شأنه؟ وكيف جاز لعمر أن ينتخب للمسلمين خليفتهم دون مشورتهم؟ ولماذا لم يدع الأمر لاختيار جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار وأهل الرأي طالما لا يرغب أن تكون لآل بيت الرسالة؟ ألم يكن أحد أحق بهذا الأمر غير عثمان وآل أمية؟ وهو يدري أن معاوية ابن عم عثمان، وأن عبدالرحمان بن عوف صهر عثمان وأخوه بالمؤاخاة، وأن سعد بن أبي وقاص صهر عبدالرحمان، وأن طلحة من تيم، وأما الزبير فقد ظهر أنه مع عائشة خصيمة علي، فهل كان يهدد بهؤلاء كلهم غير علي؟ ومن أعدهم وهيأهم غير عمر؟ ولماذا جعل مقر الشورى بيت عائشة ألدّ خصوم آل البيت؟ ولماذا أسكت ابنه عبدالله عندما سأله قائلاً: لماذا لم تجعلها في علي؟!

عبدالملك بن مروان

وتعال معي الى عبدالملك بن مروان الأموي ألد أعداء بني هاشم وآل بيت الرسالة الذي أشاد حكمة عمر وأسنده بأسناد عثمان ومعاوية ومايقوله في عمر: «يا معشر قريش، وَلِيكُمْ عمر بن الخطاب فكان فظّاً غليظاً مضيّقاً عليكم»[(١)].

---

(١) «مروج الذهب» للعلامة المسعودي: ج٢ ص٩٣ ط مصر ١٣٠٣.

الزهري

قال الزهري: «كان عمر شديداً على قريش»(١).

ما الذي يقصده بقوله: «كان شديداً على قريش»؟ إن قالها باعتبار أن قريشاً سيدة العرب، وكان شديداً عليها فهو على غيرها من العرب أشدّ، وأما على غير العرب فكان أشدّ كما مر في معاملته مع العجم، ولاينكر أحد أنه لم يكن يسمح بسؤال عن حديث وجوابه، وإبداء سنّة والإجابة عنها حتى ليسخط على من طلب تفسير آية مجملها أو متشابهها. ولكم هوت درّته على السائلين، وهناك من لقي حتفه لسؤال متشابه، وهناك من أمراء العرب من هوت عليهم درّته لمحض أن سمع «قدم أمير قبيلة ما» فما هذه الفظاظة والصرامة تصدر عن خليفة كان جديراً بترسم خطى سيده رسول الله الذي طالما عنّفه على تلك الشدة، وهذا كتاب الله يمدح نبيه على أخلاقه السامية ورأفته ورحمته، ويوصي بالبر والإحسان ولين الخلق وسماحته. وقوله تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾(٢). يدل على ما في القول المعروف من أثر عند الله. وقول رسول الله ﷺ: «إنكم لاتستطيعون أن ترضوا الناس بأموالكم فأرضوهم بأخلاقكم». وقوله تعالى: ﴿كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء يُؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها﴾(٣). إلى آخره..

ابن قتيبة

قال ابن قتيبة: «كان عمر رجلاً شديداً قد ضيّق على قريش أنفاسها»(٤).

---

(١) «الصواعق المحرقة:» ص٦٩، و«أخبار الدول» ص٩٩ ط بغداد ١٣٨٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٣.

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤ و ٢٥.

(٤) الإمامة والسياسة ج١ ص٢٦ ط مصر.

العقاد

وقد أُرجع السبب في طبع عمر الفظّ على الأكثر الى تربيته وإدمانه على الخمرة في الجاهلية والإسلام، ثم استبدالها بالنبيذ حتى آخر حياته، وحتى عندما طعن في السن. وهذا أشهر الكتّاب المصريين المعاصرين عباس محمود العقاد يقول: «عمر الحار الشديد يحاذر من بوادر أبي بكر. كان في الجاهلية كما قال صاحب خمر يشربها ويحبها وهي موبقة لاتؤمن حتى على الأقوياء إذا أدمنوها»(١).

عمر نفسه

رغم ما كان في عمر من غريزة حب الطموح والأنانية الشديدة التي تبعث فيه روح الشدة والفظاظة، ويحاول بها ستر جهله في اللغة والفقه والتفسير والحوار، رغم كل ذلك يضطر أحياناً الى أن يقسو على سائل يسأله، أو متحدث يروي فضيلة أو سنّة للنبي، أو يقف أحياناً مبهوتاً متعجباً أمام أسئلة تصدر من عوام الناس وربما من أبسطهم رأياً، فلا يجد مفراً من الإقرار بالحقيقة والواقع، فتراه يخاطب نفسه كما جرى ذات يوم بينه وبين امرأة عجوز تغلبت عليه فقال: «واعمراه، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر»!(٢).

وترى عمر قد شرع في الدور الثاني من حياته يستبدّ في آرائه واجتهاده الى مدى بعيد جداً، فيفرض على الأُمة الإسلامية آراء وعقائد تناقض النصوص الصريحة في الكتاب والسنّة، حتى على سلفه الذي قاسمه آراءه وأيده في عهد رسول الله وبعده دون دليل واضح، أو برهان قاطع، أو ضرورة موجبة، فنراه يقول

---

(١) «عبقرية عمر»: ص ١٠ و ١٤.

(٢) «حياة الحيوان الكبرى» ج١ ص٤٧، و«شرح نهج البلاغة» ج١ ص٦١، و«العقد الفريد» ج٣ ص٣٠٢، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٧٧، وكتاب «عمر بن الخطاب» ص١٤٨.

بصراحة: إن النص والسنّة كانت على عهد رسول الله وهو يحرّمها ويعاقب عليها!

وما أكثر ما اجتهد وارتأى وتلاعب بالنصوص الصريحة، وسأذكر نبذة قصيرة من ذلك ثم أحيل القارئ الى بعض الكتب وأترك الحكم لفطنته وذكائه، ولوجدانه الديني فيما إذا كان رجل دين وعقل ومنطق، ويعرف أفكار الإسلام السامية وأحكامه الحكيمة، ويعلم أن حلال محمّد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، وأن الله قال في محكم كتابه: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾(١).

عمر يخالف النص

وهذا عمر يرتقي المنبر، منبر رسول الله ويقول:

«متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً، وأنا محرّمهما ومعاقب عليهما!

وقد أسهبنا وفصلنا ذلك في موضوع شكاية أولاد الزنى، وهذا عمر يحدّ الشهود بحدّ القذف في الزنى، وهم من الصحابة، ويكرم الزاني ويرفع درجته! (راجع شكوى شهود المغيرة في هذا الكتاب).

وهو على خلاف الحديث الشريف: «الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم» نراه يناصف عماله أموالهم دون دليل أو برهان، وإذا صح أنهم كسبوا هذه الأموال من طرق غير مشروعة فليس عليه إلا عزلهم من مناصبهم بعد محاكمتهم وتعزيرهم، وتغريم من ثبت عليه ذلك، أما غير ذلك فهو حرام، ولايجوز التجاوز على مال أحد أو نفسه.

وهذه المناصفة لم تكن لتردع عمر عن أن يهوي بالدرة على عامله وإهانته دون دليل.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

عمر يخالف السنّة

كان عمر يفاضل في قسمة الأموال والغنائم بين الناس دون مساواة، وعلى خلاف قسمة رسول الله وقسمة سلفه، ولم تكن قسمته على أساس السابقة والتقوى والتضحية، فقد جاء في «الفتوحات الإسلامية» ج ٢ ص٣ و ٥، وفي «حياة الصحابة» ج ٢ ص٢٢٨ أنه قال: «لا أرى رأي أبي بكر»، وكذلك في «ساعات حرجة من حياة الرسول» ص٩٥، و«حياة الصحابة» ج ٢ ص ٤٢. وقد حاجّه طلحة في هذه المفاضلة فما استطاع أن يبرّر أو يعتذر.

كما جاء في «الفتوحات الإسلامية» ج ٢ ص٤٥٣ أنه فرض لعثمان أخي طلحة ثمانمائة، وفرض للنضر بن أنس ألفين، ولعبدالله بن عمر ثلاثة آلاف، ولأُسامة بن زيد أربعة آلاف، وعندما اعترض عليه ابنه قال: «إن أباه كان أحبَّ الى رسول الله من أبيك، وهو أحبّ الى رسول الله منك».(١)

فإذا كان هذا هو المقياس عندك يا عمر، فما بالك حرّقت بيت بضعة رسول الله وقرينها، وأسقطت جنينها، وروّعت ولديها ريحانتي رسول الله، وسقت أخاه ليبايع صاحبك مرغماً وهو الذي بايعته بالأمس القريب أمام رسول الله، ونقضت اليوم بيعته، ومنعت أبا بكر من إعادة فدك لصاحبتها فمزّقت الورقة التي كتبها أمراً بالإعادة؟! وما بالك أنت وصاحبك تمنعان الخمس عن آل بيت رسول الله، وما بالك تقصي علياً وآل رسول الله عن الحكم؟!

* * *

(١) «حياة الصحابة» ج٢ ص٢٢٩.

التبعيض في القسمة

وفضّل عمر عائشة في القسمة بين زوجـات النـبي بألفـين: «الفـتوحات الإسلامية» ج ٢ ص ٤٥٠، و«حياة الصحابة» ج ٢ ص ٢٣١، كما فاضل بين أبـناء المهاجرين والأنصار فأعطى عمر ابن أم سلمة ألفاً زيـادة، راجـع «الفـتوحات الاسلامية» ج ٢ ص ٢٥٣، وفرّق في القسمة بين البدريين وغيرهم، وفاضل بـين هؤلاء وأهل القادسية، وبينهم وبين أهل الشام، وميز البعض على البـعض وقس على هذا[١].

وقد خالف في كل ذلك تعاليم الرسول وسننه، وقوله تعالى: ﴿وما آتاكـم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢]. وقـوله تـعالى: ﴿فـليحذر الذيـن يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[٣]. كما نرى أن عمر يهب الأموال لمن يشاء! «حياة الصحابة» ج ٢ ص ٢٣٥. وقد فعل عمر ذلك فـي زمن أبي بكر.

أخرج ابن سعد عن أنس بن مالك في جميع مال المسلمين. راجع في ذلك ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ج ٣ ص ٣٥٥ «تصرف عمر في الأموال بالهبات».

❊ ❊ ❊

---

(١) «حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٢٩».

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) سورة النور: الآية ٦٣.

عمر يخالف النص

ها هو ينهي فاقد الماء عن الصلاة! على خلاف ما صرحت به الآية الشريفة: ﴿أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيّباً﴾[1] وسنورد ذلك بالتفصيل. وقد خالف نصوص الآيتين: ﴿ولا تجسسوا...﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾[3] و﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾[4]. وقد خالف عمر جميع هذه الآيات حيث تجسّس ودخل البيوت من غير أبوابها، ومن دون أن يؤذن له[5].

عمر يخالف النص والسنة

وهذا عمر يخالف حدود الله وسنة نبيه مع شارب الخمرة في عدة موارد، نذكر منها: شكاية ابنه عبدالرحمان الذي مات على أثر حدّه للمرة الثانية في الذنب نفسه، تجده في هذا الكتاب، في الشكايات، وما جاء في «مجلة الأزهر» ج ١٠ ص٢٨٨، و«الغدير» للعلامة الأميني: ج٦.

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٤) سورة النور: الآية ٢٧.

(٥) عن «مجلة الأزهر» ج٢ المجلد ١١. و«حياة الصحابة» ج٢ ص٤٥٨، و«شرح نهج البلاغة» ج١ ص٦١.

وها هو يخالف السنة في إقامة الأذان فيمنع عبارة «حي على خير العمل» راجع كتاب «التجريد» للقوشجي في علم الكلام، في مبحث الإمامة.

عمر يناقض فتواه

وعمر طالما أفتى في أمر ونقض ذلك بفتوى أخرى في نفس الأمر(١).

عمر يتجاهل أوامر النبي

يعلم عمر حق العلم أن علياً معصوم من الرجس والخطأ، عالم بالدين والكتاب مجمله ومتشابهه، عالم بكل ما تقتضيه الشريعة دون أن يعييه جواب عن سؤال، لايحكم إلا بحدود الله وكتابه المجيد، ولاتأخذه في الله لومة لائم، أسبق الجميع الى معرفة الله، وأتقاهم في الله، وأعلمهم وأقضاهم وأزهدهم وأبرّهم، وأنه خليفة رسول الله منصوب من عند الله، وأنه باب علم رسول الله، لقّنه علمه وكلمته، وهو صاحب التفسير والتأويل لمتشابه القرآن ومجمله، وأنه يسير مسار رسول الله حذو النعل بالنعل، وأنه مثل رسول الله في آية التطهير والمباهلة والولاية، عصمه الله من الزلل وطهّره من الدنس. وأنه ـ بعد رسول الله ـ أعدل الأُمة وأقضاها وأحكمها وأبرّها وأتقاها، لايحكم إلاّ بحكم الله ورسوله. ولاتتناقض أعماله وفتاواه.

* * *

---

(١) راجع بذلك كتاب «بين يدي عمر» ص١٣٤، والجزء السادس من كتاب «الغدير» للعلامة الأميني.

والله ما أدري

وعمر يدري أن الملوكية غير الخلافة، فالملك رجل فرض نفسه على الأُمة، وسار طبق رغباته وأغراضه، لايحدوه الدين والعدل والوجدان إلاّ بما يلبّي رغباته النفسية، وليس أي شيء عنده يتيح له بلوغ أهدافه إلاّ وهو مباح، فلايردعه دين أو زهد أوتقوى. وعمر يعلم بكل ذلك ويعرف حقيقة نفسه، فنراه يسائل نفسه قائلاً: «والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك»! راجع ابن سعد ج٣ ص٢٢١. وحق له ذلك. والأمر باختصار هو أن الملك يظلم والخليفة لايظلم، وهذا مجمل المجمل، وعمر شاء أم أبى، لايستطيع أن يكون خليفة لرسول الله حقاً وصدقاً، فخليفة الرسول قد انتجبه الله وأمر رسول في آية الإبلاغ أن يعلنه للناس علماً، ولما أعلم به الناس وأشهد الله عليهم وأمرهم ببيعته نزلت آية إكمال الدين. والله ورسوله يعلمان في خليفة رسول الله سبقه للإسلام، للأمة جمعاء بعد رسول الله، وقد طهّره الله من الرجس والدنس، ويعلمان أنه أعلم الأمة وأقضاها وأحكمها وأتقاها ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1]. وأنه أعدلها وأشدّها تضحية وامتثالاً لله ولرسوله، وحبّاً لهما وهما أشدّ حباً له. وأنه أحرصها على حدود الله وسنن رسوله، فهو بما أُوتي من علم وحكمة وألهم من الله سداد الفكر والمنطق السليم، وشب على ذلك من صغره، وعلى الأخلاق السامية والبر والإحسان هيهات أن تزلّ به قدم أو يزحزحه هوى عن سبيل الحق، أو يورطه جهل في ما يحيد به عن الصراط

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

المستقيم، فقد عصمه الله ووقاه، واختاره ونزّهه، ورسول الله يقول: «العلم في الصغر كالنقش على الحجر، والعلم في الكبر كالنقش على المدر». فأين عمر من هذا وما نعلم من غلظته وشدّته واعتياده وسابقته في الجاهلية والإسلام، وجهله في تأويل مجمل الكتاب ومتشابهه ولغته، وتأثره بالعواطف والعصبيات والغرائز المستحكمة، يستهويه المغيرة أزنى قريش وأفسقها فيحكم على الشهود الأبرياء بالحدّ وهم من الصحابة المتقين، ويجزل للمغيرة الكرامة والرفقة وهو يشهد عليه بالزنى، ويخاطبه في البلد الحرام أنه فاعل ذلك مع أم جميل حين رآها قائلاً: يخشى أن ينزل الله عليه عذاب الدنيا قبل الآخرة، وتلك هي أعماله مع رسول الله والصحابة والناس، وذلك هو اجتهاده أمام النصوص، وتلك هي فتاواه ومتناقضاته، وذلك هو جهله في الفقه والتفسير، وتلك هي تسوته على من يسأله عن آية، وتلك هي معاملته لأهل البيت، ومناصفته لأموال عماله، وحرقه لكتب العلم شرقيّها وغربيّها، ومفاضلته في العطاء، وقسوته مع الأعاجم، حتى كأنّهم لايستحقّون رحمة أو إنسانية، ولا يحملون عواطف، وليسوا من آدم، «وإنهم ليسوا إخوانه في الدين أو صنوه في الخلق» كما قال علي يوم أوصى مالكاً في عهده.

نعم، كان عمر ملكاً تملك منه هواه، وغلبت عليه غرائزه، ولجّ في أهدافه، وحاد عن الصراط المستقيم، فحارب آل الله وأقصاهم، وناصر أعداء الله (آل أُمية وأتباعهم) وقرّبهم، فجرّ على الأُمة الإسلامية التفرقة والشقاق حتى يومنا هذا، فكانت نتيجة أعماله الفرق والمذاهب والنعرات والعصبيات، وشقّ عصا الطاعة، وإبعاد الأخيار وتقريب الأشرار.

كان يجهل أحكام الشريعة، ويلجّ في آرائه حتى لو خالفت نصوص الكتاب، ويكيل لمن يعارضه التحقير والهوان، ويقهر السائل ويضربه ويحبسه،

وكم أودى بسائل تحقيراً وتكراراً للضرب والحبس حتى الموت كما سيأتي، فإذا أعيته الحيلة استعان بالمغيرة وأمثاله، وإذا أعياه الأمر أو حيّرته مشكلة عاد إلى ولي الأمر علي ﷺ ليفرّج عنه، وليته اتّبعه فيها جميعاً.

٦ـ أسناد مخالفاته للنص والسنّة وتصرفاته الطائشة

راجع «الاستيعاب» ج٣ ص٤٢، و«حياة الصحابة» ج٣ ص٢٤٢ ـ ٢٦٠ وج٢ ص٥٠ و٢٦٠ و٧٨٠، وجلد ٣ ص٢٥٩ و٣٠١ وج٢ ص٤٠٣، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٧٩ ـ ٤٨٢ ـ ٤٨٦، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج١ ص٦١، و«العقد الفريد» ج٣ ص٣٠٢. و«حياة الحيوان الكبرى» ج١ ص٤٧، و«بين يدي عمر» ص١٢٩، و«المستطرف» ج١، و«النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية» ص١٧٩.

وكم كانت ضرباته قاصمة في صميم الإسلام في السقيفة وما تلاها، وفي حياته وما أعظمها خاتمة في الشورى، وقد بحثناها بإسهاب، وجحوده نصوص رسول الله في خليفته وحق علي[(١)].

❊ ❊ ❊

---

(١) راجع بذلك: «التاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية» ج١ ص٦، و«حياة الصحابة» ج٢ ص٣٣، و«شرح نهج البلاغة» ج١ ص٦٢ و٦٣، و«عمر بن الخطاب» ص٢٢ و٥٥ و٧٤ و١٤٧، و«بين يدي عمر» ص٣٥.

وضع الفضائل في أبي بكر وعمر

لقد ثبت أن ما نسب من فضائل وكرامات الى أبي بكر وعمر هي خلاف الواقع، ويكذبها العقل السليم، وقد مرّ ذكرها في «فضائل أبي بكر» وقد جرى تكذيبها من قبل أجلّ علماء السنّة والجماعة! وتعال معي أذكر لك بعض الكرامات المكذوبة على الله وعلى رسوله، فويل للمكذبين، ولم يكن بدّ لمعاوية الطليق وابن الطلقاء، الفاجر الكافر السابّ لله ولرسوله ولوليّه، من أن يدسّ ويزيّف ويضع أمثال تلك الكرامات لأبي بكر وعمر وعثمان وسائر آل أُمية، ويضع من كرامة آل بيت الرسالة، ويبتدع سب عليّ على المنابر بعد كل صلاة وفي كل عيد، فمعاوية هو ابن أبي سفيان المشرك ابن المشرك، والذي لم يدخل الإيمان الى قلبه، وإذا ماراجعت «مروج الذهب» للعلامة المسعودي رأيت أن معاوية كان يحاول طمس كرامات الإسلام وفضائل الرسول الأكرم، وكان يقول: هذا ابن أبي كبشة يذكر اسمه خمس مرات في اليوم على المنابر! ويهدد برمس وطمس ذلك الذكر[١].

من الكرامات الموضوعة

أذكر في ما يلي فضيلة لأبي بكر وعمر لأحمد زيني دحلان مفتي مكة

---

(١) راجع «الإشاعة لأشراط الساعة» ص١١ ط مصر عام ١٣٢٥، و«بين يدي عمر» ص١١٢، و«ذخائر العقبى» لمحب الدين الطبري: ص١٥٠.

المكرمة، عن النبي ﷺ فاسمعها واضحك أو ابك على المسلمين ورواتهم من أمثال دحلان، الذين نسوا سوابق أبي بكر وعمر في الجاهلية والإسلام، ورفعوهما رغم ذلك فوق فضائل الأنبياء أولي العزم، وفوق كرامات الملائكة المقربين! وإليك إحداها:

روي أنّ النبي ﷺ قال: «أتاني جبرئيل إنسياً فقلت: ياجبرئيل، حدّثني بفضائل عمر، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه مانفدت فضائله، وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر، وإن النبي التمس منه الدعاء لما أراد أن يعتمر»!

وقد نسي ابن دحلان كم مرة أغضب عمر رسول الله ﷺ، وكم مرة شك برسالته، ونسي يوم تخلف عن جيش أسامة، ونسي نسبة عمر الهجر لرسول الله ومعارضته له في طلبه القلم والقرطاس حتى طرده وجماعته المتخاصمين، وأمثال ذلك! ونسي قبل ذلك إدمانه على الخمرة، وبعدها إدمانه على النبيذ!

وحقّ لابن دحلان أن ينسب له النبوة، وينسب الخيانة لجبرئيل الأمين إذ لم ينزل بالوحي على عمر! غير أن ابن دحلان وفّر علينا الرد حين قال: إن عمر حسنة من حسنات أبي بكر، وقد مر بنا وشرحنا أقوال أجلّة علماء السنّة والجماعة الذين كذبوا ما نسب الى أبي بكر من فضائل. ولو صح لاحتجّ هو نفسه مع عمر بذلك في السقيفة وبعدها عندما عجزا أمام احتجاج علي وفاطمة الزهراء عليهما.

ولسوف نذكر القارئ الكريم برسالة معاوية الى محمد بن أبي بكر الذي أبان الحقيقة، ونوجّه نظر القارئ الكريم الى مطالعة كتب العلاّمة السيد عبدالحسين شرف الدين، وأخص بالذكر منها كتاب «النص والاجتهاد»

و«المراجعات» وغيرهما من الكتب المستقاة من أجلّة كتّاب ومفسّري ومحدّثي أهل السنّة والجماعة، تقريباً للواقع، وبلوغ الحقيقة.

شهادته في إيمان علي

وإليك رواية عن عمر وهو يشهد بإيمان علي في حين كان عليه أن يشهد بعلم علي وإيمانه تناسباً مع سؤاله: فقد روى الحافظ الدارقطني وابن عساكر والزمخشري والكنجي في «الكفاية» ص١٢٩، والخوارزمي في «المناقب» ص٧٨، والسيد علي الهمداني في «مودّة القربى» و«حديث الميزان» ومحب الدين الطبري في «الرياض» ج١ ص٢٤٤، والصفوري في «نزهة المجالس» ص٢٤٠: أن رجلين أتيا عمر بن الخطاب وسألاه عن طلاق الأُمة، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال: أيها الأصلع، ما ترى في طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه، ثم أومأ إليه بالسبابة والوسطى. فقال لهما عمر: تطليقتان. فقال أحدهما: سبحان الله، جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألت، فرضيت منه أن أومأ إليك! فقال: تدريان من هذا؟! قالا: لا. قال: هذا علي بن أبي طالب! أشهد على رسول الله لسمعته وهو يقول: «إنّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعا في كفّة، ثمّ وضع إيمان عليّ في كفّة لرجح إيمان علي بن أبي طالب».

وكان الأجدر بعمر أن يروي لهما حديث المنزلة، وحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وحديث الغدير. بيد أنّا نكتفي من عمر بذلك الاعتراف قولاً، وهذا الاعتراف الأخير عملاً بتقوى عليّ في حديثه، وعلم عليّ في عمله.

❁ ❁ ❁

فضائل مجعولة

ولقد نسبوا لعمر فضائل وغالوا بها وكلّها دس ووضع وتزييف، وضعها معاوية وأنصاره دعماً وإسناداً لنفسه وأهل بيته ومن والاه ونصبه، ودحضاً للحقائق في كرامات وفضائل محمد وعليّ وآلهما. وإني أكتفي إجمالاً وتقصيراً للبحث والاستدلال فأُوجّه القارئ الكريم الى مطالعة «الغدير» وأخص ج٨ ص ٦٠ ـ ٩٧، وج٦ ص٨٣ ـ ٣٣٣.

مخالفة النص بالإفتاء بترك الصلاة للمجنب

سأورد هنا ما أفتى به عمر خلافاً لصريح نصّ القرآن، فهو يجيب السائل الذي أجنب ولم يجد ماء بقوله: «لا تصلّ»![1]

كما أتاه سائل فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا لنمكث الشهر والشهرين ولانجد ماءً! فقال عمر: «أما أنا فلم أكن لأصلي»![2]

فكيف غربت عن عمر آيات التيمّم الأولى في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما

---

(١) راجع في ذلك «سنن أبي داود» ج١ ص٥٣، و«سنن ابن ماجة» ج١ ص ٢٠٠، و«مسند أحمد» ج٤ ص٢٦٥، و«سنن النسائي» ج١ ص٥٩ و٦١، و«سنن البيهقي» ص٢٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ج٤ ص٣١٤، وأبو داود في «سننه» ج١ ص٥٣، والنسائي في «سننه» ج١ ص٦٠، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما».

تقولون، ولاجنباً إلاّ عابري سبيل حتى تغتسلوا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء، فلم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيباً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم، إنّ الله كان عفوّاً غفوراً﴾ [١].

وكذلك قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطّهّروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر، أو جاء أحدٌ منكم من الغائط، أو لامستم النساء، فلم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيباً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [٢].

وأي صراحة أعظم من هذه في التيمم، ومن أين عثر على نصّ يبطل به نصّ الصلاة المفروضة!

وقد سبق وذكرنا اجتهاده في نصوص قرآنية أخرى، منها ما منع فيه متعة الحج ومتعة النساء، وقد أسهبنا قبلها في البحث وذكرنا موارد أخرى، لذا فنورد هنا موارد أخرى من النصوص التي عطّلها اجتهاداً، وغير خافٍ النظر في من يعطّل الأحكام، وأخصّ منها نصوص الله في كتابه، فهو إن كان يعرف أنها واجبة ولم يعمل بها فهو فاسق، وإن حسبها زائدة فقد كفر بالقرآن وبأحكام الله، وقوله تعالى:

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصلِه جهنم وساءت مصيراً﴾ [٣] وقوله تعالى في آيات ثلاث من

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٥.

سورة المائدة: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[١]، ﴿.. فأولئك هم الظالمون﴾[٢]. ﴿. فأولئك هم الفاسقون﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[٤].

رجمه لبريئة

عمر يعزم على رجم امرأة وضعت لستة أشهر، فيمنعه عليّ ويتلو عليه الآيتين: ﴿والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين﴾[٥].

﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[٦] فكان حمله ستة أشهر، وفصاله بعد إرضاعه حولين، فيصبح المجموع ثلاثين شهراً، فقال: «لولا عليّ لهلك عمر». أخرجه الحافظان: ابن أبي حاتم والبيهقي، والكنجي، والنيسابوري، وفي لفظ سبط ابن الجوزي قال عمر: «اللهم لاتبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب».

وأخرج نفس المعنى الحافظ عبدالرزاق، وعبد بن حميد وابن المنذر[٧].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٦) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٧) راجع السنن الكبرى: ج٧ ص٤٤٢، ومختصر جامع العلم: ص١٥٠، والرياض النضرة: ج٢ ص١٩٤، وذخائر العقبى: ص٨٢، وتفسير الرازي: ج٧ ص٤٨٤، وأربعينه: ص٤٦٦، وتفسير =

وقد أفتى عثمان نفس الفتوى في زمانه في امرأة وضعت لستة أشهر، وأجرى عليها الحد، وقد بلغ الأمر علياً فاعتذر عثمان واعترف بجهله(١).

فهل يحق لهؤلاء، أن يكونوا خلفاء لرسول الله؟! فاعجب.

كل الناس أفقه من عمر

حدث مرة أن منع عمر، وهو على المنبر، أن يزيد صداق النساء عن أربعمائة درهم، فاعترضته امرأة وقالت: إن قوله يعارض النص: ﴿. وآتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً﴾(٢). فقال: «كلّ الناس أفقه من عمر»، وكان يقول: «امرأة أصابت ورجل أخطأ» جاء هذا بصور شتى، وأيّده المفسرون والحفّاظ في مسانيدهم وسننهم وسيرهم وكتبهم وتفاسيرهم، كالمحاملي، وأبي يعلى، وابن منصور، وابن الجوزي في «سيرة عمر» ص١٢٩، وابن كثير في «تفسيره» ج١ ص٤٦٧، و«مجمع الزوائد» للهيثمي: ج٤ ص٢٨٤، و«الدر المنثور» ج٢ ص١٣٣، و«جمع الجوامع» ج٨ ص٢٩٨، و«الدر المنثور» ص٢٤٣، و«فتح القدير» ج١ ص٤٠٧، و«كشف الخفاء» ج١ ص٢٦٩، و«أسنى المطالب» ص١٦٦، و«الموفقيات» لابن البكار، و«مختصر جامع العلم» لابن عبدالبر ص٦٦، و«كتابة الأذكياء» ص١٦٢، و«تفسير القرطبي» ج٥ ص٩٩، والسعدي

= النيسابوري: ٣ في سورة الأحقاف، وكفاية الكنجي: ص١٢٥، ومناقب الخوارزمي: ص٥٧ وكنز العمال: ج٤ ص٩٦ و٢٢٨.

(١) أخرج ذلك مالك في الموطأ: ص١٧٦، والبيهقي في السنن الكبرى: ج٧ ص٤٤٢، وأبو عمر في العلم: ص١٥٠، وجاء في تفسير ابن كثير: ج٦ ص١٥٧، وتيسير الوصول لابن الربيع: ج٢ ص٩، وعمدة القارئ للعيني: ج٩ ص٦٤٢، والدر المنثور للسيوطي: ج٦ ص٤٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٠.

في «حاشية سنن ابن ماجة» ج١ ص٥٨٤، و«سنن البيهقي» ج٧ ص٢٣٣، و«تفسير الكشاف» ج١ ص٣٥٧، و«شرح صحيح البخاري» للقسطلاني ج٨ ص٥٧، والباقلاني في «التمهيد» ص١٩٩. والمستطرف: ج١ ص٧٠، و«المستدرك» ج٢ ص١٧٧، و«تاريخ الخطيب البغدادي» ج٣ ص٢٥٧.

وقد جاء في «تاريخ ابن كثير ج٧ ص٨١ و١٣٧، و«الاصابة» ج٤ ص٤٩٢، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٧٢، أن عمر تزوج بأم كلثوم، وجعل مهرها أربعين ألفاً.

عمر يجهل مفهوم الآية

يسقيه شاب ماء بعسل إذ مرّ به وهو ظمآن، فأبى أن يشربه، وتلا على الشاب وهو يجهل معنى ما يقول: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[1] فقال له الفتي: يا أمير المؤمنين، لم تقرأ ما قبلها: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾[2]. فقال عمر: «كل الناس أفقه من عمر»[3].

تناقض فتاواه

تناقضه في فتوى نصوص القرآن في الإرث كما أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ج٦ ص٢٥٥، والدارمي في «سننه» ج١ ص١٥٤، وأبو عمر في «العلم»

---

(١) سورة الأحقاف: آية ٢٠.

(٢) سورة الأحقاف: آية ٢٠.

(٣) راجع بذلك شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٦١.

ص ١٣٩، عن مسعود الثقفي قال: شهدت عمر بن الخطاب (رض) أشرك الإخوة من الأب والأم مع الإخوة من الأم في الثلث، فقال رجل: قضيت في هذا عام أول بغير هذا، فقال: كيف قضيت؟ قال: جعلته للإخوة من الأم ولم تجعل للإخوة من الأب والأم شيئاً، قال: تلك على ما قضينا، وهذا على ما قضينا! وفي لفظ: تلك على ما قضينا يومئذ، وهذا على ما قضينا اليوم! فكأنما ليس هناك حكم ولا قرآن ولاسنّة، ويفعل الخليفة ما يشاء!!

وليت ذلك يكون موافقاً للعرف والعقل ولم يكن فيه تناقض، وليت الخليفة يشفع أقواله ببرهان، أو يستدل بناحية فقهيّة أو غير فقهيّة الى ما يقنع به العقلاء وذوي الرأي، بل تراه في كل مرّة تغلب على آرائه الغلظة والشدة والصرامة، والدرة حاضرة بيده، وعلى لسانه التهديد والوعيد!!

عمر يجهل النص والسنّة

وهناك رأي أجمع عليه الفقهاء في الأمصار وهو أنه ليس على الحائض التي أفاضت طواف وداع. وقال ابن عباس: إنّما ذلك ينطبق على الآية الكريمة: ﴿ثمّ ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطّوّفوا بالبيت العتيق﴾[(١)].

وقد جاءت السنّة النبوية على ذلك: أي أنّ النبي رخّص للحائض إذا أفاضت أن تنفر. ولكن عمر كان دائماً، ورغم علمه بكتاب الله وإعلامه بالسنة، يقول أن تقيم حتى تطوف طواف الوداع![(٢)].

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٩.

(٢) راجع بذلك «صحيح البخاري» في الحج، إذا أفاضت الحائض. ومسلم في «صحيحه» =

وعن الحارث بن عبدالله بن أوس قال: أتيت عمر بن الخطاب فسألته عن المرأة تطوف بالبيت ثم تحيض؟ فقال: ليكن آخر عهدها الطواف بالبيت.

قال الحارث: فقلت: كذلك أفتاني رسول الله ﷺ، فقال عمر: شلّت يداك، أو ثكلتك أُمك، سألتني عما سألت عنه رسول الله ﷺ كيما أخالفه؟![١].

كما جاء في «إيقاظ الهمم» للعمري الفلاني ص٩ عن أبي النضر هاشم بن القاسم الليثي المتوفى سنة ٢٠٧، وهو ثقة متسالم عليه مسنداً لرجال ثقات: أن رجلاً من ثقيف أتى عمر بن الخطاب فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر، فهل لها أن تنفر قبل أن تطهر؟ قال عمر: لا. فقال له الثقفي: فإن رسول الله ﷺ أفتاني في هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول: لم تستفتيني في شيء قد أفتى فيه رسول الله ﷺ؟

ومن العجيب أن عمر، رغم الآية وسنّة رسول الله، قد بقي مصرّاً على رأيه، وقد ثبت خلاف رأيه، لذا فقد أجمعوا على خلافه.

يرجم المضطرّة

فتي عمر برجم المضطرّة فينهاه علي ويشير الى الآية: ﴿فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه﴾[٢]. فيخلي سبيلها[٣].

= وسنن الدارمي: ج٢ ص٦٨، وسنن أبي داود: ج١ ص٣١٣، و«صحيح الترمذي» ج١ ص١٧٧، و«سنن ابن ماجة» ج٢ ص٢٥١، و«سنن البيهقي» ج٥ ص١٦٢، و«مصابيح السنّة» للبغوي ج١ ص١٨٢، و«فتح الباري» ج٣ ص٤٦٢.

(١) راجع سنن أبي داود ج١ ص٣١٣، و«مختصر جامع العلم» لأبي عمر ص٢٢٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

(٣) «كنز العمال» ج٣ ص٩٦، و«الطرق الحكمية» لابن القيم الجوزية ص٥٣.

مثالب أم مناقب؟

الخليفة يتجسّس ويدخل الدار متسلقاً من غير الباب، ولم يسلّم: خلاف صريح لآيات القرآن كما مرّ. راجع «الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٧٧، و«الدر المنثور» ج٦ ص٩٣، و«الرياض النضرة» ج٢ ص٤٦، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج١ ص٦١، وج٣ ص٩٦، و«المستطرف» لشهاب الدين الأبشيهي ج٢ ص١١٥. وهي قصة مفتضحة يمدحه عليها شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته «العمرية» على طراز كلّ مدائحه التي يقلب بها المثالب مناقب. فانظر الى منطق الشاعر المغلوط وأسف على شاعريته التي يرسلها في سبيل الباطل ليريه حقّاً، والحب يعمي ويصمّ.

وإليك بعض الأبيات:

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا ... لهم مكاناً وجدّوا في تعاطيها
ظهرت حائطهم لمّا علمت بهم ... والليل معتكر الأرجاء ساجيها
حتى تبيّنتهم والخمر قد أخذت ... تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها
سفّهت آراءهم فيها فما لبثوا ... أن أوسعوك على ما جئت تسفيها
ورمت تفقيههم في دينهم فإذا ... بالشرب قد برعوا الفاروق تفقيها
قالوا: مكانك. قد جئنا بواحدة ... وجئتنا بثلاث لاتباليها
فأت البيوت من الأبواب ياعمر ... فقد يُزَنّ من الحيطان آتيها
واستأذن الناس لاتغش بيوتهم ... ولاتلمّ بدار أو تحيّيها
ولاتجسّس فهذي الآي قد نزلت ... بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم ... لمّا رأيت كتاب الله يمليها

وما أنفت وإن كانوا على حرج من أن يحجّك بالآيات عاصيها

وهكذا نرى الشاعر يمدح الخليفة في كلّ مرّة يبرهن بها مستدلاً على إتيانه العصيان فيعدّها حسنة كحرقه بيت الزهراء بضعة رسول الله وأخذه عليّاً قسراً ليبايع! وقد نسي أنه نفسه قد بايعه قبل بضعة أيام بالولاية والخلافة، وهنّأه هو وأبو بكر معه بالإمارة!! أمّا إن كان شاعرنا جاهلاً بذلك فالجهل في مثل هذه الحالة لايغتفر، وأما إن كان به عالماً فقد نافق وكفر. لأن من خالف الله ورسوله فقد كفر، ومن أبغض علياً فهو، في أقلّ تقدير، منافق.

راجع أيضاً «سنن البيهقي الكبرى»: ج٨ ص ٣٣٤، و«الإصابة» ج١ ص٥٣١، و«الدر المنثور» ج٦ ص٩٣، و«السيرة الحلبية» ج٣ ص٢٩٣، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٧٦، و«العقد الفريد» ج٣ ص٤١٦.

عمر يجهل النصوص

يريد عمر ليخالف نص القرآن في إقامة الحد على رجل وامرأة ارتكبا الفاحشة، لولا أن نهاه علي عن ذلك، وذكره بنص القرآن على لزوم وجود أربعة شعود، ولاتكفي شهادة واحد حتى لو كان الشاهد أمير المؤمنين نفسه.

كما نرى جهل الخليفة بالكلالة وحيرته بشأنها رغم وضوح الآية، ورغم سؤاله رسول الله ﷺ الذي أشار إلى الآية، وهي واضحة، وتسمى آية الكلالة، أو آية الصيف لنزوها في الصيف في حجة الوداع، وهي قوله تعالى:

﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد، وله أُخت، فلها نصف ما ترك، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين، يبيّن الله

لكم...﴾ (١)(٢).

وكان عمر يقول: «الكلالة؟ لأن أعلمها أحبّ إليّ من أن يكون لي ما على الأرض» (٣).

كان عمر قد طلب من حفصة أن تسأل رسول الله عن الكلالة، فعلم رسول الله أن أباها كلّفها، فقال لها ﷺ: «ما أرى أباك يعلمها»! وظلّ عمر يقول: «ما أراني أعلمها وقد قال رسول الله ما قال»! (٤).

وكذلك كان أبو بكر يجهلها (٥).

عمر يجهل الكتاب والسنّة

عمر يأمر بقطع رجل سارق قطعت يده ورجله من قبل، فقال له عليّ: إمّا أن تعزّره وإما تستودعه السجن، لأنك إن قطعت رجله الأُخرى انطبق عليه حكم آخر، هو حكم الآية: ﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..﴾ وهي الآية ٣٣

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧٦.

(٢) راجع «صحيح مسلم» كتاب الفرائض ج٢ ص٣، و«مسند أحمد» ج١ ص٣٨ و٤٨، و«سنن ابن ماجة» ج٢ ص١٦٣، و«أحكام القرآن» للجصّاص، و«سنن البيهقي» ج٦ ص٢٢٤ ـ ٢٢٥ وج٨ ص١٥٠، و«تفسير القرطبي» ج٦ ص٢٩.

(٣) راجع «تفسير الطبري» ج٦ ص٣٠، و«تفسير الدر المنثور» ج٢ ص٢٥١، و«كنز العمال» ج٦ ص٢٠.

(٤) «أحكام القرآن» للجصّاص ج٢ ص١٠٥، و«تفسير ابن كثير» ج١ ص٥٩٤، و«الدر المنثور» ج٢ ص٢٤٩، و«كنز العمال: ج٦ ص٢.

(٥) «الغدير» للأميني ج٦ ص١٢٧ ـ ١٣١.

من سورة المائدة(١).

مخالفات عمر مناقضة للنص

وتعال معي إلى الآية: ﴿والذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون﴾(٢) ترى أنه في الحكم رمي للمحصنة ووجوب الإتيان بأربعة شهود، وعلى هذا المعيار نعود فنرى رأي عمر في قضايا عدة يناقض فيها الحكم تناقضاً فظيعاً لايمكن أن يصدر عمّن أعطي ذرّة من المعرفة في الفقه والوجدان والعدالة والمنطق.

عمر يشيد بالزاني ويرفع درجته

فالأولى: في قضية زنى المغيرة وقد شهد عليه أربعة شهود من الصحابة وأجمعوا على فحشائه، وأيقن بها الخليفة نفسياً، وذكّر بها المغيرة في بيت الله الحرام يوم رأى أم جميل المتهمة وقال للمغيرة إنه لفعل ذلك، وعليه أن يتوقّع عذاب الله. فقد ثبت الزنى على المغيرة غير أنّ عمر حدّ الشهود حدّ قذف الزنى، وعفا عن المغيرة، بل هو رفع من درجته فنقله من ولاية البصرة الصغيرة الى الكوفة الكبيرة المهمة، وقد مرّ معنا تفصيل ذلك في شكاية شهود المغيرة.

❊ ❊ ❊

---

(١) «سنن البيهقي الكبرى» ج٨ ص٢٧٤، و«كنز العمال» ج٣ ص١١٨.

(٢) سورة النور: الآية ٤.

اجتهاد ماكر يخالف النص بالسنّة

أمّا الثانية: فهي أن رجلين استبّا في زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما على الآخر: «والله ما أرى أبي بزانٍ ولا أمي بزانية». فجلده عمر الحدّ ثمانين، وقد ذكر ذلك النيسابوري في تفسيره الآية: ﴿والّذين يرمون المحصنات... الخ﴾ فكيف جاز له الحدّ هذا دون إقامة الدليل البيّن في القذف؟! وكيف جاز له حده وهو ينفي عن نفسه الفحشاء؟ أيّ حكم هذا، وأي سلوك لمن يعد نفسه أميراً للمؤمنين؟ فهو من جانب يطلق المغيرة صاحب السوابق المشينة، ورغم شهادات الشهود، ويحكم على هذا المسكين الذي ينفي عن نفسه الفحشاء، ويقصد أن يمدح نفسه فحسب، وهل إن من يمدح نفسه وينفي عنها الفحشاء يعتبر عمله قذفاً؟ وأين تجري الحدود وتدرأ بالشبهات، وقد جاء في الصحاح أن من عرّض بسبّ النبيّ ﷺ ولم يصرّح يسقط عنه الحكم. وقد عمل عمر خلاف ذلك كثيراً.

وأمّا الثالثة: فقد جاء في «السنن الكبرى» للبيهقي: ج٨ ص٢٥٢، ومارواه الأوزاعي عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال: «كان عمر يضرب الحدّ في التعريض». قال أبو بكر الجصّاص في «أحكام القرآن» ج٣ ص٣٣٠: «ثم لما ثبت أن المراد بقوله: ﴿والّذين يرمون المحصنات...﴾ هو الرمي بالزنى لم يجز له إيجاب الحدّ على غيره، إذ لاسبيل إلى إثبات الحدود من طريق المقاييس، وإنّما طريقها الاتفاق أو التوقيف، وذلك معدوم في التعريض، ومشاورة عمر الصحابة في حكم التعريض دلالة على أنه لم يكن عندهم توقيف، وأنه قال اجتهاداً ورأياً».

وأيضاً فإن التعريض بمنزلة الكتابة المحتملة للمعاني، وغير جائز إيجاب الحدّ بالاحتمال، لوجهين: أحدهما أن القائل بريء الظهر من الجلد، فلانجلده بالشك، المحتمل مشكوك فيه. ألا ترى أن يزيد بن ركانة لما طلق امرأته البتّة استحلفه النبي ﷺ فقال: ما أردت إلاّ واحدة، فلم يلزمه الثلاثة بالاحتمال.

ولذلك قال الفقهاء في كتابات الطلاق: إنها لاتجعل طلاقاً إلاّ بدلالة.

والوجه الثاني: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ادرأوا الحدود بالشبهات» وأقل أحوال التعريض حين كان محتملاً للقذف وغيره أن يكون شبهة في سقوطه.

وأيضاً قد فرق الله تعالى بين التعريض بالنكاح في العدّة وبين التصريح فقال: ﴿ولاجناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهنّ، ولكن لاتواعدوهنّ سرّاً﴾ [1]. يعني نكاحاً، فجعل التعريض بمنزلة الإضمار في النفس، فوجب أن يكون كذلك حكم التعريض بالقذف.

والمعنى الجامع بينهما أن التعريض لمّا كان فيه احتمال كان في حكم الضمير لوجود الاحتمال فيه.

مخالفة عمر النص في الدية

خالف عمر في الدية المعطاة للأهل على أنّ الزوجة لاتستحق منها شيئاً، خلافاً لنصوص الآيات:

١ـ ﴿فدية مسلّمة الى أهله» [2] ٢ـ ﴿إنّا منجّوك وأهلك إلاّ امرأتك...﴾ [3]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

(٢) النساء: ٩٢.

(٣) العنكبوت: ٣٣.

٣ـ ﴿فأنجيناه وأهله إلاّ امرأته﴾[١]. وفيها تجد أن المرأة من الأهل، وأنها ترث، وكان عمر يجهلها حتى أخبره بها الضحاك الكلابي، وكان استعمله رسول الله على الأعراب[٢].

والأهل في كثير من الآيات تدل على الزوجة، يضاف إلى ذلك السنّة النبوية كما مرّ[٣].

عمر يخالف النص في الطلاق

الطلاق: هذا كتاب الله يعلن في الآية ٢٢٩ من سورة البقرة: **﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان...﴾** الى قوله في الآية التالية: **﴿فإن طلّقها فلاتحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾**. وهذا نص لايجوز فيه الجمع في دفعة واحدة، أعني أنه إذا قال: أنت طالق ثلاثاً، فلايمكن أن يعتبر إلاّ طلاقاً واحداً، ومن حسب ذلك جائزاً فهو تلاعب بالكتاب. وإليك ما أخرجه النسائي في «سننه» ج٦ ص١٤٢ و«تيسير الوصو» ج٣ ص١٦٠، و«تفسير ابن كثير» ج١ ص٢٧٧، و«إرشاد الباري» ج٨ ص١٢٨ و«الدر المنثور» ج١ ص٢٨٣: عن

---

(١) النمل: ٥٧.

(٢) راجع كتاب «الأم» للشافعي: ج٦ ص٧٧، وكتاب «الرسالة» له ص١١٣. و«اختلاف الحديث» له، في هامش كتاب الأم ج٧ ص٢٠، و«سنن أبي داود» ج٢ ص٢٢. و«مسند أحمد» ج٣ ص٤٥٢، و«صحيح الترمذي» ج١ ص٢٦٥، وصححه. و«سنن ابن ماجة» ج٢ ص١٤٢، و«سنن البيهقي» ج٨ ص١٣٤، و«تيسير الوصول» ج٤ ص٨ و«تاريخ الخطيب» ج٨ ص٣٤٣.

(٣) «سنن أبي داود» ج٢ ص٢٥. و«سنن البيهقي» ج٦ ص٢٤٦، و«تيسير الوصول» ج١ ص٢٥٣، و«النهاية» ج٤ ص٦٤.

محمود بن لبيد قال: أُخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضباناً ثم قال: «أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم»؟! حتى قام رجل وقال: ألا أقتله؟

كما جاء في «بداية المجتهد» ج ٢ ص ٦١ أن ركانة طلّق زوجه ثلاثاً، وعلم رسول الله ﷺ بذلك فقال: إنما هي واحدة. وبعد هذا كلّه وماورد في غير هذا عن رسول الله فقد ثبت إجماعاً أنّ الطلاق الثلاث كان واحداً في زمن رسول الله وأبي بكر، والسنين الأوائل من خلافة عمر، ثم أجازها عمر، يعني أجاز من الطلاق ثلاثاً أن يكون ثلاثاً خلافاً لنصّ القرآن وسنّة رسول الله. وقد أراد من أراد أن يخرج عمر من المخمصة ولو وقع هو فيها! كأولئك الذين دافعوا عنه عندما حرّم المتعتين واختلقوا الأعذار له فيها، ولكن هيهات! والله لهم بالمرصاد، فهم بين عالم فاسق، أو كافر تظاهر بالدين، أو جاهل متعصّب أعمى الله بصيرته. وجلّ ما يمكنهم الدفاع عنه أن عمر لم يحتج عليه أحد عند إدلائه برأيه فيها فلابد أن تكون منسوخة، ولكن أين النسخ؟! أهكذا يلعب بالنصوص والسنن، وهكذا يريد القوم الدفاع عمّن يصرّح هو أنها كانت على عهد رسول الله وهو يغيّرها! فهل جاز لبشر، أو للبشر كافة ان غيّروا نصّاً من الكتاب؟ فما جزاء من يفعل ذلك الاّ خزي في الدنيا والآخرة.

وهذا أبو حنيفة ومالك والأوزاعي والليث ذهبوا جميعاً الى أن الجمع بين الثلاث تطليقات بدعة، وأما أحمد والشافعي وأبو ثور فقالوا: ليس بحرام، لكن التفريق أولى. وإذا راجعت حاشية الإمام السندي على «سنن النسائي» ج٦ ص١٤٣ فإن ظاهر الحديث التحريم. وأما في «تيسير الوصول» ج٣ ص١٦٢ فهو قد قطع أن الثلاث بلفظٍ واحدٍ واحدة. وإليك كلمة الشيخ صالح بن محمد العمري

الفلاني المتوفى عام ٢٩٨ في كتابه «إيقاظ همم أولي الأبصار» ص٩ قال:

«إنّ المعروف عند الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين، وعند سائر العلماء المسلمين أن حكم الحاكم المجتهد، إن خالف نص كتاب الله تعالى، أو سنّة رسول الله ﷺ، وجب نقضه ومنه نفوذه، ولايعارض نصّ الكتاب والسنّة بالاجتهادات العقلية والخيالات النفسانية والعصبية الشيطانية بأن يقال: لعلّ هذا المجتهد قد اطّلع على هذا النصّ وتركه لعلّة ظهرت له، أو أنه اطّلع على دليل آخر، ونحو هذا مما لهج به فرق الفقهاء المتعصبين، وأطبق عليه جهلة المقلدين». كما أفتى في عمدة القارئ: ج ٩ ص٥٣٧. وإني وجميع المسلمين كما نزل به الكتاب المجيد نعتبر من أراد نسخ النص في الكتاب فهو فاسق إذا لم يستدلّ على خطئه، وإن استدلّ فهو كافر إذ كذب الله ورسوله. قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (١). ﴿... فأولئك هم الظالمون﴾ (٢) ﴿.. فأولئك هم الفاسقون﴾ (٣).

عمر والشعوبية

عمر يطرق في الإرث بين المسلمين العرب والعجم، على خلاف كتاب الله وسنّة رسوله. راجع الموطأ: ج ٢ ص١٢، فهذا كتاب الله ينطق قائلاً: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (٤). ويقول: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٠.

وهذه خطبة رسول الله ﷺ في الحج الأكبر: «أيها الناس* إنما المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لامرئ مال أخيه الاّ عن طيب نفس منه. ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعنّ بعدي كفاراً... الخ. فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلّوا بعدي: ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس! إن ربّكم واحد، وإن أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجميّ فضل الاّ بالتقوى، ألا هل بلّغت، اللهم اشهد. قالوا: نعم. قال: فليبلّغ الشاهد الغائب»(٦).

وقد قال ﷺ عن سلمان الفارسي: «سلمان منا أهل البيت». كما جاء في «مستدرك الحاكم» ج٣ ص٥٩٨، و«شرح مختصر صحيح البخاري» لأبي محمد الأزدي: ج ٢ ص٤٦. وقوله: «لو كان العلم في الثريا لتناوله ناس من أبناء فارس». كما أخرجه أحمد في «مسنده» ج ٢ ص ٤٢٠، و«الإصابة» ج٣ ص ٤٥٩.

قال ﷺ: «ليس منّا من دعا الى عصبيّة، وليس منّا من قاتل على عصبيّة، وليس منّا من مات على عصبيّة»(٧).

وقوله ﷺ: «من قاتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية، أو يدعو الى عصبية، أو ينصر عصبية فقتل، فقتله جاهلية»(٨).

---

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٦) راجع بذلك «البيان والتبيين» ج ٢ ص٢٥، و«العقد الفريد» ج ٢ ص ٨٥، و«تاريخ اليعقوبي»: ج٢ ص٩١، و«مجمع الزوائد» ج٣ ص٢٦٦ و٢٧٢. و«زاد المعاد» ج ٢ ص٢٢٦، و«الجامع الصغير» للسيوطي.

(٧) «سنن أبي داود» ج٢ ص٣٣٢.

(٨) «سنن البيهقي» ج٨ ص١٥٦.

عمر والتجسّس

عمر يتجسّس بنفسه خلاف النص القرآني «ولاتجسّسوا»[1].

عمر يجلد صائم بحدّ الخمر خلاف النص

عمر يجلد رجلاً صائماً حد شرب الخمر لمجرد أنه جلس عند شاربي الخمر، وهو موقن أنه صائم. كما أخرج ذلك الامام أحمد في (الأشربة). راجع «كنز العمال» ج٣ ص١٠١، و«منتخب الكنز» هامش «مسند أحمد» ج٢ ص٤٢٧. وربما قصد ردعهم أو أجبر على ذلك. وإن كان ما يستحقه تعزيراً فهو أقل من عشرة عصي، لاحدّ شرب الخمر! فقد ثبت في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ: «لايجلد فوق عشرة أسواط إلاّ في حدّ من حدود الله». وكذا في «سنن أبي داود» ج٢ ص٢٤٢، و«المستدرك» ج٤ ص٣٨٢ و«صحيح مسلم» في (الحدود) ج٢ ص٥٢، و«السنن الكبرى للبيهقي» ج٨ ص٣٢٨، وأبي نعيم في «الإصابة» ج٢ ص٤٢٣. و«من تجاوز فهو من المعتدين» كما جاء في «السنن الكبرى» للبيهقي ج٨ ص٣٢٧.

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور» ج٦ ص٩٣.

تناقض عمر في حدّ الخمرة ـ يبدل الخمر بالنبيذ!

تناقضه في حدّ شارب الخمر، وإباحته النبيذ، وسوف يأتي ذكر ذلك بأسناده.

وروى الزمخشري في «ربيع الأبرار» في باب (اللهو واللذات والقصف واللعب) وأخرجه شهاب الدين الأبشيهي في المستطرف ج٢ ص٢٩١، والطبري في تفسيره:

«إنّ عمر شربها مرة، وأخذ بلحي بعير وشج به رأس عبدالرحمان بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر ومنه:

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الشيزي المكلّل بالسنام

أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عني ... وينشرني إذا بليت عظامي

ألا من مبلغ الرحمان عني ... بأني تارك شهر الصيام

فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

(وفي قوله: ابن كبشة يقصد رسول الله الذي ينتمي الى نبي الله إسماعيل الذي فدي بالكبش).

فبلغ ذلك رسول الله. فخرج مغضباً يجر رداءه، فرفع شيئاً كان في يده وضربه، فقال: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله الآية (٩١) من سورة المائدة: ﴿إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون﴾؟! فقال عمر (رض) انتهينا.. انتهينا».

وانتقل من شرب الخمر الى شرب النبيذ الشديد! وكانت الخمرة حرمت منذ نزول الآية الأولى وفيها قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم

كبير ومنافع للناس﴾[١] وقوله: ﴿فيهما إثم كبير﴾ وقد حرم الله الإثم بقوله تعالى: ﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق﴾[٢].

وكانت الخمرة تسمى عند العرب بالإثم، كما قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

وقال آخر فقل الخمرة معبراً عنها بالإثم:

تشرب الإثم بالصواع جهاراً ... وترى المسك بيننا مستعارا[٣]

وعلى هذا وقد شربها عمر بعد التحريم الأول والثاني حتى غضب عليه رسول الله وضربه.

وبعد نزول الآية الثالثة في تحريم الخمر وغضب رسول الله عليه وضربه له كما مرّ، قال: انتهينا! وبالنظر لاعتياده عليها طفق يشرب النبيذ الشديد. وكان يقول: «نشرب هذا الشراب الشديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن تؤذينا. فمن رابه شرابه في شيء فليمزجه بالماء»[٤].

قول عمر: إني رجل معجار

وكان عمر يقول: إني رجل معجار البطن، أو مسعار البطن، وأشرب هذا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٣) راجع لغات العرب في ذلك «تاج العروس» ج٨ ص١٧٩، و«لسان العرب» ج١٤ ص٢٧٢.

(٤) راجع في ذلك «السنن الكبرى» للبيهقي ج٨ ص٢٩٩، و«محاضرات الراغب» ج١ ص٣١٩، و«كنز العمال» ج٢ ص١٠٩.

النبيذ الشديد فيسهل بطني، أخرجه «كنز العمال» ج٣ ص١٠٩، وابن أبي شيبة، وجاء نفس المعنى في «مسانيد أبي حنيفة» ج ٢ ص ١٩٠ و ٢١٥. وظلّ يشربها حتى بعد أن طعن. وكان يشرب النبيذ الشديد إلى آخر نفس لفظه. قال عمرو بن ميمون: شهدت عمر حين طعن أتي بنبيذ شديد فشربه ص٦ ص١٥٦. ومن شدة حدّة نبيذه كان إذا شربه آخر سكر، وكان عمر يقيم عليه الحد. وكان الخليفة لاعتياده عليه لايتأثر منه.

قال الشعبي: «شرب أعرابي من إداوة عمر فأغشي، فحدّه عمر» ثم قال: «وإنّما حدّه للسكر لا للشراب»! أخرجه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ج٣ ص٤١٦. كما أخرج ذلك الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٢ ص ٥٦٥: «إن أعرابياً شرب من شراب عمر، فجلده عمر الحدّ، فقال الأعرابي: إنما شربت من شرابك! فدعا عمر بشرابه فكسره بالماء ثم شرب منه، وقال: «من رابه شرابه شيء فليكسره بالماء»! وأيّد ذلك إبراهيم النخعي ورواه، ومثله جاء في «جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ١٩٢. قال: هكذا فاكسروه بالماء إذا غلبكم شيطانه. وجاء نفس المعنى في «حاشية سنن البيهقي» لابن التركماني ج٨ ص٣٠٦، و«كنز العمال» ج٣ ص ١١٠.

وأخرج النسائي في «سننه» ج٨ ص٣٢٦ أن عمر بن الخطاب قال: «إذا خشيتم من نبيذ شدّته فاكسروه بالماء».وأخرج القاضي أبو يوسف في كتاب «الآثار» ص٢٢٦، عن أبي حنيفة، عن أبي عمر أن التابعي الكوفي قال: «إن عمر أخذ رجلاً سكران فأراد أن يجعل له مخرجاً فأبى إلاّ ذهاب عقل، فقال: احبسوه، فإذا صحا فاضربوه. ثم أخذ فضل إداوته فذاقه فقال: أوه! هذا عمل بالرجال العمل، ثم صبّ فيه ماء فكسره، وسقى أصحابه وقال: هكذا اصنعوا بشرابكم إذا

غلبكم شيطانه». فكان عمر لشدة شربه عارفاً للشديد وغير الشديد لمجرد طعمه.

وما أبدع من قال: إن كان لايعلم أنه مسكر فليس عليه الحدّ، وإن كان يدري أنه مسكر فله أسوة بالخليفة!

هذه تحض الخليفة عمر وتحليله الحرام دون رعاية نصوص الكتاب والسنّة المحمديّة التي قالها ﷺ: «القليل الذي لايسكر مما يسكر كثيره حرام». أو قوله ﷺ: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره»(١).

وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»(٢).

وبذلك أخذ الجمهور واعتمد عليه علماء الحنفية. أخرج أبو حنيفة في «جامع المسانيد» ج ٢ ص١٨٣ بأسناده عن رسول الله ﷺ قوله: «حرمت الخمرة لعينها». القليل منها والكثير، والمسكر من كلّ شراب».

وهاك ماجاء في «نهج البلاغة: ج ٢ ص ٦٥ عن رسول الله ﷺ: «إن القوم سيفتنون بعدي بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية. فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع».

فما قولك أيها القارئ الكريم بعد هذه الأسناد بالتلاعب هكذا بالنصوص

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» ج٢ ص١١٣، والنسائي في «سننه» ج٨ ص٣٠١، والبيهقي في «سننه» ج٨ ص٢٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» ج٢ ص١٢٩، وجاء في «مسند أحمد» ج٢ ص١٦٧، وج٣ ص٣٤٣، و«صحيح الترمذي» ج١ ص٣٤٢، و«سنن ابن ماجة» ج٢ ص٣٣٢، و«سنن النسائي» ج٨ ص ٣٠٠، و«سنن البيهقي» ج٨ ص٢٩٦، و«مصابيح السنّة» للبغوي ج٢ ص٦٧، وتاريخ الخطيب ج٣ ص٣٢٧، و«جامع الأصول» لابن الأثير، و«التيسير» ج٢ ص١٧٣.

والسنن، ودين الله وحدود الله وسنن نبيّه محمد وآله؟ أو لازلت تظن أن عمر يتقيد بالنصوص بعد أن حرّم حلالها وحلّل حرامها؟ رحماك اللهم رحماك من النفاق والفسق والكفر وأهله!.

عمر يخالف النص وينهى عن أكل اللحم

هذا عمر يعلو بدرّته رأس من ابتاع لحماً لأهله، وينهى عن أكل اللحم! جاء هذا في «سيرة عمر» لابن الجوزي ص٦٨، و«كنز العمال» ج٣ ص١١١، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٢٤. وهو بذلك يخالف نصوص القرآن: ﴿أحلّت لكم بهيمة الأنعام﴾[١]. و﴿يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين﴾[٢]. و﴿كلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾[٣]. وبأي حق يعلو رأس الرجل بالدرّة؟! هل أتى حراماً، أو اعتدى على أحد، أو سرق؟!

جهل عمر بنصوص الفرائض والسنن

عمر يجهل الفرائض في كتاب الله وسنّة رسوله ويقول: «والله ما أدري أيّكم قوم الله ولا أيّكم آخر»![٤].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٨.

(٤) راجع «أحكام القرآن» للجصّاص: ج٢ ص١٠٩، و«مستدرك الحاكم» ج٤ ص٣٤٠، و«السنن الكبرى» للبيهقي ج٦ ص٢٥٣، و«كنز العمال: ج٦ ص٧، وفي «أوائل السيوطي وتاريخه» ص٩٣، ومحاضرة السكتواري ص١٥٢.

تلك كانت نبذة من النصوص التي خالفها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عمداً دون الإدلاء بدليل ولا برهان على نسخها نصّاً أو سنّة. وحاشا رسول الله أن يوقف نصّا، بل إن عمر قال في أكثرها، وفي المتعتين على الأخص متعة الحج ومتعة النساء إنّما كانتا على عهد رسول الله وأنه هو يحرمهما ويعاقب عليهما! أعوذ بالله من هذا الخروج الصريح عن حدود الله. وفي سورة المائدة جاء: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (١).

ولسوف أورد نبذة من سنن رسول الله التي خالفها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

جهله بأحكام الشك في الصلاة

فعمر لايعرفها! راجع «مسند أحمد» ج ١ ص ١٩٠ و ١٩٥، و«سنن البيهقي» ج ٢ ص ٣٣٢ بعدة طرق.

فكيف إذا شك في صلاته وهو إمام المسلمين، أو سأله أحدهم عن الشكوك في الصلاة وهو أمير المؤمنين ويجب أن يكون أعلم الأمة بالفقه والشريعة.

حدّ عمر لمجنونة

عمر يقيم الحد على مجنونة زنت! وقد قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ، والمعتوه حتى يبرز». وقد أنقذها علي بن أبي طالب من الحدّ (٢).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» ج ٢ ص ٢٢٧، وجاء في «سنن ابن ماجة» ج ٢ ص ٢٢٧،

جهله بكفارة بيض النعام

يستفتي عمر عن محرمين أصابوا بيض نعام فلايعرف، فيفتيهم عليّ، فيقول عمر: «اللهمّ لاتنزل بي شديدة الاّ وأبو الحسن الى جنبي»[1].

عمر وطلاق الأمَة

رجلان يسألان عمر عن طلاق الأمة فيجهل الجواب، فيستفتي علياً فيفتيهم، فيغضب السائل، فيقول له عمر: «ويلك! أتدري من هذا»؟[2].

= و«مستدرك الحاكم» ج٢ ص٥٩ وج٤ ص٣٨٩، و«سنن البيهقي الكبرى» ج٨ ص٢٦٤، و«جامع الاصول لابن الأثير وتيسير الوصول» ج٢ ص٥، و«الرياض النضرة» للطبري ج٢ ص١٩٦، و«ذخائر العقبى» ص٨١، و«إرشاد الساري» ١٠ ص٩، و«فيض القدير» للمناوي ج٤ ص٣٥٧، و«حاشية الحفني على شرح الفزنوي على الجامع الصغير» ج٢ ص٤١٧، والدمياطي في «مصباح الظلام» ج٢ ص٥٦، و«تذكرة السبط لابن الجوزي» ص٥٧ وفيه أن عمر قال: لولا علي لهلك عمر». وابن حجر في «فتح الباري» ج١٢ ص١٠١، و«عمدة القاري» للعنين ج١١ ص١٥١. وأخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب «المحاربين» باب «لايرجم المجنون والمجنونة».

(١) جاء في «الرياض النضرة» للطبري ج٢ ص٥٠ و١٩٤، و«ذخائر العقبى» ص٨٢، و«كفاية الشنقيطي» ص٥٧.

(٢) أخرجه الكنجي في «كفايته» ص١٤٩. والحافظ الدارقطني، وابن عساكر، والزمخشري، والخوارزمي في «المناقب» ص٧٨، والهمداني في «مودّة القربى»، والطبري في «الرياض النضرة» ج٢ ص٢٤٤، والصفوي في «نزهة المجالس» ج٢ ص٢٤٠.

يأمر برجم الحامل

يأعمر عمر برجم حامل فينهاه علي قائلاً: «إذا كان سلطانك عليها فما لك سلطان على ما في بطنها، ولعلّك نهرتها وخوّفتها، فقال: قد كان ذلك، قال عليّ: أوما سمعت رسول الله ﷺ قال: «لاحدّ على معتوق بعد بلاء»؟ إنّه من قُيّد أو حبس أو تهدّد فلا إقرار له. فخلى سبيلها وقال: «**عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر**»(١) وقد أطلق سراح المرأة مطلقاً لأن إقرارها أخذ خوفاً، فلم يعتبر.

حبلى ترجم

أمر عمر برجم حبلى فمنعه علي، فتركت حتى وضعت، وبعده رجمت. واعترف عمر بقوله: «كل أحد أفقه مني»، وكررها ثلاثاً(٢).

زواج في العدّة

جاء في «أحكام القرآن» للجصّاص ج١ ص٥٠٤: أن عمر لمّا علم بزواج في العدّة فرّق بينهما، وعاقبهما، ومنع أن ينكحها للأبد! وجعل الصداق في بيت المال، فأفتى عليّ بجعل الصداق لها، وفرّق بينهما دون جلد، على أن تكمل عدتها

---

(١) جاء في «الرياض النضرة» ج٢ ص١٩٦، و«ذخائر العقبى» ص٨٠، و«مطالب السؤول» ص١٣، و«مناقب الخوارزمي» ص٤٨، و«أربعين فخر الرازي» ص٤٦٦.

(٢) راجع «الرياض النضرة» ج٢ ص١٩٦، و«ذخائر العقبى» ص٨١.

من الأول، ثم تكمل العدة من الثاني، ثم يقتدم منها خاطباً. فرجع عمر الى قول علي وفي «التذكرة»: فقال عمر: «لولا علي لهلك عمر».

ووردت بعدّة صور. راجع بذلك «السنن الكبرى» للبيهقي ج٧ ص٤٤١، و«الموافقات» لابن السمان، و«كتاب العلم» لأبي عمر ج٢ ص١٨٧، و«الرياض النضرة» ج٢ ص١٩٦، و«ذخائر العقبى» ص٨١، و«مناقب الخوارزمي» ص٥٧، و«تذكرة السبط» ص٨٧.

وقد أخطأه الخليفة في جلدها، ووضعه المهر في بيت المال؛ ومنعه الباتّ للرجل من زواجها! وعلام لم يتبع السنّة؟ تلك السنّة التي أبى تدوينها حتى تركها بيد المتلاعبين من بني أمية وأعداء الإسلام.

امرأة تسرّرت غلامها

امرأة تأولت الآية الشريفة: ﴿أوماملكت أيمانهم﴾ فاتخذت مملوكها. فعلم عمر، فضرب العبد وجز رأسه، وحرّمها على كل حر، ومنع أن يقربها العبد.

راجع «تفسير القرطبي» ج١٢ ص١٠٧، و«تفسير ابن جرير الطبري» ج٦ ص٦٨، و«سنن البيهقي» و«تفسير ابن كثير» ج٣ ص٢٣٩، و«الدر المنثور». فمن أين جاء بهذه العقوبات وقد جاء عن رسول الله ﷺ:

«ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم لمسلم مخرجاً فخلّوا سبيله، فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»[1].

---

(١) راجع كتاب «الأم» للشافعي: ج٧ ص٢١٤، و«مستدرك الحاكم» ج٤ ص٣٨٤، و«صحيح الترمذي» ج١ ص٢٦٧، و«تاريخ الخطيب البغدادي» ج٥ ص٣٣١، و«سنن البيهقي» ج٢ =

تبديل السنّة في الخمر

كان الحدّ في الخمر على عهد رسول الله أربعين جلدة، وسار عليه أبو بكر وعمر ردحاً من الزمن، ثم بدله إلى ثمانين!![1].

وقد ذكر البعض لمّا ذُكر أن عمر حدّ شارب الخمر الثمانين: قيل: «كلٌّ سنّة»! وقد أشركوا مع رسول الله غيره، والآية تنفي ذلك: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا**﴾[2].

فما جاز لعمر أن يقول شيئاً خلاف ما جاء في الكتاب وخلاف ما جاء في السنّة، وما كان يحقّ لأي مسلم أن يجعل من قول عمر وعمله سنّة. فقد قال الله سبحانه عزّوجلّ: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**﴾[3].

فقول الحلبي في «السيرة الحلبية» ج ٢ ص ٣١٤ عند ذكره أن عمر جلد بعد

= ص٢٣٨، و«مشكاة المصابيح» ص٣٠٣، و«تيسير الوصول» ج٢ ص٢٠، و«جامع مسانيد أبي حنيفة» ج٢ ص٢١٤.

(١) راجع: «سنن أبي داود» ج٢ ص٢٤١ ـ ٢٤٢، والبيهقي في «السنن الكبرى» ج٨ ص٣١٨ و٣٢٠ و«تيسير الوصول» لابن الربيع: ج٢ ص١٧ و«صحيح مسلم» ج٢ ص٥٢، و«كنز العمال» ج٣ ص١٠٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٣) سورة النحل: الآية ١١٦.

النبي ثمانين: «كلٌّ سنّة» فهذا افتراء وكذب ما كان يحق لعمر إفتاؤه خلاف فتوى رسول الله، ولا كان يحق لما عُبّر عن أنّ فتوى عمر سنّة، إذن لحقّ لكلّ فرد من المسلمين أن يسنّ سنّة، وإذن لفسد الكتاب وفسدة السنّة.

دية الجنين

يُسأل عنها الخليفة فيقول المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة، وشهد له محمد بن مسلمة، قضى بها![١].

ويقبل عمر كلام المغيرة، هذا الفاجر، أزنى ثقيف وأكذبها، وحوله أتقى وأعلم الصحابة!!

تهديد دون جدوى

جاء في «صحيح البخاري» ج ٣ ص ٨٣٧ ط: الهند، و«صحيح مسلم» ج ٢ ص ٢٣٤، و«مسند أحمد» ج ٣ ص ١٩، و«سنن الدارمي» ج ٢ ص ٢٧٤، و«سنن أبي داود» ج ٢ ص ٣٤٠، وغيرها أن أبا موسى استأذن عمر ثلاثاً فوجده مشغولاً فرجع؟! فلامه عمر فقال: كنّا نؤمر بهذا. فقال له: لتقيمنّ على هذا بيّنة أو لأفعلنّ (وفي لفظ: فوالله لأوجعنّ ظهرك وبطنك! وفي لفظ الطحاوي: والله لأضربنّ بطنك وظهرك أو لتأتينّ بمن يشهد لك) فذهب الى مجلس للأنصار فشهدوا له، وأرسلوا أصغرهم أبا سعيد فقال له: كنّا نؤمر بهذا. فقال عمر: «خفيَ عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق بالأسواق». ولطالما كرر كلمته هذه عندما يُحرج،

---

(١) راجع «صحيح البخاري» كتاب الديات، و«مسلم» ج ٢ ص ٤١، و«سنن أبي داود» ج ٢ ص ٢٥٥، و«مسند أحمد» ج ٤ ص ٢٤٤.

والحقيقة أنه غير الصحابة كان مشغولاً في السوق.

وتؤخذ عليه هذه الشدة مع صحابة رسول الله وتهديدهم لأمر أوليّ ظاهر يشوّق اليه الصاحبي لا أن يؤنّب ويهدّد بالضرب والجلد! وقد ظهر أن جميع الأنصار في المجلس كانوا يعلمون ذلك، وهم تقصّدوا إرسال أصغرهم.

عمر يعاقب من تبكي على موتاها

جاء في «عمدة القارئ» ج ٤ ص٨٧ أنه: أخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة أنه قال: مات ميت من آل رسول الله ﷺ فاجتمع النساء تبكي عليه، فقام عمر ينهاهنّ ويطردهنّ، فقال ﷺ: «دعهن ياعمر، فإن العين دامعة، والقلب مصاب، والعهد قريب». وعند وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ بكت النساء فضربهنّ عمر بسوطه، فنهاه رسول الله. كما جاء في «مسند أحمد» ج ١ ص٢٣٧، و«مستدرك الحاكم» ج٣ ص١٩١، و«مسند أبي داود الطيالسي» ص٣٥١، و«الاستيعاب» ج٢ ص٤٨٢، و«مجمع الزوائد» ج٣ ص١٧. وكان رسول الله يمسح دموع ابنته فاطمة.

وقال عمر: إنّ الميّت يعذّب بالبكاء، وكذّبته عائشة! حيث أخرجه الحاكم في «مستدركه» ج ١ ص ٣٨١، فقد قالت عائشة: والله ما قال رسول الله إنّ الميّت يعذّب ببكاء أحد. ولكنّه ﷺ قال: «إنّ الكافر يزيده عند الله بكاء أهله عذاباً شديداً، وإن الله هو أضحك وأبكى، ولا تزر وازرة وزر أخرى».

وقالت عائشة: إنما مرّ النبي على قبر يهودي فقال: «إنّ صاحب هذا ليعذّب وأهله يبكون عليه» ثمّ قرأت: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»[1].

---

(١) جاء في «سنن أبي داود» ج٢ ص٥٩، و«النسائي» ج ٤ ص١٧.

وهذا رسول الله يبكي ولده العزيز ابراهيم ويقول: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنّا بك يا ابراهيم لمحزونون». راجع: «سنن أبي داود» ج٣ ص٥٨، و«ابن ماجة» ج١ ص٤٨٢. وهو ﷺ ينعى جعفراً، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة وعيناه تدمعان (راجع: «صحيح البخاري» كتاب «المناقب في علامات النبوة» و«سنن البيهقي ج٤ ص٧٠)، وهو ﷺ زار قبر أمه وبكى، وأبكى عليها[١].

مقياس البلوغ

كان مقياس البلوغ عند الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الطول إذا بلغ ستة أشبار كاملة، لإقامة الحد عليه. راجع: «الأوسط» لابن المنذر، و«كنز العمال» ج٣ ص١١٦. كما أخرجه ابن أبي شيبة، وعبدالرزاق، ومسدّد: ان عمر كتب في غلام من أهل العراق سرق، أن اشبروه فإن وجدتموه ستة أشبار فاقطعوه. وقد خالف بهذا السنّة والشريعة، أن تحقيق البلوغ بثلاثة: الاحتلام، ونبت الشعر، والسن المحدّد. راجع بذلك «السنن الكبرى» للبيهقي ج٥ ص٥٤ ـ ٥٩. وإذا عدنا لرأي الخليفة نَرى أنّ الأشبار تختلف طولاً حسب الأفراد من جهة، كما أن الطول يختلف. فربما بلغ الستة وهو دون سنّ البلوغ أو تجاوزه، كما لانجد ذلك موافقاً لعرف ولا شريعة ولا منطق، فمن أين جاء به الخليفة؟!

❊ ❊ ❊

---

(١) راجع: «سنن البيهقي» ج٤ ص٧٠، و«تاريخ الخطيب البغدادي» ج٧ ص٢٨٩).

العمرة

سائل يسأل عمر: من أين أعتمر؟ فيقول: ائت علياً فسله، ويقرّ ما قاله عليّ(١).

المناسك

عن مالك أن عمر قال: «بعد رمي الحجر في منى (في رواية أخرى: من رمى الجمرة وحلق وقصّر ونحر حلّ له ما حرم سوى الطيب والنساء حتى يطوف البيت) وذلك ما خالفته فيه عائشة وقالت: أنا طيبت رسول الله ﷺ محلّه قبل أن يطوف البيت، وعلى الأخير سارت الأمة. وحديث عمر خلاف السنّة(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه ابن حزم في «المحلى» ج٧ ص٧٩، وجاء في «الموافقة» لابن السمان، و«الرياض النضرة» للطبري ج٢ ص١٩٥، و«ذخائر العقبى» ص٧٩.

(٢) راجع: «موطأ مالك» ج١ ص٢٨٥، و«صحيح الترمذي» ج١ ص١٧٣، و«سنن البيهقي» ج٥ ص٢٠٤، و«جامع بيان العلم» ج٢ ص١٩٧، و«الإجابة» للزركشي ص٨٨. وما ثبت بحديث عائشة راجع «صحيح البخاري» ج٤ ص٥٨، و«مسلم» ج١ ص٣٣٠، و«الترمذي» ج١ ص١٧٣، و«سنن أبي داود» ج١ ص٢٧٥، و«الدارمي» ج٢ ص٣٢، و«ابن ماجة» ج٢ ص٢١٧، و«النسائي ج٥ ص١٣٧، و«البيهقي» ج٥ ص٢٠٥.

في الطلاق

عمر يجهل أن يجيب حينما سئل عن رجل طلّق امرأته في الجاهليّة تطليقتين، وفي الإسلام تطليقة[1].

تلك كانت نصوصاً اجتهد بها، وأخرى سنناً يخالفها، وإليك نبذاً أخرى تدل على مبلغ عمله وقريحته الفقهية، وآرائه المنطقية، وفروضه في الدين، وقسوته، وتعصّبه الجاهلي.

الأبّ

عمر يجهل أبسط لغات القرآن، ومنها فهو يحتار في كلمة «الأب». جاء في سورة «عبس»: ﴿وفاكهةً وأبّاً﴾[2]، ويحسب معرفة ذلك تكلّفاً، وهو إن أصغى للآية بعدها ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[3] إذ الفاكهة للبشر، والأب للأنعام من العشب ـ لكفاه وعن ثابت: أنه سئل: ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمّق والتكلف[4].

(١) راجع بذلك «كنز العمال» ج٥ ص١٦١، و«منتخب الكنز بهامش مسند أحمد» ج٣ ص٤٨٢.

(٢) سورة عبس: الآية ٣١.

(٣) سورة عبس: الآية ٣٢.

(٤) راجع بذلك: «تفسير ابن جرير» ج ٣٠ ص٣٨، و«مستدرك الحاكم: ج٢ ص٥١٤، «وتاريخ

=

غلام ترفضه أُمه

خاصم غلام أُمه فجحدته، وقامت ضده البيّنة، فأمر عمر بحدّه للقذف. ويحلّ المشكل عليّ بتزويجها منه فتأبى، وتعترف أنها أمّه وتقصّ الحقيقة(1).

الكنايات (1): قال العقلاء: الكناية أبلغ من التصريح، ومعرفة الكناية تدلّ على سعة إدراك الفرد وعلمه وتجربته. وقد حدث مرّة لعمر (كما جاء في كتاب «الطرق الحكمية» لابن القيم الجوزية ص٤٦) أن سأل رجلاً: كيف أنت؟ فأجاب بأنه يحبّ الفتنة، ويكره الحق، ويشهد على ما لم يره. فأمر بسجنه، فأمر عليّ بردّه وقال: صدق. فقال: كيف صدقته؟ فقال: يحبّ المال والولد، والله يقول: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾(2) ويكره الموت وهو حق، ويشهد بمحمد ﷺ رسول الله وهو لم يره».

= الخطيب» ج١١ ص٤٦٨، و«كشاف الزمخشري» ج٣ ص٢٥٣، و«الرياض النضرة» ج٢ ص٤٩ نقلاً عن البخاري والبغوي والذهبي والمخلص، و«موفقيات الشاطبي» ج١ ص٢١ و٢٥، و«سيرة عمر» لابن الجوزي ص١٢٠، و«نهاية ابن الأثير» ج١ ص١٠، و«أصول تفسير ابن تيمية» ص٣٠، و«تفسير ابن كثير» ج٤ ص٤٧٣، و«تفسير الخازن» ج٤ ص٣٧٤، و«الدر المنثور» ج٦ ص٣١٧، و«كنز العمال» ج١ ص٢٢٧ وغيره من المفسرين والحفاظ، و«تفسير الرازي» ج٨ ص٣٨٩، و«إرشاد الساري» ج١٠ ص٢٩٨، و«عمدة القاريء» ج١١ ص٤٦٨، «وفتح الباري» ج١٣ ص٢٣٠.

(1) راجع: ابن القيم الجوزية «الطرق الحكمية» ص٤٥.

(2) سورة التغابن: الآية ١٥.

وبلفظ آخر ونفس المعنى (قيل إن المسؤول هو حذيفة بن اليمام) وفيه إضافات، وفيها أن عمر قال: «كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب» كما أخرجه الكنجي في «كفاية الطالب» ص٩٦، وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة» ص١٨.

وروي نفس المعنى بألفاظ أخرى، وفيها قال عمر: «أعوذ بالله من معضلة لا عليّ بها» (راجع «نور الأبصار» للشبلنجي). وبلفظ الزمخشري: «كلّ الناس أعلم من عمر». وبلفظ القرطبي «كلّ الناس أعلم منك يا عمر».

الكنايات (٢): لا يدري أثناء هو أم شكوى: جاءت امرأة الى عمر فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار. فاستحسن ثناءها على زوجها، فقال كعب بن سوار: إنها تشكو زوجها! فقال عمر: كيف؟ فأجاب: تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب. قال: فإذا فهمت ذلك فاقض بينهما. فقال: لها ليلة في كلّ أربع ليالٍ، إذ أحلّ الله له من النساء أربعاً (روى ذلك قتادة والشعبي) وجاء بعدّة ألفاظ[1].

تناقض في الصلاة

صلّى عمر المغرب فلم يقرأ في الركعة الأولى، فأعاد في الثانية قراءة فاتحة الكتاب مرتين، ولما فرغ سجد سجدتي السهو. راجع: ابن حجر في «فتح الباري» ج٣ ص٦٩، والبيهقي في «السنن الكبرى».

---

(١) راجع «الكنى والألقاب» للدولابي ج١ ص١٩٢، و«الاستيعاب» في ترجمة كعب بن سوار، و«الأذكياء» لابن الجوزي ص١٩ و١٤٢، و«المستطرف» لشهاب الدين الأبشيهي ج١ ص٧٠، و«شرح ابن أبي الحديد» ج٣ ص١٠٥، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص٩٦، و«الإصابة» ج٣ ص٣١٥.

وفي مرة أُخرى صلّى المغرب فلم يقرأ فيها، فلما انصرف قيل له: ما قرأت! قال: فكيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً، قال: فلابأس إذاً!![1].

في الثالثة صلّى المغرب فلم يقرأ شيئاً، ولما فرغ وأخبروه أنه لم يقرأ قال: جهّزت عيراً إلى الشام وجعلت أنزلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام فبعتها وأقتابها وأحلاسها وأجمالها.. فأعاد عمر وأعادوا!!! «السنن الكبرى» ج ٢ ص ٣٨٢، و«كنز العمال» ج ٤ ص ٢١٣. فكان الخليفة غير مقيّد بكتاب أو سنّة، ويعمل ما يشاء، فللّه هذا التلاعب في أعظم فرائض المسلمين! ولله درّ إمام هذا شأنه، وويل لأمة أصبح زمامها بيد من يفكر بقوافل الجاهلية وتجارتها وهو خليفة يصلي ولايدري ما يقول، يقف أمام الله وقلبه طائر بعيد عما وقف من أجله، ولم يفكر بعظمة من جاء يصلي له، وبالأمة المقتدية به وهو يتلو القرآن مرة: ﴿لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾[2]. وفي أخرى: ﴿رجال لاتلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله﴾[3]. بل هو يصرّح دون خوف وخجل أنه في الصلاة انتقل بالقافلة التجارية الى الشام، فها هو قد عاد الى جاهليته، وتحمله نشوة النصر الى التفكير بالمال والتجارة، ومن ورائه جموع الأُمة يتوسلون الى الله بإمامهم وقدوتهم ليوصلهم الى سبيل الرشاد والصراط المستقيم. وبعد كل هذا فهو يتلافى خطأه واشتباهه بتجديد الصلاة مرة، وبتكرار الحمد أخرى، ويتركها ثالثة لا هذه ولا تلك. ومن قبل كان يفتي لمن لم يجد الماء للغسل أو الوضوء بأن لايصلي، خلافاً

---

(١) راجع البيهقي في «السنن» ج٢ ص٣٤٧،و٣٨١، والسيوطي في جمع الجوامع: ج٤ ص١٣ وهو مسند وصحيح.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

لنصّ التيمم، ويقول: أنا أعمل ذلك. ففشا عمله هذا في الصلاة! الصلاة التي هي عمود الدين، والتي قال فيها رسول الله ﷺ: «إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها». فللّه درّه كيف أمّ الأُمة، وكيف غصب منصب الخلافة من الذي بايعه بالأمس بأمر من الله وأمر من رسوله أجبره على مبايعة أبي بكر له ومبايعته هو من بعده، لأعلم الأمة وأنقاها وأخلصها وأتقاها، يعسوب الدين وقائد الغر المحجلين، والفاروق الأعظم، والصدّيق الأكبر، ذلك علي بن أبي طالب الذي شهد هو بفضله وبإمامته، وبأن من خالفه وأبغضه فهو منافق: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[(١)].

أوّل جدّ يرث في الإسلام

وعمر أوّل جدّ ورث في الإسلام فأخذ تركة حفيده، وقد منعه علي وزيد وقالا له: «ليس لك ذلك، إنما كنت أحد الإخوة»[(٢)].

وظلّ عمر لا يعلم نصيب الجدّ من الميراث حتى مات، وقد كان سأل النبي عن ذلك فأخبره بأنه يموت قبل أن يعلم ذلك، وهكذا كان[(٣)].

وجاء في «شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد» ج ١ ص ٦١: «كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضدّه وخلافه، قضى في الجد مع الإخوة قضايا

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤.

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» ج ٢ ص ٣٥٤، وجاء في «السنن الكبرى» للبيهقي: ج ٦ ص ٢٤٧.

(٣) راجع بذلك: «مجمع الزوائد» ج ٤ ص ٢٢٧، كما ذكره الطبراني في «الأوسط» والسيوطي في «جمع الجوامع» ج ٦ ص ١٥، نقلاً عن البيهقي وعبدالرزاق وأبي الشيخ في الفرائض.

كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: «من أراد أن يقتحم جراثيم جهنم فليقل في الجدّ برأيه».

وعن عبيدة أن عمر قضى في الجدّ قضايا مختلفة متناقضة حفظ منها مئة قضية! فعلام يدل هذا التناقض سوى عن جهل صاحبه بالموضوع؟ وها هو يعترف بعدها بقوله: «من أراد أن يقتحم جراثيم جهنّم فليقل في الجدّ برأيه»، وقد فعل ذلك، وقد أخبره رسول الله أأنه يموت وهو جاهل بها، فما باله إذاً يقتحم جراثيم جهنم؟![١].

امرأة تحتال

شاب يعتصم عن مراودة امرأة فتحتال بإلقاء بياض بيض على فخذها وثوبها، وتستغيث منه بعمر، فيهمّ بعقوبته لولا أن علياً يلقى على الثوب ماء يغلي، فيجمد البيض، ثم يشمّه ويذوقه، فيزجرها فتقر[٢].

ومكروا ومكر الله

استودع اثنان وديعة عند امرأة شريطة أن لاتدفعها الاّ لكليهما معاً، وبعد سنة جاءها أحدهما مدّعياً موت صاحبه، وبعد إلحاح سلمته الوديعة. ثم بعدها بمدة جاءها الثاني وطالبها بالوديعة فأخبرته أنها أسلمتها لصاحبه، لكنه رفض ذلك وراجع عمر، فقضى عليها، لكنها طلبت قضاء عليّ فأرسلها إليه، فقال علي للمطالب: جئني بصاحبك حتى أعطيك الوديعة، فبلغ ذلك عمر فقال: «لا أبقاني

---

(١) راجع «السنن تالكبرى» للبيهقي ج٦ ص٢٤٥.

(٢) راجع: «الطرق الحكمية» لابن القيم: ص٤٧.

الله بعد ابن أبي طالب»[١].

عمر يحاول محو آثار النبوة

١ـ عمر يقطع شجرة الرضوان كي لايصلّي أحد تحتها[٢].

٢ـ يمنع الصلاة بمسجد صلّى فيه النبي: رأى عمر ناساً يصلّون تبرّكاً في مسجد صلّى فيه النبي، فمنعهم[٣].

٣ـ يمنع تدون الحديث والسنّة بما فيها فضائل محمّد وآل محمّد، وما حدّثه عنهم ووصّى باتّباعه، وذمّ مخالفيهم وغاصبيهم، وما جاء في تأويل الكتاب وشرح مجمله ومتشابهه، وأخصّ منه ما يخصّ محمداً وآله[٤].

٤ـ يمنع التسمية باسم النبي: عمر (رض) كتب الى أهل الكوفة: لاتسمّوا أحداً باسم نبيّ. وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم المسمّين بمحمّد، حتى ذكر له جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ أذن لهم في ذلك، فتركهم (راجع:

---

(١) راجع كتاب «الأذكياء» لابن الجوزي: ص١٨، و«أخبار الظرّاف» لابن الجوزي ص١٩، و«الرياض النضرة» ج٢ ص١٩٧، و«تذكرة السبط» ص٨٧، و«ذخائر العقبى» ص٨٠، و«مناقب الخوارزمي» ص٦٠.

(٢) راجع: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ص٦٠٧، و«سيرة عمر» لابن الجوزي ص١٠٧، و«شرح النهج» ج٣ ص١٢٢، و«السيرة الحلبية» ج٣ ص٢٩، و«فتح الباري» لابن حجر ج٧ ص٣٦١، و«إرشاد الساري» ج٦ ص٣٣٧، و«شرح المذاهب» للزرقاني ج٢ ص٢٠٧، و«الدر المنثور» ج٦ ص٧٣، و«عمدة القاريّ» ج٨ ص٢٨٤، و«شرح النهج» ج١ ص٦٠.

(٣) «سيرة عمر» لابن الجوزي ص١٠٧، و«شرح النهج» ج٣ ص١٢٢، و«فتح الباري» ج١ ص ٤٥٠ و«صحيح البخاري، كتاب الصلاة».

(٤) راجع كتاب محمود أبو رية: «أضواء على السنّة المحمدية».

«عمدة القارئ» ج٧ ص١٤٣، ذلك كان أمر عمر، وقد أخرج الطبري وابن عدي والهيثمي في «مجمع الزوائد: ج٨ ص٤٩، والسبط في «الجامع الصغير» في حرف الميم: أن رسول الله ﷺ قال: «من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسمّ أحدهم محمداً فقد جهل». وقال ﷺ: «من ولد له مولود فسمّاه محمداً حبّاً بي وتبرّكاً باسمي كان هو ومولوده في الجنّة». أخرجه ابن عساكر والمناوي في «فيض القدير» ج٦ ص٢٣٧، والحلبي في «السيرة الحلبية» ج١ ص٨٩. كما سمّى ﷺ غير واحد من ولدان عصره محمداً[١].

مع أحبار اليهود

يجهل عمر الأجوبة عن الأسئلة التي طرحها اليهود ليستدلّوا بها على صحة الرسالة والدين والخلافة، فيجيب عنها جميعها عليّ، فيستسلمون ويشهدون بفضله وعلمه[٢].

شذوذ:

١ـ يضرب ابنه بالدرّة حتى يبكيه لمجرد أنه لبس ثياباً حساناً[٣].

٢ـ ويضرب الجارود العامري سيد ربيعة وأميرها بالدرة من دون سبب أمام الناس لمحض أن أحدهم قال مشيراً الى الجارود سيد ربيعة ليذلّه فلا يقال له:

---

(١) راجع «الاستيعاب» ج١ ص٢٣٣، و٢٣٤، و«الإصابة» ج٣ ص٤٧٢ ـ ٤٧٦، و«أسد الغابة» ج٤ ص٣٢٧ ـ ٣٣٢.

(٢) أخرجها الثعلبي أبو اسحاق في كتابه «العرائس» ص٢٣٢ ـ ٢٣٩.

(٣) راجع «تاريخ الخلفاء» ص٩٦.

أمير[1].

٣ـ ويهوي بالدرة على معاوية دون سبب، وحينما يُسأل يقول: لأضع منه ما شمخ[2].

٤ـ وها هو في حياة رسول الله يضرب النساء الباكيات على زينب بنت النبي فيمنعه رسول الله ﷺ[3].

وأول من ضرب بالدرة زمن خلافته كانت فروة بنت أبي قحافة حين مات أبو بكر: «شرح النهج» ج١ ص٦٠، وقد مرّ ضربه للباكيات ورد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ـ قتله ضبيعاً لسؤاله عن آيات قرآنية: سأل رجل بالمدينة عن متشابه القرآن فأرسل عمر من أحضره وأعدّ له عراجين النخل، وراح يضربه بها حتى أدمى رأسه. وقيل: كان اسمه ضبيعاً، وكان سيد قومه، وقيل إنه سأل تأويل مشكل القرآن، وسأل عمر عن معنى ﴿والذاريات ذرواً * فالحاملات وقراً﴾[4]، وكانت عليه ثياب وعمامة، فقام إليه عمر وحسر عن ذراعيه، ولم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، وأقسم لو وجده محلوقاً لضرب رأسه! وأمر أن يلبسوه ثياباً ويحملوه على قتب، وأخرجوه إلى بلاده، وأمر أن يقوم عليه خطيب! إن ضبيعاً ابتغى العلم فأخطأه، ولم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك، وكان سيّد قومه!!

---

(١) راجع «سيرة عمر» لابن الجوزي ص١٧٨، و«شرح النهج» ج٣ ص٤٣٤، و«كنز العمال» ج٢ ص١٦٧.

(٢) «تاريخ ابن كثير» ج٨ ص١٢٥، و«الإصابة» ج٣ ص٤٣٤.

(٣) «مسند أحمد» ص٢٣٧ و٣٧٥، و«مستدرك الحاكم» ج٣ ص١٩١.

(٤) سورة الذاريات: الآيتان ١ و٢.

راجع: «سنن الدارمي» ج١ ص ٥٤ و ٥٥، و«تاريخ ابن عساكر» ج٦ ص ٣٨٤، و«سيرة عمر» لابن الجوزي ص١٠٩، و«تفسير ابن كثير» ج ٤ ص ٢٣٢، و«إتقان السيوطي» ج ٢ ص ٥ و«كنز العمال» ج١ ص٢٢٨ ـ ٢٢٩، و«الدر المنثور» ج٦ ص ١١١، و«فتح الباري» ج٨ ص١٧، و«الفتوحات الإسلامية» ج ٢ ص ٤٤٥، و«الأحياء» للغزالي الذي قال في عمر «إنه سدّ باب الكلام والجدل، وضرب ضبيعاً بالدرة».

٦ ـ هتكه سائلاً: وأخرج «كنز العمال» ج١ ص٢٢٩، و«الدر المنثور» ج٦ ص ٣٢١: أنه أتى عمر رجل يسأله: ما ﴿**الجوار الكنّس**﴾؟ فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل فألقاها عن رأسه، وقال له: «احرور، والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل من رأسك»!

٧ـ ضربه سائلاً: وآخر سأله عن ﴿**وفاكهة وأبّاً**﴾ فأقبل عليه بالدرة. راجع: «فتح الباري» ج١٣ ص ٢٣٠، و«الدر المنثور» ج٦ ص٣١٧، فمن يسأل السائل عن مشكلة؟! وهل عليه أن يبقى جاهلاً؟ من الذي يقبل أن تكون هذه مفاهيم الإسلام عند الخليفة، مع قوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**﴾ [1]؟ وهلا كان عليه إن لم يستطع إجابته أن يرشده الى من يجيبه؟!

أقوال عمر ومخالفته لها في أعماله، ومخالفات أبي بكر وعثمان

قال:

١ ـ «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولّى رجلاً ـ وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ـ فقد خان الله ورسوله» (جاء في «صحيح الحاكم»).

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.

٢ـ وقال عمر: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولّى رجلاً لمودّة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين» (جاء في كتاب «السياسة الشرعية» لابن تيمية ص٩ ـ ١٠).

٣ـ أخذ عمر من نصارى العرب صدقة بدل الجزية!

عمر يروى عن النبي باتباع السنة وذمّ الرأي

﴿يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم﴾: عن مجاهد: قال عمر بن الخطاب:

«إياك والمماثلة» يعني المقايسة، وفيه أيضاً: في الحديث (١٦٣١) عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله أنزل كتاباً، وافترض فرائض فلاتنقصوها، وحدّ حدوداً فلاتغيروها، وحرّم محارم فلاتقربوها، وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً كانت رحمة من الله فاقبلوها، إن أصحاب الرأي أعداء السنن تفلتت عنهم يعوها، وأعْيَتْهم أن يحفظوها ﴿فسئلوا فاستحيوا﴾ أن يقولوا لانعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإيّاك وإيّاهم، فإن الحلال بيّن، والحرام بيّن، كالمرتع حول الحمى أوشك أن يواقعه. ألا وإنّ لكل مِلك حمى، وحمى الله في أرضه محارمه»(١).

ما مرّ أعلاه قد ناقضه عمر (رض) بمخالفة نصوص القرآن الصريحة.

راجع كتاب «النص والاجتهاد» للعلامة الفقيه السيد عبدالحسين شرف الدين، وناقضه بمخالفة أوامر الله ونواهيه وسنن رسوله. فراجع «الغدير» للعلامة

---

(١) راجع: نص المقدسي في كتابه المسمى بـ «الحجّة». أخرجه «كنز العمال» ج١ ص٩٥ نقلاً عن كتاب «الغريب» لأبي عبيدة، وعن كتاب «السنة» لأحمد بن حنبل في باب «إتّباع السنّة وذمّ الرأي».

الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني، وعلى الأخص الجزء السادس منه.

إعجابه بعلي

رجل يودع امرأتين حبليين عند رجل آخر، فتضع إحداهما أنثى والأخرى ذكراً، وكلتاهما تدّعيان الولد طمعاً بالإرث. حار عمر في الأمر بشدة، وكلما استشار أحداً عجز، حتى توجّه الكلّ ملتمسين الحكم الفصل من علي، أخذ علي من حليب المرأتين مقدارين متساويين ووزنهما، وقال لإحدى المرأتين: إليك ولدك!

حار القوم بعد أن أقرت الثانية بالحقيقة، وسألوه جليّة الأمر فقال: إن حليب الولد أثقل. أعجب عمر بعلي إعجاباً شديداً ثم قال: «أبا حسن... لا أبقاني الله لشدّة لست لها، ولا في بلد لست فيه»(١).

إحراج مؤمن

يطلب عمر من واليه بالشام أن يبعث إليه بالمدينة برجل قال: إني مؤمن. حتى إذا ورد إليه قال له: ويحك! أنت تزعم أنك مؤمن؟ قال: نعم، قال: ويحك، وممّ ذلك؟ قال: أولم تكونوا مع رسول الله أصنافاً: مشرك ومنافق ومؤمن؟ فمن أيّهم كنت؟ فمدّ عمر يده وأخذ بيد الرجل إليه استسلاماً لقوله. «كنز العمال» ج ١ ص١٠٣، وأخرجه البيهقي في «شعب الايمان». وإني أترك الأمر للقارئ الكريم ليقول رأيه في خليفة يحرج الرجل فيأتي به من الشام الى المدينة لمثل هذه التوافه، وكيف خفي عليه الجواب البسيط، وها هو القرآن وفيه الجمة عمّن آمن،

---

(١) «كنز العمال» ج ٤ ص١٧٩، و«مصباح الظلام» للجرواني ج ٢ ص٥٦.

وعن الذين قالوا آمنّا، وهل هي جناية أن يقول رجل: أنا مؤمن، أم هي حسنة؟

عمر لايعرف نفسه أمؤمن هو أم منافق

ذكر الباقلاني في «التمهيد» ص١٩٦، وابن أبي حمزة في «بهجة النفوس» ج٤ ص٤٨، أن عمر (رض) سأل حذيفة عن نفسه، وأنه هل ذكر في المنافقين؟ وهل هو منهم؟ وهل عدّه رسول الله منهم؟ فقد ذكر ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ج١ ص ٤٤ أن حذيفة كان صاحب السر المكنون في تمييز المنافقين، وإني لا أحسب الأمر كذلك فحسب. بل الرواية المارة الذكر عن رسول الله ﷺ أن المنافق كان يعرف ببغضه لعلي، ذاك ما وجدناه عن الخليفة حين يسأل عن نفسه، أو حين تأويله كيفيّة مقابلة السائل، وقد نزل في القرآن: ﴿وأما السائل فلاتنهر﴾[1]. ولم يحدد القرآن نوعية السؤال أو المطلوب من السؤال، ونحن نعلم أن تقدّم العلم، وعلى الأخص منه علوم الطب والكيمياء والفيزياء وغيرها، يبدأ بفكرة أو نظريّة، وبعدها تجرى التجارب حتى تتحقق الفكرة أو النظرية، فليس معنى السؤال أن يسأل المرء عن أمر موجود، بل يمكن السؤال عن مالم يوجد بعد، فهذا «الراديو والتلفزيون» وقبلهما الكهرباء والهاتف وغيرها، لنفترض جدلاً أن أحدهم طرح السؤال التالي في زمن عمر: هل في مقدور أحدهم أن يكلم أحداً آخر من بعد آلاف الكيلومترات؟ أو أن يرى ماذا على سطح القمر؟ أو أن يصنع مصلاً للسل أو غيره من الأمراض؟ إن سائلاً كهذا يستحق الحدّ، ودونك درّة الخليفة، إذ كيف يجوز له السؤال عن أمور لم تقع؟! وهكذا نجد أنه لو سارت الأمور كما أراد عمر لتوقفت العلوم والفنون، إذ لامتنع إجراء التجارب واحتكاك

---

(١) سورة الضحى: الآية ١٠.

الآراء، كما حدث عندما منع عمر تدوين الحديث والسنّة، وأحرق المكتبات. راجع «سنن الدارمي» ج١ ص٥٠، و«جامع بيان العلم» ج٢ ص١٤١، وكيف أن عمر منع السؤال أيضاً عمّا لم يقع. راجع أيضاً: «كتاب العلم» لأبي عمر ج٢ ص١٤٣، وفي «مختصره» ص١٩٠، و«فتح الباري» ج١٣ ص٢٢٥، و«كنز العمال» ج٢ ص١٧٤.

ولم يتحاش عمر حبس وضرب وإهانة أي صحابي، مهما بلغ قربه أو بعده من رسول الله، وذلك لتحقيق مآربه في منع الحديث والسنّة، فقد حبس أبا مسعود، وأبا الدرداء، وأبا ذرّ حتى أصيب، وفعل مثل ذلك بأبي موسى، مع عدله. راجع «المعتصر» ج١ ص٤٥٩ وقوله لكعب الأحبار: «لتتركنّ الحديث عن الأول أو لألحقنّك بأرض القردة»: «تاريخ ابن كثير» ج٨ ص١٠٦.

وعن أبي هريرة ما أخرجه الذهبي في «التذكرة» ج١ ص٧، و«جامع بيان العلم» ج٢ ص١٢١، و«تاريخ ابن كثير» ج٨ ص١٠٧، و«سنن الدارمي» ج١ ص٨٤، و«سنن ابن ماجة» ج١ ص١٥ و١٦.

كلمة الأوزاعي ومكحول

قال الأوزاعي ومكحول: «إنّ الكتاب أحوج الى السنّة من السنّة الى الكتاب»(١).

حبسه وتهديده وتحقيره للصحابة والعلماء

وما الذي منع عمر أن يجمع من عرّفه رسول الله بالعلم وصدق اللهجة

---

(١) راجع: «بيان العلم» ج٢ ص١٩١.

ليحدّث ويدوّن الحديث والسنّة ما دام العهد قريباً من رسول الله ﷺ؟ وهذا رسول الله ﷺ يقول في أبي ذرّ: «**ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء رجلاً أصدق لهجة من أبي ذر**»(١).

وهذا ابن أبي مسعود صاحب رسول الله، وأفضل من قرأ القرآن، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، المتفقّه بالدين، والعالم بالسنّة(٢).

وأبو الدرداء عويمر كبير الصحابة، صاحب رسول الله ﷺ: مستدرك الحاكم: ج٣ ص٢٣٧، هذان العالمان وغيرهما يحبسهم عمر ويهتكهم ويصغرهم إلى أن طعن.

كما أنه حذّر علماء الأمة من البحث في علم القرآن، ومنع التحدث عما يقع، وأمدّ بهذا قريحة المفكرين والمجتهدين لاتّخاذ التدابير للمشاكل وحلّها قبل وقوعها، وخالف بذلك صاحب الشريعة ومفاهيم الدين الإسلامي في البحث والدرس والعلم، وتوقير العلماء وتشجيعهم. وكان الكثيرون يخافون قراءة القرآن حذر أن يأخذهم عمر ويرهقهم، وقد سمع رجلاً يقرأ ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين...**﴾(٣) فأمسك به عمر من يده وقال له: من أقرأك هذا؟ فقال: أبيّ بن كعب، ولم يفلت منه حتى شهد له أبيّ، وكررها عليه حتى تأثّر أبيّ، وقال: تلقّيتها من رسول الله، ولقد أنزلها الله على جبرئيل، وجبرئيل على قلب محمّد ﷺ، ولم يستأمر فيها الخطاب ولا ابنه!!

---

(١) راجع: «مستدرك الحاكم» ج٣ ص٣٤٢ و٣٤٤.

(٢) راجع: «مستدرك الحاكم» ج٣ ص٣١٢ و٣١٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

وفي لفظ آخر: «أقرأنيها ﷺ وأنت تبيع الخيط» وجاءت بألفاظ أخرى[(١)].

وجاء في «الدر المنثور» ج٢ ص٣٤٤، و«كنز العمال» ص٢٨٥، كما أخرج ابن جرير الطبري وغيرهم عن ابن حجار أن أبيّ بن كعب قرأ: ﴿**ومن الذين استحق عليهم الأوليان..**﴾[(٢)]. فقال عمر: كذبت! قال: أنت أكذب! فقال رجل: تكذّب أمير المؤمنين؟ قال: أنا أشدّ تعظيماً لحقّ أمير المؤمنين منك، ولكن كذّبته في تصديق كتاب الله، ولم أصدّقه في تكذيب كتاب الله.

يعضّ يد ابنه

علم عمر يوماً أن ابنه عبيدالله تكنّى بأبي عيسى، فدعاه وقال: إيهاً! اكتنيت بأبي عيسى؟ فحذر وفزع، فأخذ يده وعضّها حتى صاح. ثم ضربه وقال: ويلك هل لعيسى أب؟! راجع: «عمدة القارئ» ج٧ ص١٤٣، و«شرح ابن أبي الحديد للنهج» ج٣ ص١٠٤. ومنع التسمّي باسم نبيّ (وقد خصّ محمداً)[(٣)].

لا يفرّق بين أسماء البشر وأسماء الملائكة

وسمع عمر (رض) رجلاً ينادي آخر: «يا ذا القرنين» فقال: أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم الى أسماء الملائكة؟! راجع: «حياة الحيوان» ج٢ ص٢١، و«فتح الباري» ج٦ ص٢٩٥، ومن ذا الذي يجهل أن ذا القرنين إنما هو اسم غلام

---

(١) راجع «مستدرك الحاكم» ج٣ ص٣٠٥، و«تفسير الشوكاني» ج٢ ص٣٧٩، و«روح المعاني المنيرية» ج١ ص٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠٧.

(٣) راجع «عمدة القارئ» ج٧ ص١٤٣.

يوناني أعطي الملك؟ ولم يكن نبياً ولا ملكاً: راجع: «كنز العمال» ج١ ص ٢٥٤، و«فتح الباري» ج٦ ص ٢٩٥. وقد ورد اسمه في القرآن.

وقد سمّى النبي ﷺ علياً بذي القرنين فقال: **«أوصيكم بحبّ ذي قرنيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فإنه لايحبه الاّ مؤمن، ولايبغضه الاّ منافق، من أحبّه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني»**(١).

فكيف خفي على عمر (رض) حقيقة كلمة ذي القرنين وقد تناقلها شعراء الجاهلية كطرفة بن العبد، وامرئ القيس، وأوس بن حجر، والأعشى بن ثعلبة، وقيس بن ساعدة، وتبّع الحميري. كما ذكره العلامة الأميني في «الغدير» ج٦ ص ٣١٤.

ولو فرضنا وكان ذو القرنين ملكاً، فما هو المانع من أن يتسمّى البشر بأسماء الملائكة، وهي أسماء جميلة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»: «سنن أبي داود» ج٢ ص٣٠٧، و«سنن البيهقي» ج٩ ص٣٠٦، و«مصابيح السنّة» ج٢ ص١٤٨. وقوله ﷺ: «من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه»: «مجمع الزوائد» ج٨ ص٤٧، و«زاد المعاد» ج١ ص٢٥٨.

جهل عمر ما يقرأ يوم العيد

سأل عمر أبا واقد الليثي عمّا كان يقرأه رسول الله ﷺ يوم العيد، فقال:

---

(١) راجع: «الرياض النضرة» ج٢ ص٢١٤، و«تذكرة السبط» ص١٧، و«شرح النهج» لابن أبي الحديد: ج٢ ص٤٥١.

«قاف واقتربت»[1]

هلاّ كان على خليفة رسول الله أن يكون أعلم الأمة ومعلمهم؟ فكيف وهو يسأل عامّة الناس عمّا يقرأ في العيد، وهو أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ؟

هذا مبلغ علم الخليفة، فهو يجهل الحدود والنصوص، ولا يأبه لأن يخالفها مع علمه بها، وعلمه أن ليس لأحد مخالفة نص في القرآن، ولا مخالفة النصوص عمداً بحجة عدم صلاحيتها، فهو كفر! ومخالفتها مع الاعتقاد بأنها فرض ولا يعمل بها فهو فسق وفجور، ومخالفة السنّة تلي نص القرآن لمخالفتها عند الله وعند رسوله، ولقد كررنا الآيات الثلاث وهي:

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[2].

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[3]

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[4].

والظلم في الآية الثانية مقابل الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[5]. وهل يليق بخليفة رسول الله، بل بأدنى أفراد المسلمين، أن يخالف حدود الله ورسوله فتشمله الآيات؟ وبعد هذا ظلمه للقريب والبعيد، وإعماله الدرة في القريب والبعيد من دون حساب، بل كيفما يهوى، فمن خوّله

---

(١) راجع: «صحيح مسلم» ج١ ص٢٤٢، و«موطأ مالك» ج١ ص١٤٧، و«صحيح الترمذي» و«سنن أبي داود» ج٢ ص٢٨٠، و«سنن ابن ماجة» ج١ ص٨٨، و«سنن النسائي» ج٣ ص١٥٤، و«سنن البيهقي» ج٣ ص٢٩٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٥) سورة لقمان: الآية ١٣.

ذلك الحق وهو يقرأ الآيات، وبعدها يعذّب من عذّب جلداً وضرباً وإهانة وتحقيراً وحبساً وزجراً، وعلى الأخص أصحاب رسول الله، وأفراد المسلمين ممن سألوه عن مشاكل القرآن، وقصة شهود المغيرة، ومشاطرته عماله أموالهم، وحبسه أقرب صحابة رسول الله، وتجسّسه، وحرقه الكتب، ومنعه الحديث والسنّة، وتبعيضه في تقسيم أموال المسلمين، وتقديمه آل أمية، أشقى قريش، الطلقاء الذين لازال الشرك يتغلغل في قلوبهم، وقد طغى على أعمالهم وأقوالهم كعثمان ومعاوية، وهو يعلم أن عثمان إن حكم أمّر الأمويين على العباد الذين جعلهم خولاً، وجعل أموالهم دولاً، وأعظم من كلّ ذلك أنه هو الذي بايع علياً يوم غديرخم، وكذلك صاحبه أبو بكر، يغصبان ذلك المنصب الإلهي المفروض على المسلمين كتاباً وسنّة، ويعتديان عليه وعلى حريمه، ويحرقان بيته، ويسقطان جنين بضعة رسول الله، ويسوقان أميرهم وخليفة رسول الله لأخذ البيعة منه قهراً، ذلك الإمام الأوحد بعد رسول الله الذي لم تقم أركان الدين الإسلامي إلاّ بحدّ سيفه وتضحيته، وهما قد سمعا وسمع المسلمون كافة قول كتاب الله فيه وفي زوجه وأبنائه في آية المباهلة، وآيات التطهير (الكساء)، وآية الولاية، وهل أتى وغيرها، وسمعوا رسول الله يقول بأن من أبغض علياً ومن آذاه ومن سبه فهو كافر وفاسق ومنافق، وسمعوا أن فاطمة هي بضعة رسول الله، وأن من آذاها فقد أذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله. وهم يتلون كتاب الله المجيد: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾[١]. وقد مرّ كلّ ذلك بأسناده.

وهو يعلم أن علياً خليفة رسول الله، وأخو رسول الله، ووصي رسول الله منذ يوم الدار، منذ كان صبياً، فإن بعث المسيح وهو طفل، وهو القائل: «إنّي رسول

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

الله» فإن علياً وهو الصبي يعينه الله ورسوله وصياً لرسوله، ويطهره الله من الرجس، وها هما ولداه الحسن والحسين، ريحانتا رسول الله وسيّدا شباب أهل الجنة يقاسيان مما يلقيانه من أبي بكر وعمر وأعوانه كمعاوية ومروان وعمرو بن العاص والمغيرة، وزياد وابنه وأنصارهم، والظالمون بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويفترون على الله الكذب، ويقولون ما لا يفعلون: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم بِهِ بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونَصْلِهِ جهنّم وساءت مصيراً﴾ (٢).

أترى من خالف رسول الله في وصاياه، وخالفه في سننه، وخالف كتاب الله كما مرّ، وعمل ما عمل مع المسلمين، واستعمل درّته لزجر أقرب صحابة رسول الله، وخالف رسول الله إذ أمر بالتزام قوله ﷺ: «**إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**». ترى هل حقّاً أن الرجلين تمسّكا بأمره ﷺ وأمامنا معاملتهما لعترته ووصيه وخليفته وبضعته؟ أم في زجر من يسأل تأويل آية، أو يروي حديثاً، أو يذكر سنّة!! فويل لمن أيد ذلك، والظالمون بعضهم أولياء بعض، وما الله بغافل عمّا يعمل الظالمون. ويوم تشهد عليهم أيديهم وأرجليهم... الخ.

إني أوجّه خطابي إلى من جادل فيهم ودافع عنهم من أتباع ابن تيميّة وابن حزم، وصاحب «الوشيعة» ومن سار مسارهم فأخفى الحقّ وأظهر الباطل تعصباً. نعم إلى هؤلاء أوجّه الآية الكريمة التاسعة بعد المئة من سورة النساء

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٥.

(السورة الرابعة):

ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة؟ أم من يكون عليهم وكيلاً»؟ وإليكم هذه الآيات من سورة البقرة:

﴿ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم ومايشكرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشكرون﴾[١]. ويقول تعالى في السورة نفسها:

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين»[٢].وقوله تعالى:

﴿ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثمّ لاتنصرون﴾[٣].

فتوحاته

إن أهمّ ما يُفتخر به في عهد عمر هو الفتوحات الإسلامية. وهنا لابدّ لنا أن نتساءل: من هو الذي بدأ تلك الفتوحات؟ ومن أهاب بالمسلمين وبثّ فيهم روح الإخلاص والحميّة والنخوة غير الدين الإسلامي؟ أليس قائد المسلمين الأعظم القائل: «إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق». وبعد هذا نعرف من فتح الفتوح. وهل

(١) سورة البقرة: الآيات من ٨ الى ١٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦.

(٣) سورة هود: الآية ١١٣.

كانت الفتوحات والتوسع بها هي مـلاك العـمل، أم هـي فـي بثّ روح الإسلام والمقاصد الإسلامية من الأخلاق الفاضلة، وبث روح العلم والعـدل والمسـاواة والأخوّة، وسيادة العقل والمنطق، ورفع الأتقى فـالأعلم والأسـبق؟ فـإن قـلنا الفتوحات فقد أثبتنا أن الفتوحات بدأت بيد قائدها الأعظم ورسولها الأكرم، وإن عنينا مجرى الفتوحات فقد فتح الرومان وفتح التتار وجنكيزخان وغيرهم بلاداً أوسع! فأين هم اليوم؟ لكن الفتوحات الحقة هي مقاصد الإسلام من الفتح، وهذه هي التي قضى عليها عمر، فسدّ باب الفكـر والرأي والاجـتهاد، ومـنع تـدوين الحديث والسنّة، ومنع الحديث في تأويل مجمل القرآن ومتشابهه، وأحرق الكتب في الشرق والغرب، وشاطر عماله أموالهم، وبعّض في التقسيم، وأحرج الصحابة وحبسهم، وختم على أفواههم وحقّرهم وأهانهم، وخلق الشعوبيّة العربية، فخلق للعرب أعداء في الشرق والغرب، وإلى هذا اليوم. وأقصى آل بيت الرسالة، وسلّط على الأمة شرارها، وهؤلاء الأشرار هم من خلقوا له ولصاحبه أبي بكر وآل أمية الكرامات، ودسّوا وزيّفوا ووضعوا ما الله بري، منه ورسوله. وقد أثبتنا القليل من الكثير من سوابق عمر وأعماله تجاه نصوص القرآن وسنّة الرسول وسـيرته مـع المسلمين، وآرائه واجتهاده وأعماله. وقد شهده على نفسه بالجهل، ولطالما كرر قوله: «لولا علي لهلك عمر»، و«اللهم لاتبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طـالب» وأمثالها. كقوله: «كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب»، وقوله: «عجزت النساء أن يلدن مثل علي». وما شابه من حطٍّ في علمه أمام عظمة علي. وقد شهد أن رسول الله يوم أراد الكتف والقلم في مرض موته إنما أراد أن يكتب عهداً لعلي، وشهد أن من يشكّ في علي فهو منافق، وقد مر ذكر ذلك بأسناده في فضائل علي. ولكم قال له: لولاك يا أبا الحسن لافتضحنا، وهو الذي شهد أمام الأمة مشيراً الى

علي: «هذا أعلم بنبيّنا وبكتاب نبيّنا». ولقد خانه الرأي أمام النساء وأبسط الناس فقال: «كل أحد أعلم من عمر»، وقال: «كلّ الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال» وفي أخرى: «حتى المخدرات في البيوت» وفي أخرى: «حتى العجائز». تلك هي سابقته، وهذا هو علمه، وتلك هي شجاعته، وهذه هي سيرته، وهو يشهد أن أبا بكر أعلم منه، وقد مرّ الحديث في هذا، فأين الوعي والمنطق والحكمة عند ذوي الألباب أمام ما زيّفه المنافقون والظالمون من آل آميّة وأشياعهم لطمس معالم الحقّ. وإظهار الباطل. ولشدّ ما يؤسفني أن أرى من يدّعي الفضل والعلم والأدب والدين يسلكون غير سبيل الرشاد، ويتعامون عن الصراط السويّ، ويتفاضون عن الفضيلة ويتشدّقون بالرذيلة وأتباعها، فحسبي الله، والله لهم بالمرصاد. فهل تعجب أن تسمع قوله تعالى في الآيات المحكمات: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المتّقين﴾ (١).

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ (٢). وقوله تعالى:

﴿ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هوى من الله...﴾ (٣). وقوله سبحانه وتعالى:

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (٤).

---

(١) سورة الجاثية: الآية ١٩.

(٢) سورة النحل: الآية ١١٦.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٠.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٢١.

ولقد علمت في ما مرّ علم عمر وسابقته وشجاعته وآراءه وأعماله، فانظر الآن كم وُضع له ودُسّ في عهد معاوية وشيعته من آل أمية وآل مروان وغيرهم زوراً وبهتاناً على الله ورسوله وعلى آل البيت والصحابة.

* * *

لائحة الشكاة من آل البيت

شكاة الرسول ﷺ

ربي أنا عبدك ورسولك، صدعت بأمرك، واتبعت أحكامك، وصبرت في جنبك، وقاسيت من أعدائك، فلم يألوا في أذاي، ولم آل في نصحهم. إلهي. وقد كان الناس وأنت أعلم بهم ثلاثاً:

١ـ أعداءً قلباً ولساناً لدينك ولنبيّك وآله وأنصاره.

٢ـ أنصاراً وأحباء قلباً ولساناً لدينك ولنبيّك.

فعرفتهم، فحذرت مكر الأولين وتجنبت اغتيالاتهم بعونك، وبوليّك الذي جعلته لي خير نصير، علي بن أبي طالب، وصددت شرهم وقسوتهم، ونصرتني بأنصارك وبالمؤمنين، بمعاضدتهم وموالاتهم.

٣ـ ربي. وكان أشدّ أعدائك عليَّ المنافقون. أولئك الذين أظهروا النصرة وأبطنوا الخيانة، وصاحبوني وسمعوا كلامك، وصغوا الى أحاديثني وإرشاداتي، فأظهروا لي حلو الطاعة رياءً، ومرّ المعصية خفاءً، فكانوا أشدّ أعدائك وأعدائي، صاحبوني طامعين، وراقبوني ماكرين، وقلوبهم كانت تغلي عليّ وعلى المخلصين من آل بيتي وأصحابي حسداً وحقداً، فكانت تطفح على أعمالهم رائحة النفاق بفرارهم في الحروب وإدبارهم وهزيمتهم التي نهوا عنها، وعلى أقوالهم كانت تطفو رائحة الكفر والفسق، فيكيلون اللوم لي، ويعترضون على أعمالي كلما قمت

بعمل أمرتني به، فهذا صلح الحديبية كان مثاراً لاعتراضاتهم، وتلك طعناتهم أمام الآخرين بأنك لم تصدقنا القول عن فتح مكة، وتلك آثار مشاركتهم في إثارة القلق في بيتي الذي أسكن فيه، ومؤامراتهم في كلّ صغيرة وكبيرة، وأنا لما أزل منهمكاً في جمع شتات هذه الأمة، وفي مدافعة الأعداء من الخارج.

إلهي. وأنت لاتخفى عليك خافية كم أمرتهم بمعروف وكم نهيتهم عن منكر، وتلك توادي خمرهم في الجاهلية. وهذه نواديهم بالخمرة في الإسلام! وقد نهيتهم بآياتك وحذّرتهم فلم يصغوا في الأولى، ولم يحذروا في الثانية، واستمرّوا في الثالثة، وقد بلغ بأحدهم أن يعربد شادياً، ويبكي ويرثي موتى المشركين في بدر! وقد طفحت الحقيقة على لسانه حينما نأى عنه عقله، وغلب عليه فعل الخمرة فبانت حقيقة نفسه فعاد إلى جاهليته! وكنت في كل مرة أردعه وأمنعه وأزجره حتى قال في الثانية: «انتهينا، انتهينا»! ولكن هيهات! فقد عاقرها حتى طغى، وتلاعبت بلبّه ورأيه فخلقت منه رجلاً هو أشدّ خلقك عليّ وعلى أهل بيتي في حياتي مثار الكيد والفتنة، ولكم طوّقته بطوق الجميل وحاولت أن أجعله أميراً، وأذيقه طعم النصرة والفوز فما وجدت منه غير الفرار والهزيمة[١]، وأصدق دليل عليها يوم خيبر، وهو رغم كل ذلك يحسد من انتصر، ويحقد على من ظفر، ويزري بأهل الرأي، وينكّل بالضعفاء ويصاحب من يجاريه في آرائه، ويتآمر علي وعلى أهل بيتي، ولقد كنت له بالمرصاد في الصغيرة والكبيرة، منعاً وردعاً وزجراً، حتى إذا أمرتني بآية الإبلاغ في غدير خم، وأخبرتهم أني دعيت وسأجيب، وأن هذه آخر حجّة لي، وهي حجة الوداع، وأن ربي قد أمرني أن أنصب علياً أميراً وعلماً بعدي، وخليفة عليكم، وأنه مولاكم مثلي، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم مثلي،

---

(١) يريد خيبراً.

وقلت لهم: ليكن حاضركم شاهداً يخبر بالأمر غائبكم، ودعوت له بالقول: اللهم انصر من نصره، واخذل من خذله، فتظاهروا بـالمودة، وهـنأوه جـميعاً رجـالاً ونساءً، وأخصّ منهم بالذكر أبا بكر وعمر، قائلين له: بخٍ بخٍ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كله مؤمن ومؤمنة!! لكنهما كانا يبطنان الغدر والشر، وتنفّسا الصعداء لما سمعا أني دعيت الى ربي وأني مجيب. فجمعوا جمعهم رجالاً ونساءً، وتربّصوا للوقيعة، حتى إذا هيأت آخر بعثة، وأمّرت عليها أسامة بن زيد، وأمرتهم بالإسراع الى الغزو، لكنهم وجدوني مريضاً، وكان يشغلهم هاجس أني دعـيت وسألبّـي، فشرعوا في مكيدتهم وحرّكوا أطرافاً ممّن ركنوا الى هواهم، ولما يدخل الايمان في قلوبهم، وشكّكوا واعترضوا على تأمير أسامة عليهم، فخطبتهم، وحـرضتهم، ولعنت من تخلف منهم، بيد أنهم وهم رجال استخدموا لتحقيق أربهم نسوة يعملن لهم، فكلما رأينني وقد أثقل علي المرض أرسلن رسولاً لهم يستدعيهم، وكـنت أخشى منهم الفتنة ونقض بيعة علي، فطلبت قلماً وقرطاساً لكتابة العهد، وهنا لم يجد حزب الشيطان بدّاً من الجهر بالعصيان، وكان على رأسه عمر، وقد تبعه من تبعه وسانده يوم السقيفة وبعدها، فصدّوني عن كتابة العهد ومنعوني، وهددوني إن فعلت بالإعلان على الملأ أني أهجر. وقد فعلها عمر وقال: «إنّ النبي ليـهجر»!! وهكذا فقد صدّني وأغاظني، وجهر بعصيانه بعد أن تخلف عن جيش أسامة هو ومن تبعه من حزبه، حتى إذا قضيت أمرك واخترتني إليك أسـفروا عـما كـانوا يبطنون، وعلموا ما عملوه مع أهل بيتي وأعزّ خلقك إليك بعدي: عـلي وفـاطمة والحسن والحسين، ووضعوا بعملهم الأساس لظلم وانحراف تـاريخيين. وهـذا التاريخ شاهد على أعمالهم وما جنوه على أمـتي مـن بـعدي فأضـلّوا عـبادك وفرقوهم مذاهب وشيعاً.

شكاية فاطمة

إلهي وربّي، إليك أشكو ما لقيته بعد أبي من أولئك الذين حاكوا الفتنة وقلبوا الأمور، وغصبوا منصب الخلافة، وغدروا بآل بيت النبوة، وانحرفوا عن صراطك المستقيم، وامسكوا بزمام الأمور عدواناً، فأخّروا أصحاب الحق وذوي الكفاءة من المتقين الصالحين، والصحابة المقربين، مستعينين بالدسائس والمكائد، وقرّبوا أعداء الدين من المنافقين والطلقاء، ممن لم تعرف الإيمان قلوبهم، فهي ممتلئة بالشرك والكفران.

لقد شرعوا بداية بالانقلاب على وليّك، وخليفة نبيّك، أخيه ووصيّه أبي الحسنين سيدي شباب أهل الجنّة وريحانتي رسولك، ذلك الذي سبق وبايعوه بالخلافة والموالاة، وهنأوه في محضر من رسولك، وهم يعرفون فضله وسابقته، وتضحيته وعلمه ومنزلته منك ومن رسولك، ولم يكتفوا بذلك بل أغاروا على بيتي، وأضرموا النار في بابه، وضربوني وأسقطوا جنيني، وأرعبوا ولديّ، وقادوا علياً مرغماً ليبايع من بايعه بالأمس، وسلبوني نحلتي وإرثي ومالي، ومنعوا عني الخمس، وأرادوا قتل بعلي إمامهم أبا الحسنين، فجبهتهم وحاججتهم بقولي[1]:

* * *

---

(١) «شرح النهج» لابن أبي الحديد.

احتجاجات فاطمة

«أيها الناس.. اعلموا أني فاطمة وأبي محمّد ﷺ، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً[١].

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[٢].

فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه ﷺ. فبلّغ الرسالة صادعاً بالنِذارة، مائلاً عن مدرجة[٣] المشركين، ضارباً ثبجهم[٤]، آخذاً بأكظامهم[٥]، داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يهشم الأصنام ويفلّق الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، وحتى تفرّى[٦] الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقائق[٧] الشياطين، وطاح وشيظ[٨] النفاق، وانحلت عقدة الكفر

---

(١) الشطط: البعد عن الحق ومجاوزة الحد.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) المسلك.

(٤) الثبج: معظم الشيء.

(٥) مخرج النفس من الحلق.

(٦) ظهر وجه الصباح.

(٧) جمع مفرده، شِقشِقة وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج.

(٨) قهر السافل من الناس.

والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص[١]، وكنتم على شفا حفرة من النار، مَذقة[٢] الشارب، ونُهزة[٣] الطامع، وقبسة العجلان[٤]، وموطئ الأقدام، تشربون الطرْق[٥]، وتقتاتون القِدّ[٦]، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد ﷺ بعد اللتيّا والتي، وبعد أن مني ببهم[٧] الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، ﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾[٨] أو نجم قرن[٩] الشيطان، أو فغرت فاغرة[١٠] من المشركين، قذف أخاه في لهواتها[١١]، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه[١٢]، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون[١٣] آمنون، تتربصون بنا

---

(١) يعني أهل البيت.

(٢) شربة.

(٣) فرصة.

(٤) خطوة العجلان.

(٥) ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر.

(٦) جلد غير مدبوغ.

(٧) جمع بُهمة وهو الشجاع الذي يستبهم على أقرانه.

(٨) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٩) ظهر أتباعه.

(١٠) فتحت فاها.

(١١) جمع لهاة وهي لحمة في أقصى سقف الفم.

(١٢) باطن القدم الذي لايصيب الأرض.

(١٣) ناعمون.

الدوائر[١]، وتتوكّفون[٢] الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة[٣] النفاق، وسمل[٤] جلباب الدين، ونطق كاظم[٥] الغاوين، ونبغ خامل[٦] الأقلّين، وهدر فنيق[٧] المبطلين، فخطر[٨] في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه[٩] هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّة فيه ملاحظين. ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحشمكم[١٠] فألفاكم غضاباً، فوسمتم[١١] غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم[١٢] رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، إنما زعمتم خوف الفتنة؛ **﴿ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾**[١٣].

فهيهات منكم، وكيف بكم وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره

---

(١) صروف الزمان.

(٢) توقعون أخبار المصائب.

(٣) عداوته.

(٤) صار خلقاً.

(٥) ساكت.

(٦) ساقط.

(٧) فحل الإبل الذي لايُركب.

(٨) ضرب البعير بذنبه بين فخذيه.

(٩) ما يختفي فيه.

(١٠) أغضبكم.

(١١) الوسم: أثر الكي.

(١٢) الجرح واسع.

(١٣) سورة التوبة: الآية ٤٩.

ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ **﴿بئس للظالمين بدلاً﴾**[١] **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[٢].

ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها[٣]، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها[٤]، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهمال سنن النبي الصفيّ، تشربون حسواً في ارتغاء[٥]، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضرّاء[٦]، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المُدى[٧]، ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا! **﴿أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾**[٨]، أفلاتعلمون؟! بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية، أني ابنته.

«أيها المسلمون! أأُغلَب على إرثي؟!».

ثمّ توجّهت الى أبي بكر تلقي عليه الحجّة قائلة:

«يابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) الجزع.

(٤) لهبها.

(٥) مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

(٦) شجر ملتف.

(٧) قطع السكاكين.

(٨) سورة المائدة: الآية ٥٠.

فريّاً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول ﴿وورث سليمان داود﴾[١]، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[٢] وقال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[٣] وقال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[٤] وقال: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتّقين﴾[٥].

«وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملّتين لايتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة[٦] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولاينفعكم إذ تندمون، و﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾[٧] ﴿ومن يأتيه عذاب يخذيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾[٨].

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٤) سورة النساء: الآية ١١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٦) المخطوم: من الخطام وهو ما يدخل أنف البعير ليقاد به. ومرحولة: من الرحل وهو سرج البعير.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٦٧.

(٨) سورة الزمر: الآية ٤٠.

ثم خاطبت الأنصار لتلقي عليهم الحجّة قائلة:

«يا معشر النقيبة، وأعضاد الملة، وحضنة الإسلام: ما هذه الغميزة في حقي، والسنة[١] عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهانة[٢]، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول.

أتقولون: مات محمد ﷺ، فخطب جليل: استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رقته، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت[٣] الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة[٤] عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً، ولَقَبْلَهُ ما حلّ بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتل أنقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين﴾.

«إيهاً بني قيلة[٥]! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة

---

(١) السنة: النوم الخفيف.

(٢) مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

(٣) قلّ خيرها.

(٤) داهية.

(٥) بنو قيلة: قبيلتا الأنصار: الأوس والخزرج.

والقوة، وعندكم السلاح والجنّة[١]، توافيكم الدعوة ولاتجيبون، وتأتيكم الصرخة فلاتغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختبرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحملتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لانبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام ودرّ حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق[٢] نظام الدين، فأنّى حُزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟

بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[٣]، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة[٤]، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسغتم[٥] الذي تسوّغتم[٦]، فـ ﴿إن تفكروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾[٧].

«ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم[٨]،

---

(١) ما استتر من السّلاح.

(٢) اجتمع.

(٣) السعة والخصب واللين.

(٤) الراحة والسكون.

(٥) دسغ: تقيأ.

(٦) تسوّغ: شرب بسهولة.

(٧) سورة إبراهيم: الآية ٨

(٨) الجذلة: ترك النصر. خامرتكم: خالطتكم.

والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة[١]، وبثّة الصدر وتقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها[٢] دبرة الظهر[٣] نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار وشنار الأبد، موصولة بـ ﴿نار الله الموقدة ※ التي تطّلع على الأفئدة﴾[٤]، بعين الله ماتفعلون، ﴿وسيلعم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٥]. وأنا ابنة ﴿نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[٦]. ﴿فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون﴾.

فردّ عليها أبو بكر مظهراً عطفه مرة، ومستثيراً الأنصار ضدّها أُخرى، وأتى برواية ما أنزل الله بها من سلطان، يريد ردّ نصّ القرآن بإرثها، تلك التي ظهر بها كذبه وافتراؤه على رسول الله ﷺ! وهاك جوابها المسند:

«سبحان الله! ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادقاً، ولا لأحكامه مخالفاً بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون الى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل[٧] في حياته! هذا كتاب الله حكماً عادلاً، وناطقاً فصلاً يقول: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[٨]. ويقول:

---

(١) ضعف الرمح.

(٢) احملوها.

(٣) جراحة الرّحْل.

(٤) سورة الهمزة: الآيتان ٦ و٧.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٦) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(٧) المهالك.

(٨) سورة مريم: الآية ٦.

﴿وورث سليمانُ داود﴾[١] وبيّن عزّوجلّ فيما وزع من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من خط الذكران والإناث ما أزاح به علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين! كلاّ، ﴿بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾[٢].

فاعترف أبو بكر بمقالها، لكنه ألقى التبعة عن نفسه ـ وهو المتآمر ـ على عاتق المسلمين! فألقت حجتها على من تابعه بالظلم قائلة له ولهم: «كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، فلبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشرٌّ منه ما أعتصبتم، لتجدُنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضرّاء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾[٣].

تقول فاطمة ؑ: «وعدت بعد هذا خائرة القوى أجرّ أذيالي، وقد لجّ أبو بكر، ووقف له بالمرصاد عمر، كلما فتر الواحد حرّكه الآخر على المضي في الغضب والظلم والضلالة. وحتى لقد ضعف أمام أدلّتي أبو بكر فأعاد وكتب لي العهد بإعادة فدك، فأخذه عمر ومزّقه (راجع ابن أبي الحديد). ولقد أفلج بعلي أبا بكر أمام المسلمين بالحجة، فقابله عمر بالضعف قائلاً: إننا لانطيق مقابلتك بالحجة وإننا ماضون كما نشاء فاكفف!

وعدت الى الدار فإذا أبو الحسن فيها وهو ذلك الأسد الضرغام الذي ما دخل معمعة إلاّ انتصر، ولا قابل أبطالاً إلاّ قهر، فثارت فِيّ الحميّة، وحملت عليه وأنا أعلم أنه لم يقعده سوى خوف الفتنة وصدعاً لأمر أبي رسول الله بعدم مقاتلة

---

(١) سورة النحل: الآية ١٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٣) سورة غافر: الآية ٧٨.

القوم إن نقضوا البيعة وخانوا الأمة؛ فقلت له إخراجاً للغصص المتراكمة وإظهاراً للحقائق المتصادمة، لاتوبيخاً أريد ولا توهيناً أعيد، وحاشا أبي الحسن، فهو كما كان، فإن حمل قبلها على الصناديد فقهرهم بعزمه فهو اليوم يقهر نفسه بحزمه فيمنعها الولوج في ما حذّره منه أخوه، فيتغلّب عليها صابراً محتسباً، فنفثت له زفراتي، وبعثت عبراتي لعدوانهم وظلمهم وتماديهم في القسوة قائلة:

«يابن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة[١] الأجدل[٢]، فخانك ريش الأعزل[٣]، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني[٤] نحلة أبي، وبلغة[٥] ابنيّ، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي، حتى حبستني قيلة[٦] نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة وعدت راغمة، أضرعت[٧] خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار لي، ليتني متّ قبل هينتي[٨] ودون ذلّتي، عذيري[٩] الله منه عادياً[١٠]، ومنك حامياً!

---

(١) قوادم الطير: مقادم ريشه وهي عشرة.

(٢) الأجدل: الصقر.

(٣) الأعزل من الطير: ما لايقدر على الطيران.

(٤) يسلبني.

(٥) ما يُتبلّغ به من العيش.

(٦) الأوس والخزرج.

(٧) ضرع: خضع وذلّ.

(٨) الهينة الرفق والسكون وقولها عليها السلام: ليتني متُّ قبل هينتي أي قبل هذا اليوم الذي لابدّ لي من الصبر على ظلمهم ولا محيص لي عن الرفق.

(٩) العذير بمعنى العاذر.

(١٠) متجاوزاً.

ويلاي في كلّ شارق! ويلايِ في كل غارب! مات العمد ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي[1] إلى ربّي! اللهمّ إنك أشدّ منهم قوة وحولاً، وأشدّ بأساً وتنكيلاً».

«وقد أجابني أبو الحسن: لا ويل لك بل الويل لشانئك، ثم نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعدّ لك أفضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقلت: حسبي الله، وأمسكت».

«فلما مرضت مرض موتي دخلت علي النساء المهاجرين والأنصار عائدات، فألقيت عليهن آخر حجتي قائلة لهنّ حينما سألنني كيف أصبحت:

«أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفول الحدّ، واللعب بعد الجدّ، وقرع الصفاة وصدع القناة، وضلّ[2] الآراء وزلل الأهواء، ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾[3]. لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها، وحمّلتهم أوقتها[4]، وشننت عليهم غاراتها، فجدعاً وعقراً! ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾[5].

«ويحهم! أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين[6] بأمور الدنيا والدين؟! ﴿ألا ذلك هو الخسران

---

(١) الطلب من الله أن ينتقم منه.

(٢) زيفها وخداعها.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٠.

(٤) ثقلها.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٤١.

(٦) الفطن الحاذق العالم بكل شيء.

المبين﴾[١]. وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلّة مبالاته لحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره[٢] في ذات الله! وتا الله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً[٣]، لا يكلم[٤] حشاشه، ولا يكلّ[٥] سائرة، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً، تطفح ضفتاه ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[٦]. ﴿.. والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين﴾[٧].

«ألا هلمّ فاسمع! وما عشت أراك الدهر عجباً! وإن تعجب فعجب قولهم!! ليت شعري، إلى أي أسناد استندوا؟! وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأيّة عروة تمسّكوا؟! وعلى أيّة ذريّة أقدموا واحتنكوا[٨]؟ ﴿لبئس المولى ولبئس

(١) سورة الزمر: الآية ١٥.

(٢) غضبه.

(٣) سهلاً.

(٤) الكلم: الجرح.

(٥) يتعب.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٧) سورة الزمر: الآية ٥١.

(٨) احتنكه: استولى عليه.

العشير﴾[١] و﴿بئس للظالمين بدلاً﴾[٢]!

استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل[٣]، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون﴾[٤]. ويحهم! ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يُتّبع أم من لايهدي إلاّ أن يهدي، فمالكم كيف تحكمون﴾[٥]؟

أما لعمري لقد لُقّحت، فنظِرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب[٦] دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف البطالون غبّ[٧] ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنّوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداء من الظالمين يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فياحسرة لكم، وأنّى بكم وقد عميت عليكم ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾[٨]؟

«فجاءني رجالهنّ يعتذرون، قالوا: لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره. وهم الذين في غدير خمّ بايعوه بالولاية والإمارة، وشهد عليهم رسول الله ذلك، لذا قلت لهم: إليكم عني، فلاعذر

---

(١) سورة الحج: الآية ١٣.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٣) مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢.

(٥) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٦) القدح.

(٧) العاقبة.

(٨) سورة هود: الآية ٢٨.

بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم».

«ولقد جاءني أبو بكر وعمر، وهما اللذان أمرضاني وأغضباني وسلبا حقي وحق زوجي وعترتي، فطردتهما، فتوسّلا بأبي الحسن، وهل أستطيع ردّه! فدخلا عليّ وسلّما، فأعرضت بوجهي عنهما فتلكّأا، وعدت إليهما أستشهدهما بالله أن يصدقاني إن سألتهما سؤالاً، فأجابا: نعم، فقلت لهما: أما سمعتما رسول الله ﷺ أبي يقول: إنّ فاطمة بضعة مني، من أرضاها فقد أرضاني، ومن أرضاني فقد أرضى الله. ومن أغضبها فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله؟ فقالا كلاهما: نعم نشهد بذلك. قالت: فاسمعا! إني أُشهد الله ورسوله أنكما قد أغضبتماني وما أرضيتماني، وسأدعو عليكما بعد كل صلاة». وقد مرّ ذكر ذلك بأسناده(١).

﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعدّ لهم عذاباً مهيناً، والّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾(٢).

وقد مرّ ذكر ما ورد من فضائل فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من آيات قرآنية مثل آية الطهارة: **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**(٣). وأهل البيت هم: فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها، وهم خمسة.

وآية المباهلة: **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا**

---

(١) صحيح البخاري: ج٢ ص١٨٥ و١٨٩، وج٣ ص١٦٤: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني».

صحيح البخاري: ج٢ ص١١٥، وج٣ ص٣٥: «ماتت وهي غضبى على أبي بكر وعمر لأنهما آذياها».

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٧ و٥٨.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾(١). والأبناء هم: الحسن والحسين، والنساء: فاطمة، والأنفس: محمّد وعليّ.

وما ورد فيها من الفضائل من أنها حبيبة رسول الله وبضعته، وسيدة نساء العالمين، وأن من أرضاها فقد أرضى الله ورسوله، ومن أغضبها فقد أغضب الله ورسوله. مرّ ذلك كلّه بأسناده.

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

شكاية الأعاجم من عمر

الأعاجم هو غير العرب من مختلف الملل والنحل، من أبيضها وأسودها وأصفرها وأحمرها. ومما لاشك فيه أن الأعاجم كانوا قبل الإسلام ولا زالوا أضعافاً مضاعفة بالنسبة الى العرب، وفيهم الشعوب والطوائف المتمدنة والعريقة في القدم. وفي العجم شعوب ذات حضارات كبيرة وقديمة من أقباط ويونان وفرس ورومان، ومن الصين والهند والأفارقة ومنهم الأحباش وغيرهم، وكان لديهم العلم والقدرة والثروة، والعدة والعدد. وكانت بيد الأعاجم أقطار وبلدان أزهى وأرقى وأثرى مما هي عند العرب، وكان للجميع أنساب وأحساب تتفاخر بها الواحدة على الأُخرى.

وعند ظهور الإسلام كانت الأُمة العربيّة في الجزيرة العربية وأطرافها أمة مستضعفة فقيرة من حيث الثروة والقوة الاقتصادية، والوضع الاجتماعي، والثروة العلمية، فجاء الإسلام وجاءت تعاليمه العظيمة على يد سيّد الرسل، والمبعوث رحمة للعالمين جميعاً لنشر السلام والسعادة والرحمة والعدالة الاجتماعية، والبرّ والإحسان والأخلاق السامية، ونبذ الحزازات والتنابزات القائمة بين الشعوب والأمم، وبين الأفراد والجماعات مهما كانت وأنّى كانت، ووضع لها جميعاً أسساً وقواعد بعيدة الغور في المعنى والمغزى، وصاغ منها جميعاً أُمة واحدة إنسانية مبناها يقوم على القسط والمساواة والرحمة والشفقة والإنسانيّة، بتحكيم العقل السامي والمنطق السليم، والنبالة والأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن الرذائل

والأدناس والعداوة والخصومات، ومن تلك الأُصول المتينة التي لم يسبق الإسلام إليها سابق، والتي هي إحدى الأُصول الاجتماعية التي إن تحققت جمعت البشر في قالب واحد متراصّ متضامن، متحابّ متماسك.

النصوص:

قال عزّ من قائل: ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، إنّ الله عليم خبير﴾[1].

انظر إلى الحكمة البالغة والاستدلال المتين والمنطق القوي في بداية هذه الآية حينما جمع الله الناس على اختلاف طبقاتهم وعناصرهم، وأممهم وشعوبهم وألوانهم، كلهم أجمع دون تمييز إلى أب واحد وأم واحدة، ثم إلى عنصر واحد وهو التراب، فساوى فيما بينهم وربطهم برابطة واحدة ومصدر واحد في العنصر والقيمة والمنزلة، ثم وضع لهم الحد الفاصل للتفاضل والمقياس الوحيد لاغيره، وهذا المقياس هو المقياس المقبول عقلاً وحكماً ألا وهو التقوى، والتقوى أم الفضائل والمكرمات فقال: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. فما أجملها من عبارة جمعت باختصار الموازين الاجتماعية والأخلاقية الحقيقية للتفاضل. وقد صارت قبل ذلك أدمغة الحكماء والفلاسفة لوضع مثل هذا القانون، فراجع أفلاطون في جمهوريته، والحكماء في آرائهم، ورجال الأدب والعلم، فلن تستطيع أن تجمل هذا الإجمال، فتضع هذه القاعدة المتينة التي تؤلف بها أمة عالمية واحدة لايمتاز أفرادها عن بعضهم بشيء سوى بمقدار تقوى كل منهم، تلك القاعدة التي قضت في عبارة واحدة على العصبيات الجاهلية، والحزازات النفسية التي خلّفتها الجهالة والأنانية بين الأفراد والجماعات، وقضت على الكبرياء والغرور الأعمى

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

حيث أبانت ماهية الإنسان، ونسبة الواحد منه للآخر، وقيمته الواقعية فيما كـان ومايكون، وما الذي يرجّحه على الآخرين، فقال عزّوجلّ في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ، ولا تلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾[1]. وقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتّقوا الله لعلّكم ترحمون﴾[2].

فمن هم المؤمنون؟ ألا يعني جميع المسلمين من عرب وعجم دون استثناء؟ ألم يساو بينهم في الإخاء؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً»؟ هل خصّ بقوله العرب دون العجم أو العجم دون العرب؟ فكيف يجوز لمسلم بعد هذا أن يرمي الفرقة بين المسلمين فيثير العصبية الجاهلية التي قضى عليها الإسلام بقوله: «لا فضل لعربي على عجمي الاّ بالتقوى».

عمر يفرّق بين العرب والعجم بخلاف النص

فهو يخالف نصّ القرآن في الإرث فيحرم العجم من الإرث إلاّ من ولد منهم في بلاد العرب! فقد روى مالك ـ إمام المالكية ـ عن الثقة عنده أنه سمع سعيداً بن المسيب يقول:

أبى عمر بن الخطاب أن يورّث أحداً من الأعاجم إلاّ أحداً ولد في العرب.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

قال مالك: «وإن جاءت امرأة حامل من أرض العود فوضعته في أرض العرب فهو ولدها يرثها إن ماتت وترثه إن مات. ميراثها في كتاب الله»[1].

جاء عمر بذلك خلافاً لنصّ القرآن الذي لم يفرّق بين جميع المسلمين في أي شيء، ولم يفضل عربياً على عجمي، أو عجمياً على عربي إلاّ بالتقوى. وما ذلك إلاّ لتمتين أواصر الأخوة والمحبة والرحمة بين أفراد المسلمين مهما اختلفوا في الجنس واللون واللسان وبقية الصفات.

فما الذي حدا بعمر الى خطر أمر على جانب عظيم من الأهمية لايمكن وصفه، ذلك الذي جاء في الآية ١٣ من سورة الحجرات مع ما نصت عليه بصراحة، وقضت على العصبية القومية والنزعات الجاهلية. وهل رأى عموميّة في الإسلام خصّصت؟ أم حقّ له أن يجتهد مع النص؟

وهل كانت هناك شروط للتوارث في الولادة في أرض العرب أو العروبة في الإسلام؟

أليس مثل هذه النزعات منشأ للتفرقة في الشعوب والأمم بعد أن أعلن قائد المسلمين الأعظم في خطبة حجة الوداع، الحج الأكبر، في ذلك الجمع الغفير خاطباً بأعلى صوته:

«أيها الناس! إنما المؤمنون إخوة، ولايحلّ لامرئ مال أخيه إلاّ عن طيب نفس منه. ألا هل بلّغت؟ فلا ترجعُنّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما لو أخذتم به لم تضلّوا بعده: كتاب الله، ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد».

«أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلاّ بالتقوى. ألا هل

---

(١) الموطأ: ج٢ ص١٢.

بلّغت؟ اللهم اشهد. قالوا: نعم. قال: فليبلّغ الشاهد منكم الغائب»[1].

وفي لفظ أحمد: «ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولاأحمر على أسود إلاّ بالتقوى» «مجمع الزوائد: ج٣ ص٢٦٦. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وجاء في «مجمع الزوائد» ج٣ ص٢٧٢، في لفظ الطبراني الكبير:

«يا أيها الناس! إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فليس لعربي على عجمي فضل، ولا لعجمي على عربي فضل، ولا لاسود على أحمر فضل، ولا لأحمر على أسود فضل إلاّ بالتقوى».

كما جاء في «الجامع الصغير» للسيوطي وصححه، وفي لفظ ابن اقتم:

«لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلاّ بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»[2].

وقال ﷺ في صحيحة أخرجها البيهقي: «ليس لأحد على أحد فضل الاّ بالدين أو عمل صالح».

هذا والمسلمون في صدر الإسلام بحاجة الى التماسك ونبذ التفرقة، ونبذ العصبيات الطائفية، والحزازات القومية، والنعرات الجاهلية، وبثّ مبادئهم السامية، والسيطرة بأحكام إسلامية، تلك التي جاء بها القرآن والسنّة النبوية.

وقد قال ﷺ: «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على

---

(١) أخرجه في «البيان والتبيين» ج٢ ص٢٥، و«العقد الفريد» ج٢ ص٨٥، و«تاريخ اليعقوبي»: ج٢ ص٩١.

(٢) «زاد المعاد» ج٢ ص٢٢٦.

عصبية، وليس منا من مات على عصبية». هذا ما أخرجه أبو داود في «سننه» ص ٣٣٢، وأيّد ذلك بقوله حينما جعل سلمان الفارسي، وهو فارسي الأصل كان مجهولاً منقطعاً عن بلاده وعشيرته، وقد أسلم وآمن، وأصبح عزيزاً بعد ذله، جعله منهم حيث قال: «سلمان منا أهل البيت». أخرجه ذلك الحاكم في «مستدركه» ج ٣ ص٥٩٨، وفي «شرح مختصر صحيح البخاري» محمد الأزدي ٢: ٤٦. وقول رسول الله ﷺ: «لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس». أخرجه أحمد في «مسنده» ج ٢ ص ٤٢٠ و٤٢٢، وأخرجه ابن قاتع بأسناده بلفظ: ـ «لو كان الدين متعلقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس» الاصابة: ج ٣ ص ٤٥٩، ومنه نعرف أن كل من دعا صراحة أو تلميحاً، قولاً أو عملاً يؤدي الى ظهور تلك العصبية الجاهلية، ويسبب التفرقة بين الأمة: تفرقة في الحال والمال والجاه وأي شيء يخالف فيها الآيات المشار إليها والسنن النبوية فهو ليس من المسلمين، وقد خالف بذلك الله ورسوله، وقد قال ﷺ: «من قاتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية، ويدعو الى عصبية، أو ينصر عصبية فقتل، فقتله جاهلية»(١).

فسيرة عمر هذه في العجم، وأمثالها تلك التي خصص فيها كل شيء من الوظائف والإمارة والدولة بالعرب دون غيرهم، ولم يقم له قيمة اجتماعية، حتى بلغ به أن أراد بيع أساراه من بنات كسرى كما تباع سائر الأساري، فواجه بذلك رداً من الإمام علي في طرز البيع والاختيار قاد الى زواج إحداهن من محمد بن أبي بكر، والأُخرى من الحسين سيد شباب أهل الجنة، ومنها أمره بحرق المقدسات من كتب العلماء من خلاصة أدمغة المفكرين من الحكماء والفلاسفة في أصول الحياة والطب والهندسة والرياضيات والصيدلة وغيرها بدعوى أن كل

---

(١) أخرجه البيهقي في «سننه» ج٨ ص١٥٦.

شيء في القرآن مدون، وهو ما يقال ويعمل.

فحرقت الكتب في الإسكندرية وبلاد فارس وغيرها مما أدى الى حرمان العالم المتمدن من جهود المؤلفين والعاملين والكتاب والأطباء وغيرهم. فـانظر الى من يعتبر له هذه حسنة كما يعتبر جلوسه على سـدة الخـلافة التـي أمـر الله ورسوله فيها اتّباع علي وعترته، كما جاء يوم الغدير، وفي السور والآيات والسنن الماضية.

ولايخفى على المسلمين من خالف الله ورسـوله مـما أدى إلى انـحراف السبيل، وإسناد أمر الخلافة وسياسة الرعية والأمة إلى غير أهلها، وبالتالي أدى الى نشوء الفرق والمذاهب والحزازات والتفرقة التي مزقت الأمة الإسلامية شـرّ ممزّق، وخلقت فيها الشعوبية والطائفية والنفاق، إذ كيف تسكت الشعوب والأمم أمام هذه العصبية وتلك السيرة المخالفة لسنن الله ورسوله، والتي تسلب الحقوق المشروعة في العدالة والمساواة، وتصنع منهم طـبقة مـن الأذلاء عـلى خـلاف النصوص الإسلامية الحقة.

شكاية مجموع الحكماء والعلماء

ماذا يكون رأيك لو ثبت لك أن سلطاناً يحمل حملة شعواء عـلى أربـاب العلم والحكمة والفن جيمعاً منذ بدء التاريخ حتى صدر الإسلام، ويمحو آثارهم، ويحرم الأجيال القادمة من خلاصة الحضارات والثقافات الماضية، فيقطع بذلك حلقة الوصل، ويعيد العالم القهقري لمجرد كلمة وجملة واحدة لم يع معناها، ويقوم بعمل يتبرأ منه الإسلام ونبي الإسلام، وخليفة رسول الله الذي نـصبه عـلماً فـي غديرخمّ، فيهدم أركان العلم من أساسه، ويجدّ في محو آثاره، في حين أنه سمع

بأذنيه رسول الله يقول: «تعلم العلم من المهد إلى اللحد»، ويقول: «اطلب العلم ولو في الصين»، ويقول في أخرى: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وهو قد قرأ القرآن وعرف منه كيف أشاد بالعلماء والحكماء وأهل الآراء، فقال سبحانه: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[١]، فكيف يستويان، وماذا يقصد بالعالم والجاهل والعلم عند البشر، فإذا أخرجنا منهم الأنبياء فإن العلم لايأتي من التجربة، وأهم مصادره إنما هي الكتب، مثل كتب الطب والهندسة والحكمة والفلسفة والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ والآداب والأخلاق وهلمّ جرّاً. ونحن نعلم أنّ القرآن قد أشار مجملاً الى كثير من العلوم، ففي علم الفلك مثلاً قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلاّ بالحقّ، يفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكلّ في فلك يسبحون﴾[٣]. وقال في علم الصحة: ﴿.. وكلوا واشربوا ولاتسرفوا، إنه لايحبّ المسرفين﴾[٤] وقوله تعالى في علم الملاحة: ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته؟ إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾[٥].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٥.

(٣) سورة يس: الآيات من ٣٨ ـ ٤٠.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣١.

وما أورده في الفنون: ﴿**ولقد آتينا داود منّا فضلاً: يا جبال أوّبي معه والطير، وألنّا له الحديد. أن اعمل سابغاتٍ وقدّر في السرد، واعملوا صالحاً، إني بما تعملون بصير**﴾[١]. وقال: ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور «راسيات»، اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور**»[٢]. وفي الحالة الاجتماعية وفي الصحة أيضاً: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون**﴾[٣].

فهذه الآيات المجملة في القرآن في علم الصحة والفلك والفن وغيرها إذ يذكرها القرآن المجيد فهي إنما تعطينا عبرة وتدلنا على مالها من التأثير في حياتنا، وفيها الآية التي فرق فيها بين مكانتي كل من العالم والجاهل، ولا يمكن لأي فرد لديه ذرة من العقل والمنطق السليم ـ حينما يقرأ القرآن ويعرف منه ذلك ـ أن يقول: إن القرآن قضى بترك العلوم والفنون والآداب وعلم الاجتماع، لأنه وحده يكفي ويغني عنها! فمتى قال القرآن ذلك؟! ومتى قال ذلك من نزل القرآن على صدره، نبي الإسلام وسيد الرسل، وهو الذي أوصى بتعلّم العلم من المهد إلى اللحد، وهل في القرآن ما جاء غير مجمل ـ حتى ما جاء منه في الدين ـ لا يحتاج في أكثره إلى تأويل وتفصيل؟ لقد فصّل رسول الله قسماً منه في سنته، وأحال الباقي إلى عترته ووصيّه وباب علمه حينما قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وحينما قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وحينما قال

---

(١) سورة سبأ: الآيتان ١٠ و١١.

(٢) سورة سبأ: الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٠.

لخليفته ووصيه وأخيه علي بن أبي طالب: «ستقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم على التنزيل»، وهل يعني هذا الكلام إلا أنه ستظهر جماعة من الجهلة يؤولون القرآن حسب آرائهم دون أن يرجعوا فيه إلى أهل بيت الرسالة وإلى وصي رسول الله وباب علمه فيضلّوا الطريق كما جرى للخوارج في حروبهم مع علي ﷺ، فما هي هذه الشكاية من العلماء والحكماء وغيرهم من عمر، وماذا فعل عمر؟

لقد وقع عمر ـ وبيده السلطة ـ في مشكلات القرآن وعجز عن تفسيرها، كما منع تسجيل أحاديث رسول الله وسننه في صدر الإسلام، حتى مات أكثر الصحابة في الحروب، وتشتتوا، ونسي من بقي منهم، وذلك أدّى الى الوضع والكذب والتحريف والتزييف على رسول الله، وما ذلك إلاّ جهلاً وعداء لله ورسوله وآل بيته، وكانت البداية غصب الخلافة، ومنع السنّة والحديث ووصايا رسول الله الصريحة في اتّباع عترته ووصيّه الذي نصبه في كل مناسبة علماً للأمة، فلم يلبث أن كشف عن غايته وصمم على محو تلك الآثار. وأما اجتهاد الخليفة في موضع النص فيستطيع القارئ الكريم مطالعة اجتهاداته بأسنادها من أهل السنّة والجماعة في كتاب «النص والاجتهاد» للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، وفي «موسوعة الغدير» للعلامة عبدالحسين أحمد الأميني. وترى إصراره على مخالفة نصّ القرآن، فكأنه أعلم من الله ورسوله فيما أراد! وما ذلك منه ببعيد!

وقد مرّ ذكر محاورته مع ابن عبّاس، وقوله: إنّ رسول الله أراد أن يكتب في مرض موته شيئاً للأمّة كي لاتضلّ بعده، وقوله: «عندنا كتاب الله ولا حاجة لنا بذلك! إلى آخر الرزيّة، وبعد ذلك يقول عمر: وقد أراد الله ما أردت! وصرح في أخرى بقوله: إنه أراد نصب علي فمنعته، وشاء الله ما أردت! وهاك إحدى الطامّات العظمى التي أدى إليها اجتهاد عمر، فنزلت ويلاً على الأمة الإسلاميّة، بل

على العالم أجمع، وكيف تسبّب في تأخير العالم علمياً، فما هي هذه الطامّة؟ إنها رأي الخليفة حول الكتب والمؤلفات.

درة عمر لمن امتدح كتاباً

فقد نقل عن عمرو بن ميمون عن أبيه أنه أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا لمّا فتحنا المدائن أصبت كتاباً فيه كلام معجب، قال: أمن كتاب الله؟ قال: لا، فدعا عمر بالدرة، فجعل يضربه بها، فجعل يقرأ: ﴿**آلر تلك آيات الكتاب المبين. إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون**﴾ الى قوله تعالى: ﴿**وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾. ثم قال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا. وذهب ما فيهما من العلم».

فما الذي فهمه عمر من الكتاب قبل مطالعته؟ وكيف اجتهد بهذه السرعة؟ وماذا عنى بقوله ذلك؟ وما هي المناسبة بين هذا وذاك؟ وهل إذا كان الكتاب في الطب أو الهندسة أو الكيمياء أو الفيزياء أو الفنون أو الرياضيات كان ينافي القرآن أو كان بحكمه؟ قال الله عزّوجلّ: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور**﴾(١).

لقد ذكّرتني هذه الواقعة بالخطبة الشقشقية إذ يقول علي عليه السلام فيها:

«.. وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا..» إلى أن يقول:

---

(١) سورة فاطر: الآيات: ١٩ ـ ٢١.

«لشدّ ما تشطّر ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثير العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس ـ لعمر الله، بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة..»[١]. وكيف لا يقول ذلك وهو خليفة رسول الله، وهو باب علمه، وهو الحق، ومعه الحق، وهو صاحب التأويل والتفسير، وهو أعلم وأعدل وأفقه الأمة، ويرى كل ذلك بأم عينه وهو لاحول له ولا قوّة!

قال الله عزّوجلّ في كتابه الحكيم: ﴿.. ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذّكّر إلا أولوا الألباب﴾[٢].

وأخرج عبدالرزاق، وابن الضريس في «فضائل القرآن»، والعسكري في «المواعظ»، والخطيب عن إبراهيم النخعي قال: كان بالكوفة رجل يطلب (وذلك الضريبة) فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطاب أن يُرفع إليه، فلما قدم على عمر علاه بالدرة، ثم جعل يقرأ: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ حتى بلغ: ﴿الغافلين﴾، قال: فعرفت ما يريد فقلت: يا أمير المؤمنين، دعني، فوالله لا أدع عندي شيئاً من تلك الكتب، إلاّ أحرقته. أخرجه ابن الجوزي في «سيرة عمر» ص١٠٧، و«شرح ابن أبي الحديد» ج٣ ص ١٢٢، و«كنز العمال» ج١ ص ٩٥.

وربما اعترض من قتلته العصبية العمياء والنعرة الجاهلية، وحاول أن يدافع عن عمر فيما مضى بأنه إنما أراد أن يمنع عن القوم التنبؤات والأكاذيب التي ادّعى البعض، فمنعهم، فما قوله فيما يلي؟ وكيف يدافع أئمة الإسلام عن هذه الأخيرة التي تسوّد وجه التاريخ، وتجلب للأمة الإسلامية الطعنة في الصميم بما قام به

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

خليفتها المقدام، باجتهاده دون مشورة ذوي الرأي الصائب، وأمام الحق، فأفتى بما جلب على الأمة الإسلامية وعلى دين الإسلام الفضيحة والنكرات، والإسلام والمسلمون منه براء! اللهم إنّا نستغفرك ونعوذ بك، ونتوسل إليك أن لاتؤاخذنا بما جناه غيرنا على عبادك وسننك، وأباح ما يستنكره أئمتنا وعلماؤنا وحكماؤنا، وكل ذي لبّ ومسكة من العقل والوجدان. وهاك نبذة مختصرة.

أسناد أمر عمر بإعدام كتب الاسكندرية

أخرج أبو الفرج الملطي في «تاريخ مختصر الدول» وهو الذي توفي سنة ٦٨٤ هـ في ١٨ طبعة بوكر في أوكسونيا سنة ٦٦٢ م. ما نصّه: «وعاش (يحيى الغراماطيقي) الى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو، وقد عرف موضعه من العلوم، فأكرمه عمرو، وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها ألفة ما هاله، ففتن به، وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لايفارقه، ثم قال له يحيى يوماً:

«إنك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة فيها، فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به». فقال له عمرو: ما الذي تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية، فقال عمرو: هذا مالايمكنني أن آمر به إلاّ بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

فكتب إلى عمر وعرّفه قول يحيى. فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: «. وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما وافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فلا حاجة إليه، فتقدم بإعدامها»! فشرع عمرو بن

العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها، فاستنفدت في مدة ستة أشهر، فاسمع ما جرى واعجب».

تلك جملة من كلام الملطي ذكرها جرجي زيدان في «تاريخ التمدن الإسلامي» ج٣ ص٤٠ برمّتها. فقال في التعليق عليها: النسخة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت قد حذفت منها هذه الجملة كلها، لسبب لانعلمه.

وقال عبداللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ هجرية في «الإفادة والاعتبار» ص٢٨: «رأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة، بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة، والأعمدة تحمل السقف، وعمود السواري عليه قبّة هو حاملها، وأرى أنّه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده، وأنه دار المعلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر (رض)».

فهل بعد هذا لنا ـ نحن المسلمين ـ الحق في أن نعترض على هولاكو وأمثاله من القبائل البربرية الجاهلية، تلك التي حرقت بعض كتب بغداد أو أغرقتها؟ وأي أفكار تلك التي يأخذها العالَم في الماضي والحاضر عن هذه الجناية التي لاتوصف (ستة شهور وحمامات الاسكندرية تحرق كتب العلم في مواقدها بأمر من عمر بن الخطاب). فالعقل يكاد لايصدق، لكن ما بين يديّ من أعمال عمر في موسوعة «الغدير» وغيرها يبيّن أضرار اجتهادات عمر وأعماله التي لاتحصى، وما هذه الجناية إلاّ واحدة من آلاف، وقد مرّ بعضها ونذكر في الآتي الأخرى. ونحن إنما نذكرها لنعلن للعالم المتمدن أن هذه وغيرها ليست فكرة إسلامية أبداً، ويأباها دين الإسلام ونبي الإسلام، وإمامه المطاع وعترة رسول الله، أولئك الذين

اغتصبت حقوقهم واستحلّت حرمتهم، وكان نتيجة ذلك هذه الفعلية وآلاف مثلها.

أسناد أخرى عن حرق الكتب وعددها (٥٠١٢٠) كتاباً

وترجم القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ. في كتابه «تراجم الحكماء» المخطوط، والذي توجد نسخة منه في دار الكتب الخديوية، مكتوبة سنة ١١٩٧ كما في «تاريخ التمدن الإسلامي» ج٣ ص٤٩، عن يحيى النحوي قوله: «وعاش يحيى النحوي الى فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية، ودخل على عمرو (وأعاد ما دار بينه وبين عمرو، واستئذان عمروٍ عمرَ بحرق الكتب، وأنه أحرقها في مواقد حماماتالاسكندرية لمدة ستة أشهر).

وأضاف أن عمرو بن العاص سأل يحيى النحوي، وقد قرّبه وعرف مقامه العلمي قائلاً: ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟ فقال له يحيى: إنّ بطولو سادس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لمّا ملك حبّب إليه العلم والعلماء، ومحّص كتب العلم وأمر بجمعها، وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلاً يعرف بابن زمرة (زميرة)، وتقدم إليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها، والمبالغة في أثمانها، وترغيب تجارها ففعل، واجتمع من ذلك في مدةٍ خمسون ألف كتاب ومئة وعشرون كتاباً. (٥٠١٢٠ كتاباً).

ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدّتها قال لزميرة: أترى بقي في الأرض من كتب العلم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة: قد بقي في الدنيا شيء في السند والهند وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له: دم على التحصيل، فلم يزل على ذلك الى أن مات. وهذه الكتب لم

تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا. فاستشار عَمرٌاً ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له: لايمكنني أن آمر بأمر إلاّ بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب الى عمر وعرّفه بقول يحيى الذي ذكر، واستأذنه في ما يصنعه بها. فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: «.. وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها مايوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها مايخالف كتاب الله تعالى فلاحاجة إليها، فتقدم بإعدامها». فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها. وذكرت عدّة الحمامات يومئذ وأنسيتها، وذكروا أنها استنفدت في ستة أشهر. فاسمع ما جرى واعجب اه».

مصادر أُخرى ذكرت أنها (٥٤١٩٠) كتاباً

وجاء في «فهرست» ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ إشارة الى تلك الكتب المحروقة؛ قال في ص ٣٣٤: «وحكى إسحاق الراهب في تاريخه أن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لمّا ملك فحص عن كتب العلم وولّى أمرها رجلاً يعرف بزميرة، فجمع من ذلك ـ على ما حكي ـ أربعة وخمسين ألف كتاب ومئة وعشرين كتاباً، وقال له: أيها الملك، قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم ١٠ هـ».

فعلى هذا، فمؤسس تلك المكتبة هو بطليموس الأول، وهو الذي بنى مدرسة الاسكندرية المعروفة باسم الرواق، وجمع فيها جميع علوم تلك الأزمان من فلسفة ورياضيات وطب وحكمة وآداب وهيئة وغيرها، وكانت المدرسة توصل للقصر الملكي.

وبويع لولده بطليموس الثاني ـ الملقب بفيلا دلفوس (أي محبّ أخيه) ـ بالملك في حياة أبيه، قبل موته بسنتين، سنة خمس وثمانين ومئتين (٢٨٥) قبل الميلاد، أي سنة ثمان وستين وثمانمئة قبل الهجرة. فكانت مدة حكمه ثمانياً وثلاثين سنة. وكان على سيرة أبيه في حبّ العلم وأهله، والعناية بخزانة كتب الاسكندرية وجمع الكتب فيها[1].

وليس هذا حكم الخليفة عمر بن الخطاب على مكتبة الاسكندرية فحسب، بل شمل جميع البلدان التي فتحوها من الشمال الى الجنوب والشرق والغرب، كما جاء في كتاب «كشف الظنون» ج ١ ص٤٤٦: «إن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين، فكتب اليه عمر (رض) أن أطرحوها في الماء. فإن يكن فيها هدىً فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله تعالى. فطرحوها في الماء أو في النار فذهبت علوم الفرس فيها».

وقال في ج١ ص٢٥ خلال كلامه عن أهل الإسلام وعلومهم أنهم أحرقوا ماوجدوا من الكتب في فتوحات البلاد. قال ابن خلدون في «تاريخه» ج١ ص٣٢:

«فالعلوم كثيرة، والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل، فأين علوم الفرس التي أمر عمر (رض) بمحوها عند الفتح؟».

أقول: الكلام صفة المتكلم، والعمل صفة العامل، والحكم والاجتهاد صفتان للحاكم والمجتهد. وبعد هذا، وقد جاءت هذه الأخبار متواترة عن أوامر عمر

---

(١) (جاء ذلك في «تاريخ مصر» ج١ ص٢٠٨ ـ ٢١٠).

بإتلاف كتب العلم بما فيها من حكمة وطب ورياضيات وآداب وهيئة وفيزياء وفنون وفلسفة وغيرها، وهي خلاصة أدمغة البشر وعصارة أفكارهم منذ بدء الخليقة، وقد مرت على الإنسان عشرات الآلات من السنين وما أجراه من تجارب وبحوث قيّمة في مختلف شؤون حياته، وقدمها تراثاً لأبنائه وأحفاده، والتي تعاقبت حتى وصلت إلينا. فكان هذا الحرمان بادئاً من بدء التاريخ الى آخر الزمان، وربما كان في تلك الكتب من شؤون لو كانت باقية لكانت الحياة الاجتماعية والصحية والعلمية، والاكتشافات والاختراعات أبعد مدى وأعظم شأناً مما هي عليه الآن، ولقد رجع هذا الأمر بالبشر القهقرى آلاف السنين، وحرمتهم من أفكار بلغت بهم أوجاً أسمى، وحياة أرقى، وسعادة أبهى. فإذا كان ما فيها مؤيّداً للقرآن وموافقاً لصالح البشر حقّت مطالعتها، ونشر القرآن مع أسناده في آراء الماضين، وإن كان فيها من الضلال كما زُعم كان علينا دحض ذلك وتفنيده قبل ظهوره مرة أُخرى طالما لدينا الإيمان القوي والإخلاص والتقوى.

فمن قال لك إن القرآن لم يقصّ أحسن القصص، ومن قال لك إن القرآن ليس عربيّاً مبيناً، وما هو هذا الاستدلال الغير المعلل والغير المناسب؟!

إن سلطة يرأسها، ويحلّ ويفصل فيها أمثال هذا يحقّ للمأمورين أن يسيروا سيرته لأنه لايتفق معه إلاّ من هو على شاكلته ومن يأتمر بأمره أمثال معاوية الكافر الوضّاع المنافق، وعمرو بن العاص الفاجر الغادر، والمغيرة بن شعبة الفاسق الزاني، ويعلى بن أُمية الفاسق المنافق وأمثالهم ممن حافظوا على بعض الظاهر نفاقاً، لكنهم فتكوا وتكالبوا وجنوا وزاغوا وانحرفوا عن طريق الحق والصواب. أين هؤلاء من الهداة المهديين المطهّرين من الرجس والدنس، العالمين الثقات، أئمة الحق وقادة الخير والرشاد من عترة رسول الله وخلفائه،

سفن النجاة وأعلام البشر، وأحبّاء الله ورسوله، أهكذا يحكم الجهل وينتهي بالحرمان والخذلان؟ وقس على ذلك جميع أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم، وذلك هو الخسران المبين. نعم ﴿.. إنّه لايغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها﴾ (١)، وإنه ﴿. لارطبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتاب مبين﴾ (٢).

هل هناك من يستدلّ على أننا يجب أن نترك مناهل العلم، وأن تحرق مصادرها ومواردها، وأن لاندرس أو نتعلّم، وأن لانتحرّى بعد القرآن شيئاً؟ كيف فسّرت تلك الخلافة هذا، وكيف أوّلته حتى تجني هذه الجناية العظمى على البشر؟ هل يحق أن يقف العلماء والحكماء على مختلف طبقاتهم ومواردهم، هم وأولئك الذين وضعوا واجتهدوا معهم منذ بدء التاريخ، وإلى جنبهم جميع الملل والنحل من البشر الى قيام الساعة، شاكين طالبين؟ الفرقة الأولى منهم بما أودعته في كتبها، والأخرى بما ضاع وحرق وغرق من تراثها المضيّع، وفي مقدمتهم، يوم القيامة، نبي الإسلام ﷺ، وأئمة المسلمين من عترته، ووصيّه وخليفته علي، وجميع أئمة المسلمين كلّهم، وكلّهم مطالبون بهذا الحق المهتضم من قبل هذه الخلافة المغتصبة التي جرّت على البشر الويلات، وهذه واحدة من الآلاف المهضومة المسلوبة.

يا للخسارة لتلك الثروة العلمية المضاعة في الشرق والغرب، يا للفضيحة والجناية التي جرّها على عقيدة الإسلام والمسلمين، فمن الذي يرضى أن يعتنق ديناً هذه غاياته ومراميه؟ ومن الذي يقبل بكتاب يفسّره خليفة المسلمين هذا التفسير المهين؟ تلك لطمة معنوية تتبعها لطمات مادية كان يجنيها المسلمون

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

عشرات بل مئات بل آلاف الأضعاف من اقتنائهم تلك العلوم والفنون وتوسعتها ونشرها، والتقدم في المعرفة والعلم والحضارة والمدنية، فبئسما أعقب ذلك العمل من الانحطاط والتقهقر، والخذلان في الدين والعقيدة. وإننا بذلك نسوق حديثنا لذوي الألباب ليحكموا على من جنت يداه هذه الجناية دون دليل أو برهان سوى اجتهاد مبتذل، وعصبية جاهلية؛ ويقيسوا أعماله الباقية على هذا المقياس. ولو عدنا الى عهد المأمون، عهد العلم، وما حصل عليه من العلوم اليونانية، وكيف بلغت الأمة أوج شهرتها، وهي كلها وشل الوشل المتبقي في الزوايا والخبايا.

وقد عثرت أخيراً على مصدر مهم يؤيد تلك الجناية، ويفتح باباً جديداً في الإجرام: (جاء في كتاب «ربّ العلم والسيف» لمؤلفه رودلف ترايگر الألماني، ترجمة ذبيح الله منصوري إلى اللغة الفارسية):

جاء في ص ٧٠ ـ ٧١ ما يلي: «عرف علي في صدر الإسلام داخل وخارج البلاد العربية بالعلم والثقافة الفذة، أخص منها إيران، في حين أنه كان شاباً. وهذا ما جعل له مقاماً رفيعاً لديهم، لذا فإن جامعة «گندي شابور» التي كانت قبل الإسلام جامعة علمية في خوزستان (الفعلية) دعت علياً ليشارك في التعليم وإلقاء المحاضرات هناك وكاد أن يجيب لولا وقوع الحرب بين العرب وإيران، وعندها عدل عن رأيه.

كان علي مسلماً حقيقياً، وكان عمر مسلماً متعصباً للعروبة، بحيث أراد القضاء على جميع اللغات سوى العربية، وجميع العلوم والفنون سوى القرآن. وهذا سبب إصراره على حرق مكتبات الاسكندرية في مصر، ومكتبات المدائن، لقضائه النهائي على جميع العلوم والمعارف والثقافات العالمية، وبذلك يقضي على وطنيتهم، وآثارهم.

وقد خالفه عليّ في ذلك كلّ المخالفة، وقال: «إياكم والمساس بالكتب فهي عصارة أدمغة العلماء». وقال عمر: «كلّ ما نحن بحاجة إليه فهو القرآن». مستنداً الى الآية: ﴿. ولا رطبٍ ولا يابسٍ الاّ في كتاب مبين﴾[1]. فيردّ عليّ عليه بقوله: «لو شاء الله ذلك الذي تقول به لقال في الآية: لارطب ولا يابس إلاّ في القرآن. والقصد من قوله في الآية: «في كتاب مبين» هو مجموعة معلومات البشر التي إذا وقف عليها الإنسان، فإنها تكشف له عن المعاني الباطنة في القرآن. لذا علينا للوصول الى معرفة بواطن القرآن حفظ العلوم وكسبها، وحفظ الكتب، ولسنا بمستغنين عن باقي الملل والنحل، وعلينا أن نستفيد منهم. فكانت نظرة علي عميقة، ونظرة عمر سطحية. لذا قال علي يوم «صفين» حين رفع أصحاب معاوية المصاحف على الرماح: أيها الناس، ما هذه إلا حيلة، وما فيها سوى جدّ وجلد، وأما المعاني فهي مكنونة في قلوب العارفين، فالجسم يزول والروح باقٍ، وما هذه الاّ حيلة للقضاء على روح الإسلام.

وجاء في ص ١٣٤: نعرف أن العرب بعد فتح المدائن أحرقوا مكتبات العاصمة الإيرانية الكبيرة، وأجروا نفس العمل في الاسكندرية بعد فتح مصر، وكانت مكتبات الاسكندرية في الدنيا القديمة من أكبر المكتبات. ما استطاع علي أن يحول دون حرق كتب الاسكندرية، كما لم يستطع أن يمنع القوم من حرق مكتبات المدائن. ولم يكن علي يمانع من حرق الكتب والمكتبات وحسب، بل منع هدم الآثار القديمة. فقد حسب العرب بعد فتح مصر أن الأهرام كالأصنام فيجب إزالتها وإزالة المعابد المصرية، فمنعهم علي باعتبار أن الأهرام إنما هي مقابر لا أصنام، فلايجوز المساس بكرامتها. وأما المعابد فقال إن المصريين الذين

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

يدفعون الجزية لهم الحق باستبقاء معابدهم، وأما التماثيل الموجودة هنا وهناك، فلا يوجد في مصر من يعبدها بعد أن أصبح الكل مسلمين، فهي لا تعتبر غير صخور كالصخور الأخرى.وقد هدم بعضها على الطريقة التي أحرقت بها الكتب، وبقيت تلك البعيدة عن متناول اليد.

وجاء في ص١٣٧: كان فيروز أحد أسرى الحرب في موقعة جلولاء، في زمن الخليفة عمر، وكان فيروز ذا صنعة، وقد نجا من الموت وأصبح من غلمان المغيرة بن شعبة. وكان على من عنده مملوك في الإسلام أن يدفع له نفقته.

جاء فيروز يوماً الى عمر شاكياً وقال له: إن سيدي المغيرة، رغم أنه منع عني النفقة، فهو يتقاضى مني شهرياً ثمانين درهماً. فأجاب عمر: إنك رجل فنان وتستطيع أن تدفع له شهرياً ضعف هذا المبلغ! فأجابه فيروز: لو أني كنت عربياً لما كنتَ لتجيبني بمثل هذا. وانصرف حانقاً. وبعد ثلاثة أيام قيل إن فيروز وكان من أهالي كاشان، حمل على عمر بخنجره فأصابه بستة جراح بالغة، قضى عمر على أثرها بعد ثلاثة أيام.

إن هذه الجنايات العظمى على البشر، على الأمة الإسلامية، على الله وعلى رسوله، وعلى وصيه وخليفته وآله، وعلى الشريعة، إنما هي وليدة ذلك التعصب والغصب ونقض العهد الأول الذي جرى إثر وفاة رسول الله ﷺ، وحلّت الرزايا تترى على الأمة بيد الحق والحسد والجهل والعصبية الجاهلية، والعقائد الراسخة الموروثة، المكنونة والمتبقية من رواسب الجاهلية، تلك التي فاضت من أبي بكر يوم راح يرثي صرعى مشركي بدر عند شربه الخمرة قبيل الفتح، كما مرّ يوم نزعت الخمرة عنه التردد وزودته بالقوة فأظهر حقيقة ما يبطنه. كما ظهر على شفتي عمر من شكوكه، وكذلك يوم صارح ابن عباس بأنه منع رسول الله من كتابة

العهد لعلي، وتلك أم الجنايات والفتن والموبقات على الأمة الإسلامية. وما معاوية وأعماله، وبنو أمية وأعمالهم إلاّ نقطة في بحر تلك الجناية الأولى.

الشورى

ما هي الشورى؟ وماذا جاء فيها؟ وماذا أعقبت؟

لما طعن عمر بن الخطاب بيد أبي لؤلؤة، وعلم أن هذه الطعنة قد قضت على كثير من أمنياته وأمانيه في الحياة، وسيأتي شرحها، وأنه لا يرجى شفاؤه أبداً، وقد احتدمت آلامه وجاشت أفكاره، حتى داهمته المنية التي لم يكن يفكر بها وهو في عنفوان نشوته وانتصاره، وهو وإن خارت قواه البدنية بيد أنه لازالت فيه تلك الغرائز القوية التي دفعته لاعتناق الإسلام، ولاتزال لديه أهدافه التي شاد عليها خطته للوصول إليها من الالتحاق بالرسول الأعظم ومصاهرته، ثم تشكيل حزبه برئاسة أبي بكر، وتحينه الفرص والمناسبات لإثبات مركزه كلما سنحت سانحة يرسخ بها قدمه، ويبرهن فيها على امتيازات أكثر يسمو بها على أقرانه، والإطاحة بمن جعلهم في نفسه خصوماً، وجعل منهم عراقيل في بلوغ أهدافه. وهو وإن مهد السبيل من بعض الجهات بالمصاهرة والدخول في نسيج البيت الهاشمي بوضعه ابنته حفصة في زمرة زوجات رسول الله، واكتسب صحبته، وانتخب من بين الصحابة من يطمئنّ إليه في آرائه وأهدافه ومراميه وفي مقدمتهم أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح وأضرابهما، بيد أن كلّ هذا ما كان ليسدّ ذلك الطموح، ويملأ ذلك الفراغ الذي يشعر به، من غريزته في حب الظهور والتفوق لأسباب عديدة، منها السبق الى الإسلام، والإيمان بالوحدانية، والشهرة بالفضيلة، والنبالة الأخلاقية، والشجاعة في الحروب، وصلة الرحم مع رسول الله، سيما وأن ابنته لم توفّق لأن

تفخر بحصولها على مولود من رسول الله، والذي كان ينقر في قلبه، وقد أراد سدّ هذه الخلة هو وصاحبه أبو بكر بطلب الأزدواج من بضعة رسول الله وحبيبته سيدة النساء، وخيبتهما في ذلك، ولم يجد منذ اللحظة الأُولى منافساً كما كان يحسب في نفسه إلاّ فرداً واحداً جمعت فيه كل الصفات. المؤهلة للجدارة والتقدم عليه في جميع المجالات عند الله ورسوله وعند الناس، ولم يجد موقفاً واحداً من المواقف المشرّفة المجيدة إلاّ وخُصّ بها هذه الفتى، وفاق كل قريب وبعيد، رغم صغر سنّه، فهو أقربهم الى رسول الله في القرابة والنسب، وأخصّهم به في النفس والعقيدة، وأبعدهم في التضحية والذبّ عن رسول الله، وأحبّهم وأقرّهم لنفسه، وأزهدهم في الدنيا، وأتقاهم في دين الله، وأظهرهم بياناً، وأقواهم جناناً، وأظفرهم بأعداء الله، وأبزّهم شجاعة وانتصاراً، وأكثرهم فوزاً بالمكارم والنعت في كتاب الله وسنة رسوله، وأولاهم بالفخر، وأدناهم وأخصهم برسول الله، حتى فاز بالزواج من ابنته الحبيبة سيدة نساء العالمين، التي قال فيها رسول الله «إنّ فاطمة بضعة مني، من أحبّها فقد أحبني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله. ومن أبغضها فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله». وهو الوحيد الذي آخاه رسول الله مرتين، وهو الوحيد الذي ما دخل حرباً إلاّ وانتصر. وهو الوحيد الذي لم يؤمّر عليه أحد سواه، وهو الوحيد الذي قال فيه ﷺ: إن عترتي إنما هي عترة علي وفاطمة. وهو الوحيد الذي زكّاه الله وطهّره من الدنس، وهو الوحيد الذي جعله الله ولياً للمؤمنين بعد رسول الله في آية الولاية، والوحيد الذي جعله مولى لكل مؤمن ومؤمنة كما كان رسول الله، ونصبه علماً وإماماً في كل مناسبة، وأخصّ بها يوم غديرخمّ. وهو الذي قال فيه: هو فاروق الأمة وصدّيقها، ويعسوب الدين، وما لايعدّ ولا يحصى من الكرامات والفضائل، وهو الذي جعل من يبغضه منافقاً وفاسقاً وكافراً، وجعل من

يحبه مؤمناً.

فماذا يصنع عمر بعد هذا وهو الذي لم يظفر ولو بالنزر النـزر، بـل وحـتى واحدة من هذه المكرمات. فهذه سابقته قبل الإسلام وقد قضى أكـثرها مشـركاً قاسياً فظّاً غليظاً يضرب بقساوته المثل، ولم يعرف عنه تضحية ولا فـي مـوقف واحد، ولاشجاعة في حرب من الحروب، وأخصّ منها تلك التي قُلّد فيها الإمارة وخاب، ورجع مدحوراً، كما في خيبر وأُحد وحنين، ولا من اللياقة والعلم حـتى يبزّ غيره في هذا المضمار، ولا هو ذو الرأي الصائب حتى يثبت فـيه لرسـول الله وللصحابة تفوقه، فقد رأيناه يعترض على رسول الله في الحديبية، ويبلغ به الحال حداً يغضب عنده رسول الله، كما يبلغ به الحال حدّ الشكّ برسالة رسول الله، وهو الكفر! لولا أنّ الإسلام بحاجة للتماسك. لقد سدّت جميع الطرق دونه، وأعظم من خيّب آماله وأفسد عليه أهدافه إنما هو علي، وعلي وحده، إذ فاز بكل ما يمكن أن يحلّه في المقام السامي المرموق بعد رسول الله، وكلّما حـاول هـو وصـاحبه وابنته وابنة صاحبه الحطّ من كرامة علي أو الخطو في محاذاته ردّه الله خائباً.

وها هي الأيام تمضي سرعة، وها هو رسول الله يعلن أنه دعي وسـيجيب. وذلك يوم غديرخم، والأيام تعاود المضي سراعاً، وهذه بعثة أُسامة ويكـون هـو وصاحبه والمهاجرون والأنصار جنوداً عاديّين تحت إمرة شاب أمّره رسـول الله عليهم، ولما تباطأوا قال: «لعن الله من تخلف عن جيش أُسامة».

وقد بذل عمر وحزبه كل ما قدروا عليه بغية التخلف عن هذا الجيش الذي حط من مكانتهم الى الحضيض، برهاناً على عدم كفاءته وكفاءة صاحبه حتى في إمارة صغيرة كهذه. وكلّما ازدادوا في محاولاتهم ازداد رسول الله عـليهم غـضباً، ولعن من تخلف منهم، حتى اضطر ﷺ أن يـصعد المـنبر ويـهاجم المـتخلفين

والمعاندين والمعترضين ويلعنهم، جرى كل هذا وعلي مع رسول الله لا يفارقه حتى مرض ﷺ مرضه الأخير فاتخذ القاعدون ـ وفي مقدّمهم أبو بكر وعمر ـ من هذا حجّة للتخلف، سيما وقد أحسوا بدنوّ أجل رسول الله، فعليهم أن يحزموا أمرهم ويكيدوا ضدّ عليّ كيدهم، وهو الذي يقف عثرة أمام مطامعهم وغاياتهم، وما كانت أعمالهم لتخفى على رسول الله، وقد أخبر عنها الله في كتابه: **﴿وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم؟!﴾**(١).

ثم أخبر عن انقلابهم وتخلفهم عن أوامره، وعدم إطاعتهم لوصيه وخليفته من بعده، وأخبرهم بضلال من تخلّف عن علي، وأخبرهم عن ارتدادهم، كما قال لهم: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وكان قد قال في علي يوم غديرخم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار». كما أوصى الصحابة والمسلمين باتباع علي حيثما سلك، وأنذرهم بالضلال إن هم تخلفوا عنه، وأوصاهم، وبشّرهم وأنذرهم ولكن هيهات، فقد صدق قول الله وتحققت النبوّات، فها هو الحزب وعلى رأسه أبو بكر وعمر يحثّ خطاه الى الغاية والهدف، وقامت الفتنة بل الفتن، وأولها يوم رفض عمر أمر رسول الله بإحضار الكتف والدواة ليكتب للأُمة كتاباً لن تضلّ بعده، وكانت الفتنة الكبرى، أو أم الفتن، في السقيفة يوم وفاة رسول الله، وذلك بإبعاد علي وعترة رسول الله عن المنصب الذي نصبهم الله فيه، وهذا عمر يصرّح لابن عباس عن خطته لإقصاء بني هاشم عن الحكم يسير طبق خطته بعد أن تقلد زمام الأمور فنحّى بني هاشم، وفي مقدمتهم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

علي وعترته ـ حتى حرمهم من السيطرة على حقوقهم المشروعة في فدك، وفي الخُمس بعد أبي بكر، وانتصب على مسند الخلافة بعهد أبي بكر فها هو اليوم، بعد سنين أقصى فيها بني هاشم وآل محمّد وأنصارهم عن الحكم إقصاء لم يترك فيه تحت أيديهم شبراً، وقوّى ألدّ أعداء الإسلام المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الشرك، كما ظهر من أعمالهم، أخص بالذكر منهم آل أُمية وآل بني معيط وأعوانهم،ها هو اليوم يخطّ الخطّة الأخيرة، ويضرب ضربته القاصمة على فاروق الإسلام وأهله بإقصاء علي وبنيه عن منصة الحكم الى الأبد:

لقد ادّعى في البدء أن الأُمة أجمعت على انتخاب أبي بكر خليفة، وها هو أبو بكر يرد له الجميل فيقدمها له لقمة سائغة بعهده بها إليه، وقد تنبأ علي عليه السلام بذلك حين خاطب عمر بقوله له: إن ما تحلبه اليوم إنما لك شطره غداً! وهكذا كان. ورغم معارضة الجميع قدم له أبو بكر الخلافة بعهده المشؤوم على لسان طلحة، الذي خاطب أبا بكر بقوله: ماذا تقول لله وأنت تولّي هذا الفظّ الغليظ على أُمّة محمّد؟ والذي قال لعثمان عند قراءة العهد: اقرأه ولو كان فيه عمر!! فقال عمر: وما يدريك؟ قال: ما ولّيته إياه أمس ولاّك اليوم!!!

واليوم... ورغم تضارب الآراء والأفكار التي تقول إن عمر لان عما كان فيه من بغضٍ لعلي وآل البيت خلال مدة خلافته، فتراه يدنو من علي ويستشيره ويمتدحه، فما ذلك إلا تظاهراً وتثبيتاً لمقامه.

وها نحن نرى الرجل كيف دبّر تدبيره، حتى وهو يحتضر، ورغم ما أعلنه من أن علياً إن تقلّدها ليقيمنّهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم، أو على الحق بقول آخر، حتى اعترض عليه ابنه عبدالله بقوله: ولماذا لم تولّه إياها؟! فأجاب: لا أريد أن أتحمّلها حيّاً وميتاً! نعم.. إنه لايريد ذلك، وقد نصب من بين

المسلمين ستّة للشورى هم: علي وعثمان وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف. وأمرهم أن ينتخبوا خليفة منهم خلال ثلاثة أيام، وقد نصب عليهم خمسين رجلاً مسلحاً بقيادة المقداد، وقال لهم: إن تخلف واحد أو اثنان فتضرب أعناقهم، وإن تخلف ثلاثة فتضرب أعناق من لم يكن معهم عبدالرحمان بن عوف، إلاّ إذا اتفقوا!!

هذه هي خلاصة الشورى التي عمر وضمن بها تحويل الخلافة حتماً إلى بني أُمية، وقد هددهم بمعاوية إن هم اختلفوا، وكان قد أعدّه لمثل هذا اليوم، وسمّاه: كسرى العرب!! فما الذي جاءت به الشورى، وإلام تشير، وعلامَ تدلّ؟

ما أتت به الشورى وما تدل عليه: لقد ثبت من الشورى أمران:

الأول: إصرار عمر على الاستمرار في عدائه لعلي، وغصبه منصب الخلافة منه ومن عترته، وأثبت هذا الغصب قولاً وعملاً، وأثبت أنه قد خطّ خطته لاستمرار هذا الغصب، واستلاب منصب الخلافة من علي وآل بيت رسول الله، وإلى الأبد!!

الثاني: وثبت من هذه الشورى أيضاً حرص علي عليه السلام على أن لايستخدم القوة والقهر لاسترجاع حقه المسلوب، وحرصه على حفظ بيضة الإسلام الى أقصى حدّ.

فأما الأول عنيت، إصرار عمر على عدائه، فقد دلت عليه أقواله وأعماله قبل وفاة رسول الله وبعد وفاته، وقدمنا أن عمر كانت تحثّه على ذلك روح طغت عليه منذ عهد رسول الله، رائدها غريزة حب الطموح التي تمثّلت فيه، ولم يكن يحجم في الواقع، حتى بعد أن دخل في الإسلام، أن يقابل الناس، أيّاً كان منهم، بنفس الشدة والقسوة التي عرف بها قبل الإسلام، ولم يكن يهتم بأن يداري آراءه

التي تفوح منها تلك الغريزة من حين إلى آخر، رغم ما يقابله به رسول الله ﷺ من صدّ قوي، وزجر شديد، فيجنح هوناً الى اللين مرغماً أمام القوة القاهرة اتي لايستطيع ردّها.

وقد بلغ به الأمر مرة أن اعترض على رسول الله في معاهدة الحديبية، محتجاً على فحوى ومفهوم نص المعاهدة متظاهراً بغيرته على رفعة الإسلام التي يمسّ بها نص المعاهدة، فكأنه يريد من جهة أن يسمو بمقام الإسلام ناسياً أن ذلك يمسّ كرامة النبوة، وأن رسول الله إذا عمل شيئاً فإنما لايستشير فيه أحداً إذا كان أمراً من الله، وعندها لايجوز أبداً الاعتراض عليه إذ أن ذلك إنما هو اعتراض على الله، وهو فسق وكفر. وإذا استشار فقد كان ذلك أيضاً من الله، ولم يكن بعدها إلا ما اختاره هو، وربما كان الرأي تأييداً لجماعة دون أُخرى، وفي هذا لايجوز للجماعة المخالفة والاعتراض البتّة بعد أن عرفوا رسول الله وآمنوا به.

ولطالما تقدم عمر وارتأى شيئاً، أو غضب على أحد، أو طلب قتل مشرك لاذ بالنبي، فقابله رسول الله بخلاف ذلك. ولاننسى عندما اعترض على رسول الله قائلاً: إنك أوعدتنا على دخول مكة، فأجابه: وهل عينت زمناً؟ فقال: لا، فأجابه: سندخلها. فعلام يدل هذا؟ إنه يدل على أن الرجل عنده روح يريد أن يفرض بها إرادته وغرائزه دون أن تكون لديه القدرة العقلية القوية على تمحيص الحقائق من جهة، ودون أن تكون لديه قوة الإيمان برسول الله وبأقواله وأعماله.

هذا وقد مرّ وذكرنا ما يؤيد رأينا وهو موقفه من جيش أسامة وعدم امتثاله لأوامر رسول الله، لا هو ولا جماعته، من الجدّ في الحملة بالسرعة التي أرادها رسول الله، حتى شمله دعاء رسول الله. وقد كان رسول الله، كما مر ذكره، لعن مراراً من تخلف عن جيش أسامة، يقول ﷺ: «أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف

عن جيش أسامة».

ويظهر أن رسول الله كان يرمي من هذه البعثة الى أمرين: إقصاء هذا الحزب المنافس لعلي من جهة، والحصول على الفتح المنتظر من جهة ثانية. حتى إذا رآهم تباطأوا وهو مريض دعا بالكتف والدواة. فما كان من عمر في هذه المرة إلا أن طعن رسول الله بأعظم ما يمكن أن يطعنه به عدو حينما قال: إن الرجل يهجر (كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني، وفي شرح ابن أبي الحديد) وعطف على ذلك بقوله: إن عندنا كتاب الله.

فكأنما هو أدرى من الله ورسوله بالأمورا حتى غضب رسول الله وأمرهم بالخروج بعد أن كثر اللغط والخلاف بينه وحزبه من جهة وبين الحزب الموافق لرسول الله من جهة أخرى. فما كان ضرّه لو ترك أمر رسول الله يجري وأتاه بالكتف والدواة، فكتب رسول الله لأمته ما إن تمسكت به فلن تضلّ أبداً؟ فإن هو لم يرض بهذا من رسول الله، فكيف رضي بعهد أبي بكر إليه، وكان مرضه أشد وطأة من مرض رسول الله، بعد أن كتب قسماً من العهد وأُغمي عليه، وكتب الباقي عثمان؟؟

وقد اعترف فيما بعد أن ما كان يرمي إليه رسول الله ﷺ هو تأييد الأمر لعلي.

وقد مرّ ما قام به في السقيفة وكيف بايع صاحبه أبا بكر، وشجاره مع الأنصار، وخلق الفتنة بينهم، ومن قبلها تهديده من قال إن رسول الله قد مات، وكانت غايته كما عرفتَ بعد هذا تهيئة الأُمور لمجيء صاحبه أبي بكر، والوقوف بعد ذلك في وجه ذلك البطل قاهر المشركين ويعسوب الدين، يجرّه من بيته حاسر الرأس حافي القدمين وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، يذكّره بإيمانه وأخوّته

لرسول الله، ويذكّر بالقِدم والسابقة. غير أن عمر بلغ الساعة التي أرادها وخطط لها، وهو يعلم أن علياً لو شاء لثار عليهم ومزّقهم شر ممزق، لكنه الحرص على بيضة الإسلام، والاستسلام لوصية رسول الله بأن لايقاتل، حتى وهو يرى بضعة رسول الله تحصر بين الباب والحائط، وهو يرى النار تعدّ بلا حراق، فأطلق كلمته التي عمل بها «لولا وصية سبقت».

كانوا يعرفون ذلك، ويعرفون من يعنيه أمر الإسلام، وهو الذي قام على أكتافه وذراعه وذو الفقاره الإسلام. إنه وحده بعد رسول الله يريد بقاء الإسلام. وقد عرفوا مقدار صبره وعرفوا حرصه على أن لاتقوم فتنة بين المسلمين، وها هو عمر يتنفس الصعداء ثم يجور ويتجرأ، ويحاول حرق البيت الفاطمي وفاطمة فيه! ولما قيل له: أبا حفص، إن فاطمة في الدار، أجاب بجرأة ودون وجل: «وإنْ»!! لقد دانته الفرصة لينفّس عما ضامره وأضناه من الكبت منذ عهد رسول الله، فإلى متى يصبر وهو يرى بأُم عينه تفوق علي ورجحانه عليه، وأعماله الجبارة، وهو ساكت لايطيق جواباً ولايطيق تفريغاً لكبته.

إنها الساعة المرتقبة فلم يأل أبو حفص جهداً في جرّ الحيف والجور على عليّ، وفي التشفّي من فاطمة التي أخفق في تحقيق رغبته في الزواج منها، فأرسل لها غلامه قنفذاً وبقية أعوانه وفيهم خالد بن الوليد المندحر في اليمن، والمقهور بفوز عليّ فيها، يحدوهم جميعاً الغيظ والحسد، ويكيدون لعلي وأهل بيته، ترى هل كفاهم هذا؟ لا والله! فهذا لم يشف غليلهم، فانبروا يسلبون فدكاً، النحلة التي ثبت أن رسول الله نحلها لبضعته الزهراء، كما ثبت عملياً زيف الرواية التي جاء بها أبو بكر والتي تقول: (نحن معاشر الأنبياء لانورّث، ماتركناه صدقة). فكيف

أعادها عمر في عهده[1]، كما أعادها عمر بن عبدالعزيز فيما بعد، وأعادها العباسيون؟ يعيدونها ولايلبثون أن يعودوا الى غصبها عداءً، ولم يشف غليل أبي بكر وعمر منع الخمس عنهم وهم أهل بيت الرسالة، فلايحق لهم الاستفادة من الزكاة ومن أي صدقة، فحرموهم حتى من أقل ما يتمتع به أقلّ المسلمين. وبعد، فهل شفى كل هذا غليل عمر وشيعته؟ لا أبداً، فلا بدّ من حرمانهم من أي إمارة أو سلطة، ولابدّ من حبسهم وحبس أعوانهم ومنعهم من أي قول أو فعل، ووضعهم تحت أشدّ المراقبة، وبسط أيادي أعدائهم في الأمر والنهي والذهاب والإياب، والناس يعرفون ذلك لهم، وماذا بعد؟ نعم، وبعد ذلك فالناس والصحابة يعرفون فضل علي وآل بيته، ولهذا فقد منعت السُّنّة وتدوينها والحديث عن رسول الله منعاً باتاً، وأحرقت كل الكتب، وضرب ونكّل بكلّ من تحدث، إلا ما وافق مشيئتهم. وجرى تقديم أفضل الإمارات لألدّ أعداء الإسلام، وأقطاب المشركين من الطلقاء والمنافقين من آل أمية، فأقطعوا الشام وفلسطين والأردن لقمة سائغة، وشاطر عمر الولاة أموالهم إلا معاوية فهو كسرى العرب على حدّ قوله! نعم إنه كسرى العرب، فقد ربّاه تربية جاهلية عصبية قومية ليهدد به من تحدثه نفسه بالخروج عليه من الهاشميين، كما هدد أعضاء الشورى، ومن هم أعضاء الشورى؟ إنهم الموالون لعثمان، فلماذا يهددهم إن لم يكن علي وحده المقصود بالتهديد! وعليه أن يعلم إن فكّر بالثورة أنّ معاوية له بالمرصاد.

وها هو ابن الخطاب يختمها بالشورى! ويقدم الخلافة لقمة سائغة لبني أُمية فهذا عثمان قطب الأمويين، وهذا عبدالرحمان بن عوف يميزه عمر بترجيح من في صفّه إذا تساوى الفريقان، وهو صهر عثمان. وهذا سعد بن أبي وقاص صهر

---

(١) راجع في كتابنا موضوع فدك لترى أسناده.

عبدالرحمان وابن عمه وكلاهما ينتسبان الى بني أمية من جهة الأمهات، وهذا طلحة، سادس أصحاب الشورى، وهو ابن عم أبي بكر، عدو علي وخصمه، وكان يتطلع إلى الخلافة بعد أبي بكر. وتبقّى الزبير، ابن عمة رسول الله، وزوجته هي ابنة أبي بكر وأخت عائشة، ألدّ أعداء علي، وسنرى ـ وإن تظاهر بتشيّعه لعلي ـ كيف يثور عليه ظلماً، وينكث بيعته، ويتصدر مقاتلي حرب الجمل التي قادها مع طلحة وعائشة!

لماذا لايكون الجميع في صف عثمان، ولماذا لايتجنبون علياً وقد عرف عنهم أنهم لاتسوقهم سوى المنافع الشخصية مهما نأوا وبعدوا عن الدين، سيّما وأن علياً لايعطي أحداً سوى حقه، ولايؤثر أحدهم بكرامة، ولايميزه عن سائر المسلمين، فهو لايقتفي أثر عمر في القسمة إذ عدل عن المساواة في القسمة كما كانت على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر، فكان يخص البعض دون البعض لميزات اختلقها، وهذا عثمان أشد تفريطاً منه بأموال المسلمين، فيغدق على آل أمية العطايا من بيت مال المسلمين دون حساب ودون رعاية حق أو مساواة، فأين هذا من سيرة علي الذي يأبى أن يضيء شمعة من شموع بيت المال إذا أراد الحديث مع جلسائه من الصحابة فتراه يطفئها ويضيء غيرها مما يعود له، لأن الحديث خارج عمّا يهم عموم المسلمين، فكيف يردق لهم هذا وهم يطمحون للمزيد، وعلي يحبس عنهم ما ليس لهم بحق، وقد رأيناهم بعد ذلك في أيام عثمان كيف يغوصون في أموال بيت المال، ولايفتأون يطلبون المزيد، ولماذا لايستزيدون وعثمان يغدق العطايا والمناصب على بني أمية؟ لكنه لايستجيب لهم فيثورون عليه!

نعود الى عمر لنرى كيف رتب أمور أصحاب الشورى ليضمن الخلافة لقمة

سائغة لبني أمية، وهو يعلم حق العلم قدر كل عضو من أعضاء الشورى، ويعلم أن علياً لايقاس به أحد، بيد أنّه جعله كأحدهم، ونزل به الى درجتهم، حتى طمع كل منهم بالخلافة وهم يرون أنفسهم أنداداً لعلي، أراد بهذا الحط من قدره والتقليل من شأنه الذي كساه به الله ورسوله، ولم يجد عمر سبيلاً أفضل من هذا التحقيق مآربه في سحق علي وذرية رسول الله، وهو يعلم وصايا رسول الله فيهم حقّ العلم، فعلام يدل هذا إن لم يدلّ على جحود ونكران ما جاء به رسول الله؟ تشفّياً منه واستجابة للعصبية الجاهلية التي تحملها قريش على رسول الله أن أعطاه الله الملك والنبوة والشرف! وكيف يمكن تصور غير ذلك رغم ما نراه من تظاهر عمر بالإيمان والإسلام وإضمار العداء والبغض لعلي؟ ألم يقل له صلّى الله عليه وآله: «ياعلي، لايحبك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق»؟

وإذا كانت السقيفة هي الفتنة الكبرى وأم الفتن، فالشورى هي أم الفساد فقد أكمل عمر الفتنة بابتداع الشورى ونصبه أفراداً عاديّين قرنهم بإمام الهدى وسيّد الأوصياء، وخليفة الله بعد رسوله الأعظم، والذي ليس له بعد رسول الله مثيل. وما كان أحد يجرؤ على أن يقيس به نفسه من حيث المكانة القدسية، والدين والتقوى، والعلم والحكمة، والزهد والتضحية والشجاعة، وكلّ شيء، حتى قام عمر بعمله ذاك في السقيفة، واستمر في خطوات الإجحاف، ثم ماذا؟ نرى حتى الزبير الذي كان معدوداً في شيعة علي، يتجرأ وينقلب عليه، وينكث بيعته، وتقوم حرب الجمل الطاحنة فتقضي عليه، وتعقبها الحروب والفتن والمظالم، وإراقة الدماء، وانقسام الأمة الإسلامية على نفسها، وتمزّقها إلى فرق ومذاهب، والعداء من بعضها للبعض الآخر بعد أن اندس فيما بينهم أعداء الإسلام من المنافقين والغاصبين والنواصب الأمويين والخوارج، وأهل الأديان الأخرى، بسبب المجال

الذي تركه أبو بكر وعمر وعثمان فارغاً بعد منع تدوين الحديث والسنة من درج الحقائق بحجّة أن عندنا كتاب الله وكفى (كلمة حق يراد بها باطل) وخير دليل على ذلك ما تركه أمر الشورى من أثر، وقبلها السقيفة، في التفرقة والتشاحن والفتن، وإليك شهادة أحد أنصار عمر وعثمان وأكبر أعوانه على ذلك:

الأولى: الشورى بنظر معاوية: حديث بين معاوية وابن حصين، الذي أوفده زياد لمقابلته:

«معاوية: بلغني أن عندك ذهناً وعقلاً. فأخبرني عن شيء أسألك عنه.

ابن حصين: أنا عند سؤالك.

معاوية: أخبرني عمّا شتّت الأُمة الإسلامية وألقى الخلاف بينهم.

ابن حصين: قتل عثمان.

معاوية: ما صنعت شيئاً».

«ابن حصين» مسير علي إليك وقتاله إياك.

معاوية: ما صنعت شيئاً.

ابن حصين: قتال علي لطلحة والزبير وعائشة.

معاوية: ما صنعت شيئاً.

ابن حصين: ليس عندي سوى هذا.

معاوية: الحقيقة أنه لم يفرق كلمة المسلمين ويشتّت شملهم سوى الشورى التي خصّها عمر بالستة، لأن الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

وتابع يقول: واستخلف (يعني أبا بكر) عمر فعمل بمثل سيرته. ثم جعلها شورى بين ستة نفر، فلم يكن رجل منهم إلاّ رجاها لنفسه، ورجاها له قومه،

وتطلعت إلى ذلك نفسه، فلو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك خلاف»[(١)].

الثانية: وثبت في هذه الشورى كما ثبت قبلها في السقيفة حرص علي عليه السلام على ألا يستخدم القهر والقوة لاسترجاع حقه المسلوب، وحرصه على حفظ بيضة الإسلام، وصبره وتجلّده كما قال في مناسبات شتّى، ومما دل على ذلك، وعلى عدم الضياعة لمن حثه على مقابلة القوة بالقوة، وهو صاحب الرأي الصائب، والشجاع الغالب، ومبيد كل عاذر غاصب، بيد أن ما يراه علي لايراه سواه، وما يرجوه لايرجوه غيره، وما يستشعره تجاه دين محمد وأمته لايستشعره سواه، فهو إمامها ووليها ووصي رسول الله، وحامل علمه وحكمته، وشبيهه في سعة الصدر وتحمّل النكبات والمصائب، وإطاعته لله في حدود أوامره ونواهيه، وقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بما سيجري له، وأوصاه بالصبر والتجلّد، وتحمل المصائب والمحن. قال عليه السلام في خطبته الشقشقية:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى»... الى أن قال: «فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها الى فلان بعده» (يعني عمر). وتمثّل بقول الأعشى:

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر

«فياعجباً! بينا هو يستقيلها في حياتها إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها». إلى أن قال: «فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى

---

(١) أخرجها ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ج٣ ص٧٣ ـ ٧٤.

لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم!! فيالله ويا للشورى! متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر، لكني أسففت إذا أسفّوا، وطرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أمية، يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته... الخ».

فانظر الى تجلّد علي وصبره وطول بلائه، وهو يرى كل تلك المحن تنزل عليه وعلى أُمته، فيرعاها عن كثب، ويأبى مخالفة القوم، ومقابلة الشدة بالشدة، والقوة بالقوة حذراً من وقوع الفتنة، حتى هاج الناس وماجوا، وأطاحوا بالظالم وأتباعه.

بيد أن البذور التي بذرها النفاق آتت أكلها، ووجد الشيطان مرتعاً خصباً لبثّ الشقاق والنفاق، وهتك المحارم، وتعطيل حدود الله ورسوله، والسير بعجلة الإسلام القهقري، فلقد كانت السقيفة منبع الظلم والجور والقساوة، وتوقيف حدود الله ورسوله، والبدء بالمنكرات التي نهى عنها الله ورسوله، وهذا هو حقاً الانقلاب المبين الذي ذكرته الآية الكريمة: ﴿**وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم؟! ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً**﴾(١).

وهكذا، فبموت رسول الله تبادر القوم الى الغصب والاعتداء بعد الاعتداء، والظلم بعد الظلم، والنفاق بعد النفاق، ويا للعجب ـ على حدّ قول الإمام ـ بينما يستقبلها في حياته باسم الإجماع يعهد بها بعد مماته إلى من لايرضاه حتى أقرب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

الناس إليه، وإذا بالثاني يسير على ما سار به الأول، بل يجاوز ذلك، وازداد منه الاستبداد والغلظة والحصار على رجال الأمة والصحابة المقربين، ووقفهم ـ في حرج على أبدانهم وأفكارهم ـ عن الحركة والقول، وأتى بما لا يرضاه الله: فأوقف النصوص الصريحة عمداً، ومنع السنّة الواضحة المبينة قهراً، واجتهد خلافاً لأوامر الله ورسوله.

فإذا كان الأول والثاني قد غصبا، والأول بدأ بسلب بضعة الرسول والعترة الطاهرة فدكاً، وهو يدري أن من روى كذباً عن رسول الله فقد كفر، فها هو يثنّي على غصبه بالرواية عن رسول الله دون دليل مخالفاً لنص القرآن الصريح، كما منع الخمس عن آل البيت، ومنع عنهم أي مساعدة تحلّ لأقل أفراد المسلمين، فكأنهم من ملّة غير ملّة الإسلام، في حين لا تحلّ لهم الزكاة والصدقة. وأقصاهم عن مقاعدهم ومناصبهم التي وضعهم الله فيها، أضف الى أوامره بقتل المسلمين باسم الردّة، ونهبهم وسلبهم، والتعدي على أعراضهم ومنهم مالك بن نويرة وعشيرته الذين ثبت إسلامهم، كما ثبت تجاوز خالد واعتداؤه عليهم، وممارسة أعماله المنكرة في حقهم، فكان نصيبه منه بمنحه وسام «سيف الله»!

تلك أعمال أبي بكر بمساعدة عمر، وأما عمر فقد تمادى في ذلك وزاد، فمنع تدوين الحديث، العمل الذي بدأه أبو بكر ليس بمنع تدوينه فحسب بل أضاف الى ذلك منعه الصحابة المقربين من التحدث عن سنة رسول الله في أوامره ونواهيه، وزاد بحجرهم عن الخروج عن المدينة حذراً من أن يفتضح أمر ما يقومان به، ذلك الذي أشار إليه رسول الله في أوامره ونواهيه، وعلى الأخص منها ما يرتبط بتولية علي وعترته، واتّباعهم وعدم التخلف عنهم. أو الأعمال المخالفة منهما لنصوص القرآن، فهذا عمر يخالف إبّان حكمه أربعين نصاً من نصوص

القرآن الصريحة، وهو عالم بها عامد. ومن شاء الاطلاع على ذلك فليرجع الى «النص والاجتهاد» للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، وموسوعة «الغدير» للعلامة الأميني، وأخص منها المجلد السادس، ليرى كيف خالف النصوص، وكيف سار في أحكامه على الصحابة فخالف رسول الله وأبا بكر في تقسيم الأموال، وكيف شاطر عماله أموالهم بدعوى أنهم ابتزّوها، فإن صحّ أنهم ابتزّوها فكيف تركهم في مناصبهم؟! وإن لم يصح.. فكيف حق له سلبهم أموالهم؟!

ومن جهة أُخرى: لماذا لم يجر حكمه على معاوية وهو أبعدهم خطراً، وأجهلهم بالفقه، وأقربهم الى الكفر والنفاق؟!

وأما أحكامه وفتاواه المخالفة للشرع فتراها في الكتابين المارّ ذكرهما ومصادرهما جميعها من أعلم علماء أهل السنّة والجماعة. ولاننسى ما ذكرناه من أمره بحرق الكتب ومحوه لآثار العلم والحكمة، وتجاوزه لحقوق الأمم الأخرى، ودفعهم لشحن قلوبهم بالبغضاء للدين الحنيف، والغيظ من الأُمة العربية، وخلق العصبية الجاهلية حتى بين القبائل العربية، وتحريضه للطلقاء والمنافقين على عليّ، وسنورد طرفاً من ذلك.

ثم ها هو يختمها بالشورى، بل بالكارثة العظمى والجناية الكبرى على الأمّة الاسلامية، التي حرمها من إبداء رأيها المشروع، إن لم يكن الله قد نص على لسان رسوله ﷺ، واستبدّ بحصرها في ستة اختلفوا خلقاً وأخلاقاً ومذهباً وعقيدة ونفساً وقبيلة، وجعل بينهم من لايحقّ له أن يقرنه بهم، وهو الذي أقرّ بولايته عليه وأنه مولاه، وذلك ليس يوم غديرخمّ فحسب بل في عهد خلافته (خلافة عمر). واعترف بأن رسول الله نصبه علماً وأراد كتابة العهد له فمنعه عمر، أي أن عمر منع رسول الله من كتابة العهد، واعترف إبان حكمه ـ كما مرّ ـ أن من

عادى علياً فهو منافق.

قرن علياً بهم وهو أحد الستة، وجعل القدرة جميعها بيد الخمسة الباقين المناوئين لعلي، وهو مع هذا كلّه يعلم أنها ستعود لبني أمية، وأن عثمان هو الذي سيفوز بها قسراً بعد أن اعترف بأن علياً وحده دون غيره، هو من يقيمهم على الصراط الحق، وحدس بأن عثمان سيتركها مرتعاً خصباً لبني أمية وآل بني معيط، لكنه الحقد والحسد والكيد والعداء والبغضاء، والانتقام الجاهلي من محمد ودينه وآله! إنه السبب الوحيد الذي دعاه الى جرّ هذه الويلات على أمة محمد، فحرمها من تولّي رجل العدالة والتقوى والحكمة، ورجل البرّ والإحسان، وليّ الله ووصيّ رسوله.

أقوال الاستاذ عبدالفتّاح عبدالمقصود

إليك كلمات قالها الكاتب الشهير عبدالفتاح عبدالمقصود في كتابه «الإمام علي بن أبي طالب» الجزء الأول ص ٣٠٣ يقول:

«والحق لقد كانت الشورى العمريّة ضرباً جديداً من العهود، لا إلى الشورى ولا إلى العصبية، ولم يكن لها مثيل قبلها في الإسلام...».

وقال: «لولا أنه سلب الشعب حق الانتخاب ـ ونحله نفراً ستة ـ...».

إلى أن يقول: «ولكن ابن الخطاب رأى رأياً وأبرمه، وانتهج بهذا نهج صاحبه أبي بكر، فكلا الرجلين قد آثر أن يحول بين شعبه وبين مزاولته حق انتخاب واليه، أبى إلا أن يفرض متفرّداً على الناس رأيه». ثم يقول: «وإن عمر الذي تعودنا أن نرى له العذر ظاهراً في ما صدر عنه من أمور تحسب عليه، لانستطيع هاهنا أن نلتمس له عذراً».

وقد تحدث الأستاذ عن النفر الستة، فقال عن طلحة: «كان جديراً بأن يرى في أولها طلحة متمرداً على الخمسة الباقين» ويتابع: «فقد غضب الحالم الطامع وثار بابن عمه» (يعني خطاب طلحة لأبي بكر حين عهد بالأمر الى عمر قبل وفاته) فقال: «ما أنت قائل لربك غداً وقد وليت علينا فظّاً غليظاً تفرق منه النفوس، وتنفضّ عنه القلوب»؟!

ونحن نعرف أن طلحة كان يطمع بها في عهد ابن عمه أبي بكر، وتابع الكاتب قوله:

«جاءت وصيته (يعني عمر) إن لم نقل: سبقت نيّته!... ولغير الصالح العام... وعلى غير المشهور عن عمر ـ الموسوم به طبعه ـ قام أسّ الاستخلاف..» ويتابع الكاتب فيقول: «فإن عمر بن الخطاب ـ إذ قرنهم في الشورى بعليّ ـ قد ولّد في نفوسهم نوعاً من الشعور جعلها به ترفع في أعينهم الى ما فوق القدر الذي عرفوه لها من قبل»! «والحقّ ذلك ـ فسعدٌ ـ مع أنه برهن على جنديته ـ برهن أيضاً على عدم قدرته الإدارية حينما عجز عن إدارة جزء من رقعة الامبراطورية، حتى عزّله مرّةً عمر، وعزله أخرى خلفه. وأما طلحة الطامع والطامح فهذا ليس دليلاً على قدرته على إدارة الأمة، وعلى الأخص وقد صرح بذلك ابن عمه أبو بكر قائلاً له: «أما والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها، حتى يكون الله هو الذي يضعها».

«وأما الزبير ابن عمة رسول الله فقال فيه عمر قبيل موته وقبيل الشورى: «أما أنت يا زبير فوعقٌ تعس، مؤمن الرضا، كافر الغضب. ولعلها لو أفضت إليك (يعني الخلافة) ظللت يومك تلاطم بالبطحاء على مُدٍّ من شعير».

«وأما عثمان فقد قال له عمر قبل الشورى: «كأني بك وقد قلدتك قريش[١] هذا الأمر لحبّها إياك فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً».

«وهاك ما وصف به عمر عبدالرحمان بن عوف: «لو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك[٢]، ولكن فيك ضعفاً. ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك».

«وأما كلمته في علي فقد تكرر قوله: إنه لو وليها لأقامهم على الحق.

ويقول: على المحجة البيضاء والصراط المستقيم! حتى قال له ابنه عبدالله:

«فما يمنعك ألا توليها إياه»؟ فقال: «لا أريد أن أتحملها حيّاً وميتاً»!

وبعد يا عمر.. فقد عرفت الحق، وعرفت القوم وحقائقهم، وتفرّست وأيقنت أنها ستعود لعثمان، وتنبأت بعاقبة أمره، وإنك رغم علمك فقد قدمتها لبني أمية وبني أبي معيط لقمة سائغة، وزرعت الفتنة في الإسلام، ومهّدت الطريق لحكومات الظلم والتعسّف، وبعدها ليس إلاّ التفرقة والشقاق، ثم الضعف والخذلان والبغضاء، وأنت الذي أحييت من جديد روح العصبيات الجاهلية، والنعرات القومية، بعد أن قضى عليها الإسلام، ومحاها الإيمان.

ويتابع الكاتب المحقق الناقد العلامة عبدالفتاح عبدالمقصود في كتابه «الإمام علي بن أبي طالب» في الصفحة ٢٩٢ من الجزء الأول:

«ولكنا نرى عهد الخليفة الطعين بادياً في صورة من الإمعان في تأليب

---

(١) وما يقصد بقريش سوى نفسه كما مر، وقال قبلها في علي: «إنما أرادت قريش ذلك».

(٢) مديح برهنت الظروف خلافه، فمن يترك علياً لمصلحة عثمان لأنه صهره، ويطيح بالأمة الإسلامية، كفاه جهلاً وفسقاً وكفراً.

قوى العصبية كلها ضد ابن أبي طالب! فلقد ضمت الشورى أيضاً سعد بن أبي وقاص وعبدالرحمان بن عوف، وكلا الرجلين من بني زهرة، ولكليهما نسب موصول ببني أمية، أتى الأول من ناحية أُمه حمنه بنت سفيان، وأتى الثاني من ناحية زوجه أم كلثوم بنت عقبة أخت عثمان. فإذا علمنا هذا فماذا بقي بعده مما يدع لعلي فرصة واحدة للفوز؟! وأي بطن من قريش ينصف قضيته، وقريش كلّها خصومه وقضاته في آن واحد؟! وهكذا كانت وصية عمر بالشورى تومئ الى الرجل المقلوب كما يومئ عهد مكتوب.

وخرج أصحاب الشورى من لدن الشيخ الجريح بوجوه غير التي دخلوا بها عليه، في قلوبهم ألوان تباينت من المشاعر، وفي نفوسهم أهواء شتى تصطخب وتتلاطم، وكلّ له همّ سوى همّ أخيه.

وكان الناس عند الباب في جموع تنتظم الكبير والصغير، قد تدافعوا ينظرون الرجل الذي ظنوا أن انعقد له اللواء، ولكن الأمر بدا كأن لم ينضج، وتعلقت آلاف العيون المتطلعة إلى ذلك الربعة الضخم وهو يسير إليهم كما يتحدّر السيل، وبدا لهم وجهه الأسمر النبيل وقد انحسر ما كان من شعر يتوجّه في الماضي عن جبهة يتحدّث في سعتها الذكاء، ونطقت عيناه ببسمة حنان تغشّاها أسئ وشّاه الاستحياء، وهفت القلوب إليه. ولكن هيئته أوحت لهم باصطناع السكون، وكبت ما يضمرونه من حب مكنون، ولكنهم انطلقوا نحوه مكشوفي العواطف تحت نقاب النظرات الرقيق، فأولئك العامة كانت نفوسهم أصفى من أن تعرف المراءاة، وأنقى من صفحة مرآة... لم تفسدها الأغراض، ولم تشبها، بل كانت إن كرهت فللّه، وإن أحبت فللّه.

تكأكأت عليه الجموع وكلها مستضعف وزاهد وفقير.. ولئن تباينوا بين عبد

وحرّ إلا أنهم في الحرمان كانوا سواء: هذا لايملك ما يملأ به معدته، وذاك لايملك أن يفكّ رقبته، وإنما ألّفت بين قلوبهم عاطفة الإكبار والإخلاص لابن عم الرجل الذي جعلهم ناموسُه في صفّ واحد مع أعلى الناس.

ولم تكن العاطفة وحدها هي التي ألّفت قلوب الشعب على هذا الرجل الضخم الأصلع القصير.. لقد أحبّوه حقاً بحبهم رسول الله، وقربوه إلى نفوسهم لقربه منه.

ولكن سجايا له ظاهرت هذه العاطفة في قلوبهم ومكّنت لها، وخصالاً رفعته في أعينهم كما رفعت ابن عمه الكريم، ولمّا يهبط عليه وحي السماء. وإن الكثيرين منهم ليذكرون علياً من مهده فلايستطيعون إلاّ إكباره في كل مراحل حياته، ويحصون المحامد في الناس مجتمعين، فلايسعهم إلاّ جمعها له منفرداً، ثم تبقى له بعد هذا صفة واحدة جديرة بأن توليهم عطفهم الخالص، هي أنه مظلوم بأنداده، محروم من تراثه الذي كان له أهلاً منذ أكثر من عشرة أعوام! وكفى بهذا الحرمان صفة تؤلف حوله قلوب أولئك الذين ذاقوا في حياتهم مرّ الحرمان».

ترى كيف نطق الرجل حقاً وصدقاً، وكيف أن الأمة تهفو إلى علي وتضمر له الولاء سوى عصبة كادت لعليّ ولآل بيت رسول الله، بل كادت للأمة الإسلامية أن يقودها غير قائدها، ويسوسها غير سائسها، وأن تزلّ عن طريق الصواب الى هوّة الخطأ السحيقة، وقدّر لها أن تتمزّق شرّ ممزّق، وتقوم بينها الحروب، وتملأ نفوسها الأحقاد والضغائن، ويبقى الظلم سائداً، والإجحاف عامّاً. يسود الغادر، ويُهاب الفاجر، ويقهر صاحب الحق المبين، وينزوي التقي الأمين مكرهاً صابراً، ومناضلاً ناصراً، ما فتئ للصواب رائداً، وللمؤمنين قدوة وقائداً.

قارئي الكريم، إن أمامنا طريقين:

فإما أن نفكر في دين وإيمان وإسلام، ونرعى أوامر الله ونواهيه التي أوردها في كتابه الكريم، وننتهج سبل الحق وسنن رسول الله، ونتّبع المنطق السليم، ونجعل العقل مرشداً، والوجدان حكماً. فلامناص إذ ذاك من أن نتخذ علياً إماماً وعلماً، وخليفة بحقّ بعد رسول الله، ونتقبل ما ورد فيه وفي عترته، ونعترف بهم قادةً الى الحق، وأنهم أحرص على بيضة الإسلام وسنة جدهم، الذي أشاد بذكرهم، وأمر بإطاعتهم، ونهى عن مخالفتهم. فإذا تحقق لنا ذلك ـ وقد تحقق عقلاً ونقلاً، ومسنداً بإجماع السنة والشيعة بأفضليّتهم على من سواهم. كما تحقق لنا عقلاً ونقلاً أن حقهم قد اغتصب، وأنهم ظلموا، وأن الأمة تشتّتت وانحرفت عن صراطها السوي، ولدينا الزمن والتاريخ خير شاهد. ولسى بإمكاننا بعد معرفة الحق أن نحيد عنه، ولايجوز لنا أن نتقبل الظالم والمظلوم، والمتجاوز والمكلوم، والكاذب والصادق، والمؤمن والمنافق، والتقي والفاسق، وأن لانفرّق بين الجاهل والعالم، والجبان والباسل، والسابق في الإسلام والطليق، والأصيل واللصيق، ويلكم، كيف تحكمون؟!

فإن فعلنا ذلك فلانزال في غيّنا وتعصبنا الأعمى، وجهلنا المطبق. فكيف نقبل أن فرداً خالف الله ورسوله، وتجاوز على الله ورسوله وأوليائه، وحادّ الله في رسوله وعترته، وقتل وغصب، وسلب ونهب، وأسس أساس الظلم والجور، والفسق والنفاق، وهيأ سبيل الغيّ والشقاق، ثم بعدها أعان الظالم، ومهّد له سبيل التعسّف والتعدّي، وخذل صاحب الحق المظلوم، وقضى على أعوانه، واستحلّ حرمته في نفسه وماله، وبعد هذا تأخذنا فيه العصبية الجاهلية! فأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وأين العدالة والمروءة؟ وكيف نريد أن تسود الأخوّة والمحبة التي جاء بها الإسلام، وكيف تطلّب المساواة التي أمر بها الإسلام

بين أفراد الأمة كافة؟!

نعم.. إن التاريخ شاهد، والحوادث محمّلة بالعبر، وعندنا الموازين لقياس الأفضل، ونعرف الشخص بقرينه، وأعماله وأقواله، ونتائج ما جاء به، وأعوانه وأصحابه، أولئك الذين ربّاهم، وأولئك الذين أقصاهم، وعندها نضع الموازين القسط ونحكم بالعدل.

﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾.

﴿ويوم نضع الموازين القسط...﴾.

ولانقبل أبداً قول حافظ إبراهيم: «أكرم بسامعها أعظم بملقيها... إذ هو أنشد قصيدته يمتدح عمر حينما أراد حرق بيت فاطمة، ويمتدح علياً الذي وقع عليه العدوان!! إنه لم يحكم بالعدل، وأعان الظالم المعتدي.

دعاء

اللهم إني أتقرب إليك بطاعتك، والاقتداء بأوليائك، وبموالاتك وحبّهم، وأتبرّأ إليك وأعوذ بك من أعدائك ومناوئي أوليائك وأحبائك، ومن خالف رسولك ووصيه، من حاد عن سبيل الحق ودعا الى طريق الضلال، أئمة الكفر والفساد. اللهم إني أعوذ بك منهم ومن أوليائهم وأئمتهم، وسالكي سبيلهم، والداعين إليهم.

اللهم لك الحمد على هدايتك إيّانا إلى التوحيد، ولك المنة بما تفضّلت علينا به وأرشدتنا إليه، بمحمّد وآله الغرّ الميامين، قادة الخير وأئمّة الهدى، والحمد لك إذ أعطيتنا سمعاً وبصراً وبصيرة لانحيد بها ـ كما حاد غيرنا ـ عن جادّة الصواب، وسبيل الخير والفلاح. اللهم فكما أحييتنا على الهدى أمتنا عليه، واجمعنا يوم

القيامة مع أحبائك وأوليائك، إنك أرحم الراحمين.

الشكاة من أن عمر يحيد عن جادة المساواة في العطاء

كانت قسمة الصدقات والغنائم بين المسلمين على عهد رسول الله تتمّ على قدم المساواة ودون تمييز في اللون والقبيلة، وتمييز بين قريب أو بعيد من القبائل والقوميات، وتفريق بين عرب أو عجم، فالمؤمنون جميعهم إخوة متساوون، وكل الناس من آدم، وآدم من تراب.

حتى إذا مات رسول الله ﷺ وبدأ الانقلاب على الأعقاب، وجرى الاندفاع نحو الحكم، فإن أول ما جاء به أبو بكر هو غصبه بضعة الرسول الأكرم فاطمة الزهراء وزوجة وصيّه وأخيه، نحلتها وإرثها، ومنع عنها الخمس وحقها من ذوي القربى، إذ هي وبعلها وبنوها ممن تحرم عليهم الصدقات من الزكاة في شرع الله، فحرمها وعترتها من كل شيء، وأصبحت بما خاصمها به أبو بكر وناوأها كمن هي في المعاملة خارجة عن ملّة الإسلام وكنف الإسلام، بعد أن غصب بعلها تراثه ومسند الخلافة، والولاية التي أقرّها الله له ورسوله، وحافظ رغم ذلك على ظاهر المساواة بين باقي المسلمين في الغنائم والزكاة والأموال، مع إجحافه واعتدائه كما تقدم.

وخلفه بعد ذلك عمر بن الخطاب، وإذا به يحيد عن سبيل سنة الرسول ﷺ، ويشرع في القسمة بين المسلمين في العطاء، فيبالغ في تقديم المال للبعض دون الآخرين، باسم بدريّ وأُحديّ، وبين قبيلة وأُخرى، دون أن ينسى اختلاق أعذار لذلك ولو كانت واهية، فكأنما كان رسول الله يجهل ذلك، وكأنما كان أبو بكر بعده قاصراً عن بلوغ هذا الشأو بالتفكير، فنرى من أصابهم الإجحاف في حيرة من

أمرهم، فلمن يرفعون شكواهم ودعاويهم وعمر الذين يشكون منه خصمهم وحاكمهم، وهم يعلمون أنه أشدّ فظاظة وأعظم غلظة من أن يحاور أو يجادل، وأعنف من أن يخاصم، وأبعد استبداداً في الرأي من أن يتنازل لأمثالهم من الضعفاء، فقد خافه النساء والرجال، وحاذوا الاقتراب منه والتقرب إليه وهم يرونه يضيّق على أجلاّء الصحابة في الحديث والقول، فيحجر عليهم ويمنعهم من الخروج من المدينة، ويجتهد برأيه فيوقف كثيراً من نصوص الله ويبدلها بما يصوره له اجتهاده وهو محرم عليه وعلى غيره الى يوم القيامة. لكنه بحكم السلطة والقدرة غيّر وبدّل وهو يعلم أن حلال الله الذي جاء به القرآن ومحمد، حلال الى يوم القيامة، وحرامهما حرام الى يوم القيامة، فها هو يرتقي منبر رسول الله ويفتي ويقول برأيه في المتعتين: متعة الحج ومتعة النساء، في أنهما كانتا حلالاً على عهد رسول الله، وأنه محرّمهما ومعاقِبٌ عليهما!!

لم يجرؤ على الرد عليه سوى أمّ المؤمنين أمّ سلمة إذ قالت له:

لاتقل: ومعاقِبٌ عليهما، بل قل: ومعاقَبٌ عليهما.

وها هو يضاعف الحدّ على ابنه في الخمر حتى مات، وينقص في الحد في غيرها، ويمنع الحد بالمرة في أُخرى، كما فعل في حد الزنا، وكما أجرى الحد على أفراد صادقين منزهين أمثال الشهود على المغيرة، وأقام حدوداً خطأً، وأفتى فتاوى على غير ما أمر الله، عامداً في بعضها! وجاهلاً في أخرى، ولطالما اعترف بخطئه غير مكترث ولا هيّاب، فيعترف بجهله حيناً، ولايرعوي في آخر، وقد مر ذكر الكثير من ذلك.

وكم هي كثيرة أقواله: «لولا علي لهلك عمر» إلى أمثالها من الأقوال، في مجالس ومناسبات كثيرة متعددة، حتى أنه قال مرة: حتى النساء أفقه منك يا عمر.

وإذا نحن غفرنا له ما يجهله، ويأتي به جهلاً، مع أن هذا أيضاً لايجوز له. إذ كيف به ينصب نفسه خليفةً ويأمر وينهى ويحكم ويقضي في المسلمين وفيهم من هو أفقه منه ومن هو أعلم وأدرى، وأقضى وأحكم وأعدل، وأتقى وأكثر سابقة في الإسلام، وأشجع وأقدر على إدارة الأمور منه؟ وهو يعاند في منصبه ويأبى في أكثر الأحيان مشاورة غيره إباءً وتكبّراً، وفي أُخرى قلّة اهتمام واكتراث. وقد مر ذكر كثير من أعماله تلك بأسنادها، وسنذكر المزيد، فإنما نريد هنا شرح هذا التمييز الذي جرى عليه خلافاً لما سار عليه صاحبه أبو بكر مدة حياته، وهو السنّة التي سار عليها رسول الله مما دفع العامّة لما هم عليه من فقر وعوز ولما أصابهم من إجحاف يشتكون من ذلك.

ويتقدم إلى جانبهم في شكاياتهم عماله الذين شاطرهم أموالهم بدعوى أنه عمل معهم في تحصيلها، وذلك دون دليل أو برهان. فإن كان الأمر كما يقول فإنما يأخذ ذلك منهم لأنهم استحوذوا عليه من أموال الدولة والناس، وكان الأحرى به عزلهم عن مناصبهم بصفتهم حكاماً وقضاة خانوا الله والناس، ومحرّم عليه إبقاؤهم طرفة عين في مناصبهم وهو يعلم خيانتهم؛ وإن كانوا لم يعملوا شيئاً من ذلك فكيف استحلّ أموالهم من دون دليل؟ كما أنه لو صح استحواذهم على أموال الناس لوجب عليه تعزيرهم ومعاقبتهم لا مشاطرتهم أموالهم فحسب! وإذا كان يطلب العدالة فما باله لايعمل ذلك مع معاوية وقد ثبت عنه كفره وفسقه ونفاقه وتجاوزه حددوا لله؟!

قال الكاتب الشهير الاستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود في كتابه «الإمام علي ابن أبي طالب» ج١: إن رجلاً جاء عمر بن الخطاب ذات يوم يقول:

«يا أمير المؤمنين.. عابت أمّتك منك أربعاً، ذكروا أنك حرّمت العمرة في

أشهر الحج، ولم يفعل ذلك رسول الله ولا أبو بكر، وهي حلال. وذكروا أنك حرّمت متعة النساء وكانت رخصة من الله، نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. وذكروا أنك أعتقت الأَمَة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها. وشكوا منك نهر الرعية وعنف السياق».

وقال الكاتب في ج١ ص٣٢٣: «لا نناقش الخطأ والصواب في ما رآه ابن الخطاب، بل نلمس الدليل الحاسم على أنه رأى حقاً فعله عليه فتركه يعمل ويأتي بالنظرة المخالفة لنظرة سلفه الى الأمور ما دعا الى هذا تغيير الظروف واختلاف الأحوال، وحتى تلك النواحي التي لها خطرها في السياسة العامة للدولة، وقد امتدت يده إليها بالتبديل والتعديل، وتناول منها النظام المالي المعروف فهدمه وأقام آخر مغايراً على أنقاضه، لم يمنعه عن ذلك علمه برأي رسول الله وعمله، أو عمل سلفه أبي بكر بذلك المبدأ القويم».. إلى أن قال:

«وجاءت السنة الخامسة عشرة من الهجرة بنحو جديد لتقسيم العطايا على الناس، لم ينحه محمد أو أبو بكر بعده، فألغى عمر المساواة ـ أساس التقسيم ـ وفرض الأعطيات بدرجات».

نعم.. نرى عمر، وهو يعرف مساواة رسول الله في تقسيم العطايا والأموال بين طبقات الرجال والنساء، فقد كان رسول الله في تقسيمه لا يفرّق بين المحاربين، ولا اختلاف القبائل والمدن، القريب منها والبعيد، وحتى أنه لم يفرّق بين النساء: نسائه ونساء الغير، وبين صحابته وباقي المسلمين. وهكذا سار أبو بكر.

وقد تقدم ذكرنا لدعوى ما بدأ فيه من غصب الخمس والنحلة وحق ذوي القربى وغيرها. كان تقسيم العطايا والمال كما هي السنّة النبويّة، وسار عمر في

البداية على هذا المنوال، لكنه بعد ذلك شرع في تفضيل البعض على الآخرين. وبإمكان القارئ الكريم مراجعة كتاب «الأموال» لأبي عبيد ص ٢٢٤، فنشّط عمر بذلك العصبية القبلية بتفضيله قبيلة على أخرى، وجماعة على أخرى بعد أن قضى عليها الإسلام.

وأما تشطير أموال الولاة، كما جاء في «شرح نهج البلاغة» ج٣ ص١٦٣، كما ذكر ذلك الأميني في ج٦ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦. وكل بيّنته إنما هو شعر أرسله له أبو المختار يزيد بن قيس. هو الآتي:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين للإله ومن يكن ... أميناً لربّ العرش يسلم له صدري
فلاتدعن أهل الرساتيق والقرى ... يسيغون مال الله في الأرم والوقر
فأرسل الى الحجاج فاعرف حسابه ... وأرسل الى جزء وأرسل الى بشر
ولاتنسينّ النافعين كليهما ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منها لطيف عيابة ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وأرسل الى النعمان واعرف حسابه ... وصهر بني غزوان إنني لذو خبر
وشبلاً فسله المال وابن محرش ... فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهم إني فداؤك إنهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولاتدعونّي للشهادة إنّني ... أغيب ولكني أرى عجب الدهر
نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا ... فأنى لهم وفر ولسنا أولي وفر
إذا التاجر الداريّ جاء بفارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري

أتكفي هذه بيّنة لمشاطرة عمر جميع عماله أموالهم حتى أنه أخذ منهم نعلاً وترك آخر، إلا معاوية، فرغم أن الأخبار كانت ترد إلى عمر عن أعماله وبذخه

وجمعه الأموال وثرائه فلم يلتفت إلى كل ذلك، واكتفى بكلمة قالها في معاوية: «إنه كسري العرب»!! وما كان معاوية وشأنه في زمن رسول الله سوى طليق صعلوك حقير، ذلك الذي لعنه رسول الله ولعن أباه، وعرّفه بأنه صعلوك حين استشاروه حول زواج. أخرجه الطبري في تاريخه ج١١ ص٣٥٧، كما حذر منه رسول الله ﷺ بقوله: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاضربوا عنقه»[(١)].

ولكم أفهم جماعة من الصحابة عمر عن خروج معاوية عن جادة الصواب والحق، وخروجه على السنّة، وتجليبه بالحرير والذهب والديباج، لكنه هنا، وخلاف ذلك الشعر المذكور أعلاه زجر أولئك المخبرين ونهرهم حتى عرفوا أن لعمر غاية خاصة في معاوية لتقويته ومدّه ومدحه، وكذلك بخلاف رسول الله، فكأن عمر كان يبعد من قرّبه رسول الله ويقرّب من أبعده؟ قال عمر لمن نقلوا إليه خروج معاوية عن جادة الصواب: «دعونا. فذم فتى من قريش، ومن يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده من الرضا، ولا يؤخذ من فوق رأسه إلاّ من تحت قدميه»[(٢)].

ألم يكن عمر يهيئ الخلافة لبني أمية؟ أليس من ذلك تشكيله لجماعة الشورى بعد إصابته، تشكيلةٌ يعرف منها كل مفكر عالم أن نتيجة تلك الشورى بما جمعته من أعضائها إنما هي تشكيلة لابد وأن تعود إلى عثمان! شأنه شأن كيميائي يجمع موادّ منتقاة مع بعضها لاستخلاص مركّب هو يعرف ماهيته، فإذا سألت كيميائياً: ماهي نتيجة ضمّ حامض الليمون إلى كربونات الصوديوم مع الماء لقال إن الناتج هو نترات الصوديوم. هذه نتيجة كيميائية حتمية. وإن تقريب عمر

---

(١) جاء ذلك في «وقعة صفين» ص٢٤٧.

(٢) جاء في «الاستيعاب» المطبوع على هامش «الإصابة» ج٣ ص٣٧٧.

لمعاوية وتعظيمه له فبإمكان أي فرد أعطي قليلاً من الذكاء أن يعرف مراده إذا جمع أفكار عمر إلى أقواله، وخصوصاً عندما حذّر جماعة الشورى بقوله: لاتختلفوا فإن معاوية لكم بالمرصاد! ألم يحكم خلافة عثمان حينما ضمّ له عبدالرحمان بن عوف صهره (وأخاه بالتآخي) وسعد بن أبي وقاص ابن عم عبدالرحمان، وكلّهم ينتمون الى بني أُمية أماً وسياسةً، وعلى الأخص حين قال: فإن اتفق ثلاثة فمن كان عبدالرحمان معهم فالخليفة هو! وترك علياً ـ والكلّ خصومه ـ وحده. فطلحة معروف من قبل وهو خصم لعلي، والزبير معروف أيضاً، وقد رأيناه كيف نكث بيعة علي، وعُرف بذلك، وإنما هو وطلحة من أهل الطمع والدنيا. وأما قوله: إن معاوية لكم بالمرصاد فهو يعرف ربّي معاوية، وكيف قوي حزبه وأثرى بالمال، ويعرف ما للمال من أثر فعال في حسم الخصومات، وهي كأختها نتيجة حسابية قوّى بها الأمويين وخلّف الفتن لعلي وبني هاشم، ووضع علياً خصماً ونداً لطلحة والزبير يخاصمانه ولا يخاصمان معاوية، وهذا يقوّي معاوية ويثبّته أكثر فأكثر حتى خلصت أموية محضة كما أرادها عمر وحسب لها حسابه، وأنزل الوقيعة بالهاشميين وقتلهم وسفك دماء آل محمّد وعلي، ونحّاهم إلى الأبد عن مقاعدهم، وبعد أن منع التدوين ترك المجال لمعاوية وأعوانه ليثبتوا ما شاءوا ويدسّوا ويحرّفوا في السنة وتأويل القرآن كيفما شاءت لهم نفوسهم دون أن ينبس أحد ببنت شفة، وأن يضع السيف في آل محمّد وأعوانهم، ويرفع مقام خصومهم وأعدائهم، كما أراد ذلك وبدأ به أبو بكر وتبعه عمر.

ويحق لنا أن نعرف الإسلام بعد هذا معرفة أُخرى، الحد الفاصل فيها موت رسول الله، فمن سار بعد موته على كتابه وسنته، واتّبع أمره ونهيه فهو مسلم مؤمن، ومن حاد فهو السائر على طريق العصبية الجاهلية والكفر والفسق، إنهم المنافقون

أعداء الإسلام، أولئك الذين تسببوا في ما آل إليه الإسلام والأمة الإسلامية من الضعف والشقاق والانهيار.

بعض من شاطرهم عمر أموالهم

ونذكر بعضاً ممن شاطرهم عمر أموالهم دون بيّنة ولا دليل، وغصب أموالهم، فمنهم سعد بن أبي وقاص، ومنهم أبو هريرة عامله على البحرين، وأبو موسى الأشعري واليه على البصرة، وعمرو بن العاص واليه على مصر، وعتبة بن أبي سفيان واليه على الطائف، وخالد بن الوليد، وأبو بكرة نقيع بن الحرث بن كلدة الثقفي، ونافع بن الحرث بن كلدة الثقفي أخو أبي بكرة، والحجاج بن عتيق الثقفي وكان على الفرات، وجزء بن معاوية عم الأحنف وكان على سرّق، وبشر بن المحتضر وكان على نيشابور، وابن غلاب خالد بن الحرث من بني دهمان وكان على بيت المال بأصفهان، وعاصم بن قيس بن الصلت السلمي وكان على مناذر، وسمرة بن جندب وكان على سوق الأهواز، والنعمان بن عدي بن نضلة الكعبي وكان على كور دجلة، ومجاشع بن مسعود السلمي صهر بني غزوان، وكان على أرض البصرة وغزواتها، وشبل بن معبد البجلي ثم الأحمصي وكان على قبض المغانم، وأبو مريم بن محرش الحنفي وكان على رام هرمز، هؤلاء شاطرهم مناصفة.

ومنهم من لم يكن داخلاً في عماله وشاطره بدعوى النسبة لعماله، مثل أبي بكرة إذ قال له: إني لم آل لك شيئاً، فقال: أخوك على بيت المال وعشور الإبل فهو يعطيك المال تتبجر به، فأخذ منه عشرة آلاف، ويقال: قاسمه فأخذ شطر ماله. ولم تكن كلّ هذه المشاطرة بعد إقامة البيّنة والاستماع الى الشهود، وكان قد شاطرهم

مناصفة جميعهم، وأخذ المال منهم قسراً وقهراً، ورغم ذلك فقد اسبقاهم في مناصبهم إلا من جار له ولم يحدث لمثله أمثال ذلك(١).

ويظهر من مشاطرة الخليفة لهؤلاء الذين شاطرهم أنه قد اتهمهم بابتزاز أموال المسلمين رشوة أو قهراً، أو أنهم اختلسوا الأموال العامة وما شاكل ذلك، وهذا يلزمه عزلهم للأبد بعد محاكمتهم، وتغريمهم وعقابهم، وإلاّ فهو في غير هذا قد سلبهم أموالهم وهتك حرماتهم من دون بيّنة ولا دليل.

موقف الشكاة ـ يوم الجزاء

١ ـ المعوزون: وهم الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وغيرهم، تراهم رافعين أصواتهم وأيديهم إلى العدل الإلهي ينادون: إلهنا وسيدنا.. في أحرج ساعات العوز والفاقة، حيث كنا ننتظر حقوقنا من الصدقات وما نسد به عوزنا وخلة أبنائنا ونسائنا، فقد وجدنا التبعيض والإجحاف بأمر الخليفة الثاني، فالمبالغ الطائلة تقدّم لذوي اليسار بأسماء ما خلق الله بها من سلطان، وقد منعتها في كتابك الكريم، وأمرت بتقسيمها بالعدل والمساواة والحاجة، فإذا به يعطي لبعضهم المبالغ الطائلة، ويعطي لآخرين ما لا يسمن ولايغني من جوع، خلافاً لما كان عليه الأمر في عهد رسولك العظيم، وحتى خلافاً لعهد أبي بكر وفصل من عهد

---

(١) أخرجها البلاذري: ج ٩ ص٢٢٦ ـ ٣٩٢ في «فتوح البلدان» ص٢٨٦، و«شرح ابن أبي الحديد» ج٣ ص١١٣، وج١ ص٥٨، ج٣ ص١١٤، والطبري في «تاريخه» ج٤ ص٥٦ ـ ٢٠٥ والحلبي في «السيرة» ج٣ ص٢٢٠، و«العقد الفريد»: ج١ ص١٨ ـ ٢١، و«معجم البلدان» ج٢٨ ص٧٥، و«صبح الأعشى» ج٦ ص٣٨٦ ـ ٤٧٧، و«سيرة عمر» لابن الجوزي ص٤٤، و«تاريخ ابن كثير» ج٧ ص١٨ و١١٥، وج٨ ص١١٣، و«السيرة الحلبية» ج٣ ص٢٢٠، و«الإصابة» ج٣ ص٣٨٤ ـ ٦٧٦، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص٩٦، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص٤٨٠.

عمر نفسه، فقد ميّز بين الأفراد ولم يساو بين القبائل، فخصّ بعضاً بالعطاء وحرم آخرين.

٢ـ بنو هاشم: وقام بنو هاشم قائلين: إلٰهنا.. لقد حرمت علينا الزكاة والصدقات وخصصنا بالخمس، فحرمونا منه زمن أبي بكر وعمر، فأصبحنا وكأننا لسنا مسلمين، وصرنا أقل بني الإسلام خطوة بالمال في القسمة والصلة، مع أننا أقرب الناس الى رسولك الأمين، وكان في مقدمتنا في هذا الحرمان عترة رسولك، وما ذلك إلاّ عداء وخصاماً وبغضاً، ومعاندة لأحكامك ولسنّة رسولك. واعتداداً بالنفس الأمارة بالسوء.

٣ـ ولاة عمر: وقام ولاة عمر الّذين شاطرهم أموالهم بحجتهم الداحضة، بأن عمرنا صفنا أموالنا، وقد قلت يارب في كتابك إن الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم، وهتك حرماتنا، واتهمنا بالاختلاس والسرقة والرشوة دون دليل ولابرهان، بل عدواً وقسراً.

وأضاف البعض قولهم: إنه شفع ذلك بضربنا ضرباً موجعاً، وليته صنع مثل ذلك مع الجيمع، غير أنه استثنى معاوية، وهو الذي قامت على تجاوزه حدود الله ورسوله البينات، وشهد عليه الشهود، لكنه بدل ذلك قال: «إنه كسرى العرب»! فما هي هذه الخصيصة التي ميّز بها ابن آكلة الأكباد علينا واستثناه؟! ولماذا وصمنا بالعار دون بيّنة؟ ولماذا أثبت أكثر الذين ناصفهم في مناصبهم؟ فإن كنا قد ارتكبنا اختلاساً وسرقة ورشوة أو سيئة فلماذا لم يحاكمنا على شرع الله وسنّة نبيّه، وكيف جاز له! عادتنا الى مناصبنا وهو يعلم تجاوزنا وخروجنا عن حدود الله وسنّة نبيّه؟ اللهم احكم بيننا بالعدل فأنت أعدل الحاكمين.

٤ـ الأُمة الإسلاميّة: وبالتالي تهب الأُمة الإسلامية وأُمم العالم لما لحقها

من حيف وإجحاف من السيرة العمرية من إبعاد آل رسول الله واستخلاف من ظلم، وما سبّبه عمله في خلق المذاهب والفرق، ومن تفرقة وضعف، وتقهقر العالم والمعارف العالمية.

شكاية عبدالرحمان بن عمر من أبيه

إلهي يا أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة، يا أقسط العادلين، يا من لاتخفى عليه خافية في الأرض والسماء، يا علاّم الغيوب، يا من وسعت رحمته كل شيء، يا من قال: **﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾**. إلهي أنا عبدك وابن عبدك عبدالرحمان بن عمر بن الخطاب، وقد شربت زمن إمارة أبي على المسلمين في مصر يوم كان واليها عمرو بن العاص شراباً أجهل أنه مسكر. وذلك أنا وزميل لي، حتى إذا شعرت بأن الشراب مسكر، ورغم أن ما قمت به لم أكن فيه عامداً، فقد جئت عَمرَ بن العاص أطلب إليه أن يطهّرني بالحدّ احتياطاً، لكنه وقد علم بجهلي أبي، فأصررت فأقام علي الحدّ الشرعي في داره. حتى إذا علم أبي بذلك أرسل الى عمرو يأمره أن يحملني على قتب في عباءة الى المدينة دون هوادة أو رحمة، ففعل ما أمر به، وكتب الى أبي: إنني أقمت عليه الحدّ الشرعي دون تفريق بينه وبين الآخرين، على أن عبدالرحمان لم يتعمد شربها عالماً بها، ولم يعرفها إلاّ بعد شربها، وإنني رأيت أنه لايستوجب الحد لولا إصراره احتياطاً. وقد امتثل أمر أبي فبعث بي إليه حذراً من عزله وخشية من غلظته وفظاظته، وحرص على أن يبعث بي على تلك الشاكلة التي أمر بها أبي. وقد قاسيت الأمرين في طريقي لوعورته وخشونة المركب، رغم أني لم أكن مذنباً، إذ لو كنت في الواقع مذنباً فقد تطهّرت

بالحد، وإن كنت غير مذنب فقد قمت بما قمت به خشية من الله وإراحة لضميري الذي كان يؤنبني، وكان ما قاسيته هو ما يقاسيه بريء لا ذنب له، حتى إذا دخلت على أبي وأنا مريض منهوك القوى خائر الجسم موهن العظام قام إلي كما يقوم النمر المفرس. لايعرف من أين يبدأ أبالقول أم بالفعل، وأمر بإقامة الحد على ثانية، فقلت له: إنك لقاتلي يا أبي، فإن كنت شربتها متعمداً فقد تطهرت من إثمها بالحّد الذي سألتَ عَمْراً أن يجريه علي، وأجراه، وأنا في الحقيقة لم أكن متعمداً شربها. لكن أبي كان قد فارقه وعيه، وكأنه أراد أن يبرهن للناس ما هو عليه من شدة وفظاظة وخشونة، ولم يكن ما هو فيه إلا حالة عصبية يخالفها الدين الحنيف والشرع الحق، والأمر بالبر والإحسان، وسبحانه وتعالى هو القائل: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾. وهو الذي يمتدح نبيّه بقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾.

وهذا أبي.. وهو الذي عاقر الخمرة كأشهر المعاقرين لها قبل الإسلام وبعده، وحتى حين استصحابه لرسول الله، وقد غلبت عليه فقال في حال سكره شعره الذي يرثي فيه قتلى المشركين حتى سمعه رسول الله وغضب عليه وضربه، فقال: أعوذ من غضب رسول الله، انتهينا.. انتهينا، ورغم ذلك فقد ظل يعاقر الخمرة على أشدّ ما يكون، وكان لها أثرها في فظاظته وغلاظة طبعه، والعسر الذي يلقاه في أحرج المواقف، وتنكّبه عن الصراط المستقيم، وإرهاقه الصحابة تعسّفاً، وسوء ظنونه بولاته الذين شاطرهم أموالهم دون بيّنة وحقّ وبرهان حتى تجاوز ولاته الى ذويهم يشاطرهم أموالهم، كما فعل مع أبي بكرة لأن أخاه صاحب بيت مال وقد وجده موسراً بعض اليسار. وإذا فرضنا أن اليسر عنده موبقة فماله يكيل من المال لذوي اليسار من الصحابة في حين أنه كان يقلّ على المعسرين، وذلك في

القسم الأخير من خلافته، اجتهاداً منه على خلاف سنّة رسول الله، وحتى على خلاف سنّة صاحبه أبي بكر.

هذا ولئن كان أبي يظن أنه يعاملني معاملة شرعية ودينية، فما باله يعاقرها هو ويحدّ من يشربها؟ حتى أنه حدّ من شرب من نفس شرابه الذي هو مرض عليه، (سنورد أسناده). ولم يكن تناقضه هذا في موضوع الحدود فحسب، لكنه كثيراً ما يجتهد في مورد النص، ويحدّ في موارد كثير يُمنع فيها الحد، ويمتنع عن إقامة الحد في موارد ثبت فيها وجوب الحدّ، كما فعل مع المغيرة حين قامت عليه البيّنة، وشهد عليه الشهود، وشهد عليه زياد ابن أبيه بأنه قام بالعمل، وكان هو قد منعه فيما سبق من الإدلاء بالواقع، وكان بيان زياد بياناً وافياً ملزماً للحد على المغيرة، لكنه برّأه وأقام الحد على الشهود الذين شهدوا لله حقاً وصدقاً. فكم وكم أقام الحدود خلافاً للنصوص، وكم وكم امتنع عن أُخرى. فكأن الدين الذي كان يتّبعه غير دين المسلمين، أو أنه بلغ فيه شأواً يخوله اتّباع هواه وفرض آرائه.

إلهي.. وأنا إذ أقف شاكياً مظلوماً فإني أشكو لك من أبي قلة عطفه وبرّه بنا وبأهل بيته، واتّباعه غير ما أمر به رسول الله في الحدّ:

أولاً: كان رسول الله يحدّ بالجرير أربعين فأمر بالثمانين

ثانياً: كان رسول الله يمتنع من الحدّ لغير المتعمد، وهو أجراه على غير المتعمّد.

ثالثاً: لم يكن رسول الله يحدّ في أمر هو يجريه، وأبي أقام الحدّ على شاربٍ شرب من نبيذه الذي اعتاد عليه وأدمنه.

رابعاً: كان رسول الله لايجري الحدّ على مريض حتى يشفى، وها هو قد أجرى الحدّ علي وأنا مريض حتى أدّى ذلك إلى موتي.

خامساً: كان رسول الله لايشوب حدوده تعذيب أو نكاية أو تشفٍّ، وهو فعل ذلك.

سادساً: إن الحدّ عند رسول الله يطهّر المرء من إثمه الذي حُدّ من أجله، ولم يرع أبي ذلك.

إلهي.. كأن أبي قد فقد كل حنان للأُبوة، وكل أُلفة للزوجية، وكأن الإسلام لم يزده عطفاً ورأفة وحناناً، بل ازداد غلظة وخشونة، حتى كانت النسوة والرجال يفرّون من ملاقاته، وكانت درّته تهوي على البريء والمجرم، والقوي والضعيف.

إلهي.. يا أحكم الحاكمين، ويارب العالمين، لئن كنت أشكو فإنما أشكو الذي لم أذق منه أنا وأُمي وإخوتي أي طعم للأُبوة، وأي رحمة وحنان من والد شفيق. إنني أشكو إذ لم يتبقّ لي ـ وهو الآمر الناهي، وبيده مقاليد الأُمة، وسلطة الحل والعقد ـ سوى أن أتظلّم إليك ياربّ.

إلهي.. إني إذ أشكوه إليك فإنما أشكو إدمانه على الخمرة والنبيذ، واعتياده على القسوة والشراسة بسببها، وقد أورثني من الخلق ما أبعدني وإخوتي عن جادة الصواب دون أن يدري.

أليست العادات المكتسبة تثبت بالوراثة؟ أليس الضعف المكتسب في الدماغ والأعصاب والأعضاء ينتقل بالوراثة؟

أليست الأخلاق والصفات لدى الآباء تنتقل الى الأبناء بالوراثة؟

أليست الطبائع والأخلاق عند الأبوين وآدابهما وصفاتهما تترك أثرها في الأبناء؟

أليس على المربي أن يمتنع قبل كل شيء عما يحرّمه على أبنائه وتلامذته؟ ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾[1]؟ أليس هذا قول الله عزّوجلّ؟ ألم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

يقل الشاعر:

لاتنه عن خلقٍ وتأتي مثله — عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

إلهي.. وأنت علام الغيوب، وأنت الذي لاتخفى عليك خافية، وتعلم ما قاست أمة محمّد من أبي وصحبه بعد محمّد الصادق الأمين ذي الخلق العظيم السامي، ذي العطف والحنان، والبر والإحسان، ذلك الأب الرءوف بجميع أمته، والذي قلت فيه سبحانك: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1]، وقلت فيه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[2]. وجعلته قائداً ومعلماً ومرشداً، وشهيداً على أمته يوم القيامة، فقلت تبارك اسمك: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾[3]. وقلت فيه غلظة للمؤمنين وليكون قدوة لهم في اتباعهم خطواته في الأخلاق السامية والعاطفة ورقة الطبع: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك. فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾[4]. لكن أبي كان على النقيض من ذلك، كان فظّاً غليظاً خشناً مع جميع صحابة رسول الله، حتى أنه ضيّق عليهم الخناق في الخروج من المدينة، ومنعهم من إبداء آرائهم والتحدث بسنّة نبيّهم وبما وصّى لهم، وعلى الخصوص ما جاء في علي وعترته، واستبدّ في أحرج الأُمور برأيه، فأعاد العصبيّة الجاهلية القبلية والفرديّة، وفضّل العرب على العجم، وضايق خيار أصحاب رسول الله وحرمهم، وأخص منهم عترته وأنصارهم، وجاء الى الحكم

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

بألدّ أعدائهم من أنصاره، فتوقف أكثر حدودك، واجتهد في نصوصك، وتجاوز حدودك، وأباح نواهيك، وخالف رسولك في سنّته.

إلهي وأنت القائل: ﴿الّذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[(١)]. بيد أن أبي، ورغم أنـي لم أكـن مذنباً، أقام علي الحدّ وأنا في حال المرض، وجار عليّ حتى تسبّب في قتلي بدل أن يكظم غيظه ويحنو ويحسن، واتّبع في زجري هواه ورأيه، وقد قلت سبحانك: ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظن إثم..﴾[(٢)]. وقلت أيضاً ﴿والّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[(٣)]. فكيف يغفر من لايخالجه عطف ورقة بل هو يبالغ في تعذيبي حتى الموت؟! وقلت ياربّ أيضاً: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملُوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[(٤)]. وقلت: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾[(٥)]. لكن أبي تحدى في حكمه أحكام الإسلام ومال الى أحكام الجاهلية، وما اتعظ بكلامك البليغ في كتابك الكريم إذ قلت: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[(٦)]. وقلت سبحانك وتبارك اسمك: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[(٧)].

نعم، كان عهد أبي عهداً بالغاً في الانحراف عن السبيل وضعته، والسنّة التي

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الشورى: ٣٧.

(٤) الأحزاب: ٥٨.

(٥) الأنعام: ١٤٠

(٦) المائدة: ٥٠.

(٧) الشعراء: ٢٢٧.

استنّها رسولك وأمر باتّباعها. عهد غصب وجور على العالم أجمع، انحرفت فيه عجلة الإسلام عن مسيرها الذي سيّرها عليه رسول الله في حياته، وأمر أن يكون قائدها عليّ وذرّيّته من بعده، وذلك في غديرخمّ والمواقف الأخرى، فعمد أبي على رأس جماعة الى غصب تلك القيادة، وغزا بها العالم وهو يجهل السبل، ويجهل أُصول القيادة، ولم تكن عنده المقدرة والعلم، وما حداه إلاّ هواه، فابتعد عن الصراط المستقيم، وصاحب أعداء الله ورسوله، واتّبع هواه، وتسلّطت عليه غرائزه، من حبّ الطموح وحبّ الدنيا، ففرّق بين العرب والعجم، وأخّر سير العلم والمعرفة في العالم أجمع بحرقه الكتب أينما حلّ، وغيّر النظام المالي الذي سنّه رسول الله، وأحلّ جماعة في الحكم بعده من ألدّ أعداء الإسلام، وهيّأ لهم سبيل الوضع والتحريف والكذب والجعل في الإسلام، بعد أن منع تدوين السنّة، وضيّق على الصحابة حتى مات أكثرهم في الحروب، وفرق الآخرين في الأمصار، وولّى على الأُمة أحقر الأفراد وأبعدهم عن الدين والحق أمثال عمرو بن العاص المنافق، ومعاوية الكافر، وأبو هريرة الوضّاع، والزاني المغيرة بن شعبة، وغيرهم، وعمل على تقوية بني أُمية وتثبيت تحكّمهم في الأُمة قهراً، وعلى عودة العصبيات الجاهلية بين العرب والعجم بعد أن منعتها في كتابك الكريم وفي سنّة نبيك فقلت: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

كما أصدر الفتاوى الكثيرة الجائرة باجتهاده بعيداً عن حدودك وعن سنّة نبيك، وتجسّسه المفرط، والعبث بالنصوص، فمنع متعة الحج ومتعة النساء، واجتهد في الخمر فأباح الطلاء والنبيذ لنفسه، ومنعه عن غيره فأقام عليه الحد، وتشطيره أموال عماله وغيرهم، وتمييزه في تقسيم الأموال، ونشر الجمود الفكري بمنع الحديث والتنبّوء الفكري، وتبديله الأسماء، وغير ذلك مما لا يحصى من

المخالفات في الأوامر والنواهي، وإصداره الفتاوى المتناقضة في الأمر الواحد.

وقد انشغلت الأُمة بالحروب فلم تر البلدان المقهورة من الدعوة الإسلامية عدالة الإسلام ومساواته، فزرع بذلك بذور الشعوبية بين الأمم، وخلق منها أعداءً ناقمة على ما رأته عنده من التحقير والتمييز بينها وبين العرب، حتى اضطرت الى الدسّ والتحريف وخلق آلاف المشاكل للعرب، والتي فرضت نفسها بنفس العصبية الجاهلية التي غذّاها أبي، وسبب هذا السلوك الذي سلكه بعد رسول الله، حيث كان المؤمنون في عهده إخوة لا فضل لعربي منهم على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلاّ بالتقوى.

لقد غيّر أبي هذا كلّه، وتلقّفه من بعده بنو أمية ومارسوه في زمانهم، حتى رأينا العجم يُدفعون الى خلق المشاكل والفتن والانقلابات، والانقضاض على الدين وعلى الأمة، فخلق بذلك الفرق والمذاهب والشقاق في الأمة الواحدة، التي أراد الإسلام توحيدها في العالم كله، فتكون ذات دين واحد، وعقيدة واحدة، وكتاب واحد، فالإسلام لم يجعل لأحد فضلاً على آخر إلاّ بالتقوى، فلاميزة هناك لعدنان على قحطان، أو لمدينة على أخرى، أو لون أو طائفة أو أيّ شيء آخر على غيره إلاّ ما أخلص فيه المرء لله ولحدوده وأوامره ونواهيه، واكتسب الفضائل وابتعد عن الرذائل، لكن أبي ـ وللأسف ـ أعاد إحياء العصبيات الجاهلية بين العرب وغيرهم، ففرّق بينهم وميّز، وأساء الظن بالكثيرين منهم، وانتهج غير سبيل رسول الله، فقرّب من أبعده الرسول وأبعد من قرّبه، وبذر العداوة بينهم حتى انتهى الأمر الى المجازر والمذابح فيما بينهم، وإلى هتك حرمة مدينة رسول الله، وانتهاك حرمة البيت الحرام، وإلى الخصام بين أفراد الأمة الواحدة. وقد حذر من ذلك رسول الله، وأوصى أمته بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن

تمسكتم بهما فلن تضلّوا أبداً». وقال: «مثل عترتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هوى». وقال أيضاً: «لايحبّك يا عليّ إلاّ مؤمن، ولايكرهك إلاّ منافق» فجعل حبّ علي فارقاً بين الإيمان والنفاق.

فما رأيت أبي بعد رسول الله إلاّ وقد خالف كل وصايا الرسول، فناصب علياً وعترته وصحابة رسول الله العداء، واجتهد برأيه في كثير من نصوص القرآن، وأقام القساوة محلّ الليونة، والزجر محلّ الرحمة، والتفرقة محلّ التآخي، والاستبداد محلّ المشاورة، في جميع أعماله.

أسناد شكاية عبدالرحمان بن عمر بن الخطاب من أبيه

قال عبدالرحمان بن عمر في شكايته أنه يوم كان في مصر تناول شراباً فشعر أنه سكر، فأراد أن يطهّر نفسه من إثمها، فجاء الى عمرو بن العاص والي أبيه على مصر ليقيم عليه الحد هو وأبو سروعة عقبة بن الحارث، شريكه في الشرب، وذلك بعد صحوهما. ويظهر من فحوى كلامه أنه حين شرب الخمرة لم يكن يعلم أنها خمرة، فحلق أخوه عبدالله بن عمر رأس أخيه، وأقام عمرو بن العاص عليه الحد. وبعد ذلك بعث عمر بكتاب الى عمرو بن العاص يأمره فيه بأن يبعث بعبدالرحمان بن عمر الى المدينة على قتب، ففعل. ووصل الى المدينة مريضاً. ودخل على أبيه، فعنّفه وغضب عليه، ومع أن عمْر بن العاص أعلمه بأنه أقام عليه الحد، فقد أمر بحدّه ثانية خلاف الشرع، فقال لأبيه: إني قد أقيم عليّ الحد، وما أراك إلاّ قاتلي، فأقام عليه الحد، وانتهى الأمر بموته.

وقد عرضت شكاية عبدالرحمان بن عمر على العدل الإلهي لعدة أمور:

أولاً: لأنه حين شرب الخمرة لم يتعمد شربها على أنها مسكر وخمر.

ثانياً: كان هو المبادر الى طلب إقامة الحد عليه وعلى صاحبه ليتطهّرا، وكان ذلك.

ثالثاً: رغم علم أبيه بأنه لم يتعمد شربها، وأن الحد أقيم عليه، فقد أمر بحمله على قتب من مصر الى المدينة، وهذا تعذيب وعقاب دون ذنب.

رابعاً: وصل عبدالرحمان الى المدينة مريضاً بسبب ذلك.

خامساً: رغم مرضه، وعدم جواز إقامة الحد على مريض فقد حُدّ حتى الموت.

سادساً: اجتهد عمر في مضاعفة حدّ شارب الخمر، خلافاً لما كان عليه الأمر في عهد رسول الله وعهد أبي بكر وأوائل عهده هو.

سابعاً: كان عمر نفسه يداوم على شرب النبيذ، حتى في زمن خلافته، وحتى آخر أيام حياته عندما طعن.

ثامناً: إن عمر أحل الطلاء، وهو خمر.

تاسعاً: إن عمر أقام الحد على من شرب من شرابه نفسه، باعتبار أنه لم يكن يسكر منه، وكان يُسكر غيره، متجاهلاً أن أضرار الخمرة تتعدى السكر الى التأثير على المعدة والأعصاب وأنسجة الدماغ، وأنها تورث بعض أنواع الجنون، وعاهات أخرى.

وإلى القارئ الكريم أسناد الموضوع:

أخرج الزمخشري في «ربيع الأبرار» في باب اللهو واللذات والقصف واللعب، كما أخرجه شهاب الدين الأبشيهي في «المستطرف» ص٢٩١، أنه قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات، الأولى: قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر**

والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نـفعهما﴾[١]. فكـان المسلمون من شارب وتارك، إلى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر، فـنزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا مـا تقولون﴾[٢]. فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتى شربها عمر رضي الله عنه، فأخذ بلحي بعير وشجّ به رأس عبدالرحمان بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر بقوله:

وكـائن بـالقليب قـليب بـدر ... مـن الفـتيان والعـرب الكـرام
وكـائن بـالقليب قـليب بـدر ... من الشيزى المكلّل بالسنام[٣]
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا ... وكـيف حـياة أصداء وهـام
أيـعجز أن يـردّ المـوت عـني ... ويـنشرني إذا بـليت عـظامي
ألا مـن مـبلغ الرحـمان عـني ... بأنـي تـارك شـهر الصيام
فـقل لله يـمنعني شـرابـي ... وقـل لله يـمنعني طـعامي

فبلغ ذلك رسول الله فخرج مغضباً يجرّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده فضربه به، فقال: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيـها الذيـن آمـنوا إنـما الخـمر والمـيسر والأنـصاب والأزلام رجس مـن عـمل الشـيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العـداوة والبـغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فـهل أنـتم مـنتهون﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) هذا البيت لم يرد في المستطرف.

(٤) المائدة: ٩٠ _ ٩١.

فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا. كما أخرجه الطبري في تفسيره: ج٢ ص٢٠٣ مع تغيير في الأبيات.

ويظهر من فحوى نزول الآية الأولى، والسؤال الذي وُجّه إلى رسول الله وجوابه، ومن الروايات الواردة أن الآيات الواردة بعد الآية الأولى إنما كانت لإصرار عمر على الشرب، وفحوى الآية الأولى في قوله: ﴿**وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ ففيه معنى المنع عقلاً، إذ إن في كل شيء نفعاً وضرراً، ومتى أصبح الضرر أكبر وجب تركه والامتناع عنه، وحيث إن عمر كان مدمناً وكان يهمه الشرب جعل يصرّ طلباً لتوضيح أكثر، مع استمراره في الشرب، حتى نزلت الآيات الواحدة تلو الأخرى وبقي مستمراً في الشرب حتى رثائه قتلى المشركين من قريش في وقعة بدر، وغضب رسول الله منه، ونزول الآية الأخيرة بالمنع الباتّ، فقال: انتهينا.. انتهينا، لكنه مع ذلك ظل يعاقر الخمر. ونظراً لكونه مدمناً فإن النبيذ لم يكن ليسكره مثل غيره.

الأسناد:

أخرجه أبو داود في «سننه» ج٢ ص١٢٨، وأحمد في «مسنده» ج١ ص٢٥٣ والنسائي في «سننه» ج٨ ص٢٨٧، والطبري في «تاريخه» ج٧ ص٢٢، والبيهقي في «سننه» ج٨ ص٢٨٥، والجصاص في «أحكام القرآن» ج٢ ص٢٤٥، كما جاء في «مستدرك الحاكم» ج٢ ص٢٧٨، كما صححه وأقرّه الذهبي في «تلخيصه»، وجاء في «تفسير القرطبي» ج٥ ص٢٠٠، و«تفسير ابن كثير» ج١ ص٢٥٥ ـ ٥٠٠ وج٢ ص٩٢ نقلاً عن أحمد وابن داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه وعلي بن المديني، وقال علي بن المديني: إسناد صالح صحيح، وذكر تصحيح الترمذي وقرّره. كما جاء في «تيسير الوصول»

ج١ ص١٢٢، و«تفسير الخازن» ج١ ص٥١٣، و«تفسير الرازي» ج٣ ص٤٥٨، و«فتح الباري» ج٨ ص٢٢٥، و«الدر المنثور» ج١ ص١٥٢، نقلاً عن ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبي داود والترمذي والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في «ناسخه» وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي و«الضياء المقدس» في «المختارة» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

لمّا نزلت تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر...﴾ قال: فدعا عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى..﴾، فكان منادي رسول الله إذا أقيمت الصلاة ينادي: أن لايقربنّ الصلاة سكران. فدعا عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بيّن لنا بياناً شافياً، فنزلت: ﴿إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون﴾؟ قال عمر: انتهينا.. انتهينا.

وفي «تفسير القرطبي»: ج٥ ص٢٠٠ عن سعيد بن عبيد: كان الناس على أمر جاهليتهم حتى يؤمروا وينهوا، فكانوا يشربونها أوائل الإسلام حتى نزلت: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»، قالوا: نشربها للمنفعة لا للإثم فشربها رجل (وقد قال الجصاص في «أحكام القرآن» ج٢ ص٢٤٥، والحاكم في «المستدرك» ج٤ ص١٤٢: إنه عبدالرحمان بن عوف) فتقدم يصلي بهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون. أعبد ما تعبدون. فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾ فقالوا: نشربها في غير حين

الصلاة. فقال عمر: اللهم أنزل علينا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت: ﴿إنما يريد الشيطان..﴾ الآية، وقال عمر: انتهينا.. انتهينا.

وفي ما أخرجه «المستدرك» في ج ٤ ص١٤٣، وصححه هو والذهبي في «تلخيصه» والترمذي في «صحيحه» ج٢ ص١٧٦، عن طريق عمرو بن شرحبيل، وأخرجه الآلوسي في «روح المعاني» ج٧ ص١٥ طبع المنيرية، عن حارث بن مضرب قال: قال عمر رضي الله عنه: اللهم بيّن لنا في الخمر، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون﴾ فدعا النبي عمر فتلاها عليه، فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر، فنزلت: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر..﴾ الخ، فدعا النبي عمر فتلاها عليه، فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام..﴾ الخ، حتى انتهى الى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾؟ فدعا النبي عمر فتلاها عليه، فقال عمر: انتهينا يارب.

ونسب ابن المنذر عن سعيد بن جبير أنه بعد نزول الآية الأولى فممن شربها عثمان بن مظعون، وقد عدّ أئمة الحديث أن هذا الصحابي العظيم ممّن حرّم على نفسه الخمرة في الجاهلية وقال: لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي. جاء هذا في «الاستيعاب» ج ٢ ص٤٨٢، و«الدر المنثور» ج ٢ ص ٣١٥. فتحريم الآية لمن فكر فيها فهي محرّمة على العقلاء، كما ذكر ابن مظعون، وحرّمها على نفسه في الجاهلية، وأما تحريمها في الإسلام فهو واضح منذ الآية الأولى عندما قال: «وإثمهما أكبر..» وتؤيد ذلك الآية: ﴿إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي..﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

وقد أخرج الخطيب البغدادي في «تـاريخه» ج٨ ص٣٥٨، وحكـاه عـنه السيوطي في «الدر المنثور» ج١ ص٢٥٢، أن الصحابة عرفته ومنهم عائشة أنـه لمّا نزلت سورة البقرة ونزل فيها تحريم الخمر نهى رسول الله عن ذلك، وأعتقد أن هذا كاف للامتناع عن شربها منذ الآية الاولى. وحينما حرّم الله الإثم في آيـاته، والخمرة إثم، ويطلق عليها ذلك، كما قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بـالعقول

(جاء في «لسان العرب» ج ١٤ ص ٢٧٢، و«تاريخ العروس» ج٨ ص١٧٩)

وقد أيد ذلك الجصاص في «أحكام القرآن» ج١ ص ٣٨٠، ولم يقل عمر انتهينا إلاّ بعد أن بيّن الله في الآية الأولى أنها إثم كبير، وأنه حرّم الإثم والبغي، وبيّن في الآية الثانية المنع عن قرب الصلاة في حالة السكر، ورغم ذلك فهو يشربها حتى فصّل في الآيتين الأخيرتين بمنعها، وهدد بقوله: «فهل أنتم منتهون» وعيداً وتهديداً لمن يشربها.

كان الماضون يلحظون من آثار شرب الخمرة ذهاب العقل، واختلال الفكر، والخروج عن النظر السليم، والانحراف الى الاستهتار والأعمال الجنونية، وفقدان التوازن. وأما ما ثبت بعد هذا في عالم الطب فهو أنها منشأ أكـثر الأمـراض فـي الجهاز الهضمي في المعدة والأمـعاء، والجـهاز العـصبي والقـلب وتأثـيره عـلى حجيرات المخ وبتكرار شـربها ودوام الاعـتياد الحـاصل بسـبب الانـحرافـات الحاصلة في أجهزة البدن منها، وقد ثبتت أضرارها في المجتمعات الطبية وقطعوا بأنها تزيد الشعور الكاذب بالجوع فيسرف الفرد بالأكل فيصاب عـلى أثـر ذلك بأمراض المعدة والجهاز الهضمي، وتزيد الشعور الكـاذب بـالحرارة فـي الشـتاء فيتعرض المرء للبرد، وهو سبب أكثر الأمراض، كما ثبت أن آثار الاستهتار وعدم

العفة إنما تنتقل بالوراثة الى الأبناء، هذا الى أنه قد تنتقل الاختلافات الحاصلة في أجهزة البدن، والارتباكات القلبية والعقلية الى الأبناء، وكثيراً ما تقضي على الفرد قبل أوانه

هذا إلى ما تخلفه من سوء الخلق والسلوك بين مدمنها وأصدقائه، وأفـراد العائلة من أبوين وأبناء وزوجات، وتقود الى أحطّ مدارج السلوك، كما قال ابن الوردي: «كيف يسعى في جنونٍ من عقَل».

وإن من شيمة الخمرة الاعتياد الفظيع الذي يبلغ درجة يـمتنع مـعها تـركه، وتستحوذ على شاربها، وتصبح داء عضالاً لمن أدمنها، ولاتزال تدعوه للاستزادة، وكلّما زاد زاد جشعه إليها وزادت فظاعتها. والشاعر يقول:

وداوني بالتي كانت هي الداء

وهذا شأن المخدرات الفتّاكة، والخمر أفظعها، والحقيقة أنه يكفي العاقل أن يحكّم الإرادة للامتناع عن أمثال هذه الاعتيادات المرهقة الآثـمة، وبـنفسه دون تحريض من أحد، كما فعل ابن مظعون فامتنع عن شربها في الجاهلية، كما ذكـر بحرمتها منذ الآية الأولى أكثر المفسرين. وكان عمر يدري أنها إثم وأنها حرام بيد أنه كان يريد منفذاً لتجويزها، ولذا كان يطالب ـ كما تقدم ـ بالبيان الشافي.

حتى جوبه بالتهديد والوعيد والمنع الباتّ فأجاب: انتهينا.

كما أخرج ذلك القرطبي في «تـفسيره» ج٦ ص٢٩٢، والزمـخشري فـي «الكشاف» ج١ ص٤٣٣، والبيضاوي فـي «تـفسيره» ج١ ص٣٥٧. وذكـر ابـن هشام في «سيرته» ج١ ص٣٦٨ عن عمر بن الخطاب قوله:

«كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأشـربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بـالجزورة (والجـزورة سـوق مـن

أسواق مكة، وهي الآن جزء من المسجد) عند دور عمر بن عبد بن عمران المخزومي، فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذاك، فجئتهم فلم يكن فيه منهم أحد، فقلت: لو أني جئت فلاناً الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلّي أجد عنده خمراً فأشربها».

وأخرج البيهقي في «السنن الكبرى» ج ١٠ ص ٢١٤ عن عبدالله بن عمر من قول والده في أيام خلافته: «إني كنت لأشرب الناس لها في الجاهلية، وإنها ليست كالزنى»(١).

وما كان عمر يعدّ الخمرة من الكبائر كما جاء في «صحيحة الحاكم» عن سالم بن عبدالله قال:

«إن أبا بكر وعمر وناساً جلسوا بعد وفاة النبي ﷺ فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم، فأرسلوني إلى عبدالله بن عمر أسأله فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر، فأتيتهم وأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا جميعاً حتى أتوه في داره، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيّره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزني أو يأكل لحم الخنزير أو يقتلوه، فاختار الخمر، وإنه لمّا شربها لم يمتنع من شيء أرادوه منه».

جاء في «مستدرك الحاكم» ج ٤ ص١٤٧، و«الترغيب والترهيب» ج ٣ ص ١٠٥، و«الدر المنثور» ج ٢ ص٣٢٣. والحقيقة أن ذلك يصدق على الخمرة التي تسلب العقل والإرادة، وتزيد المرء استهتاراً واستخفافاً وطيشاً.

---

(١) أخرج ذلك ابن الجوزي في «سيرة عمر» ص٩٨، و«كنز العمال» ج٣ ص١٠٧، و«منتخب الكنز» بهامش «مسند أحمد» ج ٢ ص٤٢٨، و«الخلفاء الراشدون» لعبدالوهاب النجار ص٢٣٨.

أسناد شرب عمر الخمرة بعد الإسلام

ومما جاء في «السنن الكبرى» ج٨ ص٢٩٩، و«محاضرات الراغب» ج١ ص٣١٩، و«كنز العمال» ج٢ ص١٠٩، نقلاً عن ابن أبي شيبة، ولاعتياد عمر على الخمرة منذ مدة غير قصيرة الى نزول آية المائدة في حجة الوداع طفق عمر يشرب النبيذ الشديد بعد نزول ذلك الوعيد، وبعد قوله: انتهينا انتهينا. وكما يقول:

«إنّا نشرب هنا الشراب الشديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن تؤذينا، فمن رابه من شرابه شيء فليمزجه بالماء».

على أن ماورد عن رسول الله، والذي سنرده فيما يلي: «إن ما يسكر كثيره فقليله حرام».

وقال: «إني رجل معجار البطن، أو مسعار البطن، وأشرب هذا النبيذ الشديد لتسهيل بطني». أخرجه ابن أبي شيبة، و«كنز العمال» ج٣ ص١٠٩، وقال: «لايقطع لحوم هذه الإبل في بطوننا إلاّ النبيذ الشديد» كما جاء في «جامع مسانيد أبي حنيفة» ج٢ ص١٩٠ و٢١٥.

عمر يحدّ من يشرب نبيذه

كان عمر يشرب النبيذ الشديد الى آخر نفس لفظه.

قال عمرو بن ميمون: شهدت عمر حين طُعن أتي بنبيذ شديد فشربه، «طب» ج٦ ص١٥٦. وجاء في «العقد الفريد»: ج٣ ص٤١٦: وكان حدّة شرابه وشدّته بحيث لو شرب غيره منه لسكر، وكان يقيم عليه الحد، غير أن الخليفة كان لايتأثر منه لاعتياده، أو كان يكسره ويشربه. قال الشعبي: «شرب أعرابي من اداوة عمر فأغشي عليه فحدّه عمر، ثم قال: إنما حدّه للسكر لا للشرب»!!

وهذا يدل على ان عمر كان يبيح المحرمات لنفسه دون غيره، ولانستطيع أن نقول غير ذلك، إذ قد حرّم رسول الله، كما مرّ، كلّ مسكر أسكر كثيره، وكما سيأتي، فكيف أحل عمر ذلك لنفسه دون غيره؟ قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾[1]؟ وقال الشاعر:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وهاك ما أخرجه الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٢ ص ٥٦٥:

«إنّ أعرابياً شرب من شراب عمر فجلده عمر الحد، فقال الأعرابي: إنما شربت من شرابك، فدعا عمر بشرابه فكسره بالماء ثم شرب منه، وقال: من رابه من شرابه شيء فليكسره بالماء. ثمّ قال الجصّاص: وروى إبراهيم النخعي عن عمر نحوه وقال فيه: إنه شرب منه بعدما ضرب الأعرابي».

وجاء في «جامع مسانيد أبي حنيفة» ج ٢ ص ١٩٢ قال: هكذا فاكسروه بالماء إذا غلبكم شيطانه، وكان يحب الشراب الشديد.

كما جاء في «حاشية سنن البيهقي» لابن التركماني ج٨ ص٣٠٦، وفي «كنز العمال» ج٣ ص ١١٠ عن ابن جريج «أن رجلاً عبّ من شراب نبيذ لعمر بن الخطاب بطريق المدينة فسكر، فتركه عمر حتى أفاق فحدّه، ثم كسره عمر بالماء فشرب منه».

وأخرج النسائي في «سننه» ج٨ ص٣٢٦، وعدّه ممّا احتجّ به من أباح شرب المسكر، عن أبي رافع: أن عمر بن الخطاب (رض) قال: «إذا خشيتم من نبيذ شدّته فاكسروه بالماء».

وأخرج القاضي أبو يوسف في «كتاب الآثار» ص٢٢٦ من طريق أبي

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

حنيفة عن إبراهيم أبي عمران الكوفي التابعي، قال:

«إن عمر بن الخطاب (رض) أخذ رجلاً سكراناً فأراد أن يجعل له مخرجاً فأبى إلاّ ذهاب عقله، فقال: احبسوه فإذا صحا فاضربوه، ثم أخذ فضل إداوته فذاقه فقال: أوه هذا عمل بالرجال العمل، ثم صب فيه ماء فكسره، فشرب وسقى أصحابه وقال: هكذا اصنعوا بشرابكم إذا غلبكم الشيطان».

وإني سائل عن قوله: «إذا غلبكم الشيطان» ومن أين يعرفون غلبة الشيطان إلاّ بعد الشرب؟ وهذا يعني: جربوه في المرة الأولى فهو مباح لكم تجربته، فإذا سكرتم فعليكم أن تكسروه بالماء.

أسناد حرمة: «ما أسكر كثيره»

لنا أن نتساءل: كيف جوّز الخليفة لنفسه شربه ولم يجوّز للغير، مع أن المنع مطلق لكل مسكر إذا أسكر كثيره، سواء شُرب منه قليل أو كثير، وسواء أسكر جماعة ولم يسكر الآخرين، إذ لم يحدد ذلك، ولم يكن إثمه فقط للسكر كما صحّ؟ وإنما للخمرة، كما مرّ، أضرار جمّة، كما أن اختلاف الأسماء أو تغييرها لا تغيّر ماهية الشيء، وحرمته باقية مهما تغير الاسم والشكل.

وإنما المقصود مايحمله من كحول، وهذا ما قرره العلم الحديث من أثر الحكول وإثمه وضرره، وقد أبدت الأحاديث ماروي عن الرسول الأكرم كما أخرج الدارمي في «سننه» ج٢ ص١١٣، والنسائي في «سننه» ج٨ ص٣٠١، من طريق جابر وابن عمر وابن عمرو عن رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام». كما أخرج ذلك أبو داود في «سننه» ج٢ ص١٢٩، والإمام أحمد في «مسنده» ج٢ ص١٦٧، ج٣ ص٣٤٣، والترمذي في «صحيحه» ج١ ص٣٤٢، وابن ماجة

في «سننه» ج٢ ص٣٣٢، والنسائي في «سننه» ج٨ ص٣٠٠، والبيهقي في «سننه» ج٨ ص٢٩٦، والبغوي في «مصابيح السنة» ج٢ ص٦٧، والخطيب في «تاريخ بغداد» ج٣ ص٣٢٧.

كما جاء نفس المعنى مع اختلاف في اللفظ عنه ﷺ قوله: «كل مسكر حرام، وما أسكر منه الفرق (والفرق إناء يسع ١٦ رطلاً) فملء الكف منه حرام». وبلفظ آخر: «ما أسكر منه الفرق فالحسوة (الجرعة) منه حرام». وورد في «سنن أبي داود» ج٢ ص١٣٠، و«صحيح الترمذي» ج١ ص٣٤٢، و«سنن البيهقي» ج٨ ص٢٩٦، و«مصابيح البغوي» ج٢ ص٦٧، و«تاريخ الخطيب البغدادي» ج٦ ص٢٢٩، و«التاج الجامع للأصول لابن الأثير» كما في «التيسير» ج٢ ص١٧٣.

وأخرج النسائي في «سننه» ج٨ ص٣٠١ عن سعد عنه ﷺ أنه نهى عن وقليل ما أسكر كثيره. ونفس المعنى قاله السندي في «شرح سنن النسائي» حيث قال: إن ما يحصل السكر بشرب كثيره فهو حرام قليله وكثيره، وإن كان قليله غير مسكر، وبه أخذ الجمهور، وعليه الاعتماد عند علمائنا الحنفية، وقد ردّ ما قيل: إن المحرم هو الشربة المسكرة، وما كان قبلها فحلال.. وعن «الطبري» ج٢ ص١٠٤ عن قتادة: إن المسكر حرام قليله وكثيره، ما أسكر منه وما لم يسكر، ومثله ما جاء في «الدر المنثور» ج٢ ص٣١٦، وبإسناد أبي حنيفة عن رسول الله ﷺ قوله: «حرمت الخمرة لعينها القليل والكثير منها، والمسكر من كل شراب». وأيّد ذلك الخطيب في «تاريخه» ج٣ ص١٩٠، ونقل ذلك عن ابن عباس.

❊ ❊ ❊

إنّ القوم سيفتنون بعدي

قال رسول الله ﷺ: «إنّ القوم سيفتنون بعدي بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع»(١).

وعن عائشة عن رسول الله ﷺ: «ستشرب أمتي من بعدي الخمر، ويسمونها بغير اسمها، يكون عونهم على شربها أمراؤهم». كما جاء في «الإصابة» ج٣ ص٥٤٦، وجاء في «سنن البيهقي» ج٨ ص٣٠٠ و٣٠١، و«سنن النسائي» ج٨ ص٣٢٩، و«كنز العمال» ص١٠٩ ـ ١١٠ و«تيسير الوصول: ج٢ ص١٧٨، و«جامع مسانيد أبي حنيفة» ج٢ ص١٩١، أن عمر كتب الى عماله أن يرزقوا الناس الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، كما جاء في «الموطأ» ج٢ ص١٨٠ في جامع تحريم الخمر أنه أتي لعمر بطلاء ذهب ثلثاه وبقي ثلث فأدخل عمر فيه إصبعه ثم رفع يده فتبعها يتمطط فقال: هذا الطلاء هنا مثل طلاء الإبل، فأمرهم عمر أن يشربوه، فقال له عبادة بن الصامت: أحلتها والله؟ فقال عمر: كلاّ والله، اللهم إني لا أحلّ لهم شيئاً حرّمته عليهم، ولا أحرّم عليهم شيئاً أحللته لهم! فانظر الى هذا التناقض في قوله وفعله، وقد ثبت شربه لها وحدّه لمن يشربها، وثبت أنه أمر بشربها بعد كسرها بالماء، وثبت عن رسول الله أن قليل ما يسكر كثيره حرام.

وقد سئل ابن عباس عن الطلاء فقال: ما طلاؤكم هذا إذ سألتموني؟ فبيّنوا لي الذي تسألوني عنه. قالوا: هو العنب يعصر ثم يطبخ ثم يجعل في الدنان. قال:

---

(١) نهج البلاغة: ج٢ ص٦٥ (أو الصالح: ص٢٢٠).

وما الدنان؟ قالوا: الدنان أوان مقيَّرة، قالوا: نعم، قال: أيسكر؟ قالوا: إذا أكثر منه أسكر. قال: فكل مسكر حرام.

عمر يغيّر سنّة الحد

وكان حدّ شارب الخمر على عهد رسول الله أربعين ضربة وعليها سار أبو بكر، وأما عمر فأقام الحد الى أواسط أيام خلافته كزمان رسول الله وأبي بكر، وبعدها زادها الى ثمانين اجتهاداً منه.

قال ابن رشد في بداية «المجتهد» ج ٢ ص ٤٣٥: «إن أبا بكر (رض) شاور أصحاب رسول الله ﷺ: كم بلغ ضرب رسول الله ﷺ لشارب الخمر؟ فقدّروه بأربعين». وروي عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ ضرب في الخمر بنعلين أربعين، فجعل عمر مكان كل نعل سوطاً. وروي عن طريق آخر عن أبي سعيد الخدري ما هو أثبت من هذا، وهو أن رسول الله ضرب في الخمر أربعين. وروي هذا عن علي عن النبي ﷺ من طريق أثبت. وبه قال الشافعي.

وأيّد ذلك الحلبي في «سيرته» ج ٢ ص ٣١٤: أن سنة رسول الله والصدّيق (أبو بكر) أربعون، والثمانون طريقة عمر (رض) رآها اجتهاداً مع استشارته لبعض الصحابة في ذلك، لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر. وقال ابن القيّم في «زاد المعاد» ج ٢ ص ١٩٥: من تأمل الأحاديث رآها تدل على أنّ الأربعين حدّ، والأربعون الزائدة عليها تعزير. اتفق عليه الصحابة، وقد عُدّ عمر أول من أقام الحدّ في شارب الخمر الثمانين، وسار عليه عثمان على الحدين. وأخرج عمر العسكري في «أوليائه»، وابن أبي الحديد في «شرح النهج» ج٣ ص١١٣، وابن كثير في «تاريخه» ج٧ ص١٣٢، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٩٣، وعلاء

الدين السكنواري في «محاضرة الأوائل» ص١٦٩، والقرماني في «تاريخه» على هامش «الكامل» ج١ ص٢٠٣.

وقد روي عن أبي ساسان الرقاش قال: حضرت عثمان بن عفان (رض) وأتي بالوليد بن عقبة واليه، وقد شرب الخمر وصلى بالناس صلاة الصبح أربعاً. ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فرفع ذلك الى عثمان، وشهد عليه حمران بن أبان ورجل آخر، فقال عثمان لعلي (رض) أقم عليه الحد، فأمر علي (رض) عبدالله بن جعفر ذي الجناحين (رض) أن يجلده، فأخذ في جلده وعلي (رض) يعدّ حتى جلده أربعين، ثم قال له: أمسك، جلد رسول الله أربعين، وأبو بكر (رض)، وجلد عمر (رض) ثمانين، وكلٌّ سنّة، وهذا أحبّ إليّ[1].

وكلمة «كلٌّ سنّة» مردودة لمناقضتها للآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[4]. وغير ذلك من الآيات مما

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في الحد ج٢ ص٥٢، و«سنن أبي داود» ج٢ ص٢٤١، و«السنن الكبرى» للبيهقي ج٨ ص٣١٨، و«كنز العمال» ج٣ ص١٠٢، نقلاً عن الطبراني، وعبدالرزاق، وأحمد، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وابن جرير، وأبي عوانة، والطحاوي، والدارقطني، والدارمي.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨١.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

لايجوز معه تبديل حدود الله وسنّة رسوله، ومن بدّله فعليه إثمه، فكيف جاز لعمر تبديل تلك الحدود والسنن اجتهاداً؟ ومن تعرض لقبوله من أمثال القسطلاني، وإرجاعه إلى الاجتهاد ـ كما ورد في «إرشاد الساري» ج٦ ص ١٠٤، وج ٩ ص ٤٣٩ ـ فهو آثم ـ وحكمه باطل لمخالفته للنص والسنّة.

المتعة وشكاية أولاد الزنى وذويهم

ربما يظهر الحديث مبدئياً في أمر ما تافهاً مستهجناً، بيد أننا إذا خضنا في أثره ونتائجه، وتعمقنا في قصد مشرّعه انفتحت لنا آفاق تظل تتّسع وتتّسع، وإذا به يبلغ من الأهمية مبلغاً ما كنّا نتصوّره، وإذا بنتائجه في حياتنا الاجتماعية والطبيعية كبيرة بحيث يعدّ الصفح عنه جناية، ويعدّ استصغاره جهلاً مطبقاً لمن صدر منه ذلك، حتى منعه دون رعاية لعلم وتجربة تجرّياً وتحدّياً لأجلّ نظم الحياة، وتهاوناً في أجلّ مقدّساتها، القائم عليها كيانها في سعادتها وشقائها، وتقدمها وتأخرها، بل إن هذا المنع تصحبه بؤرة أنانيّة لخلق أمراض بدنيّة وعقليّة واجتماعيّة كثيرة، تحملها لأجيال وتتوارثها، وتنوء تحت نيرها النفوس بعد أن كانت نعمة تسعد بها، ورحمة تنفّس عما يتزاحم في أعماقها من الغرائز الجنسية الطبيعية، وتضطرها لسلوك مسالك تضرّ بها وبغيرها، وتحمل لأعقابها من أمر المواريث التي تبدل سعادتها شقاء، ورحمتها نقمة، أو تعود بالبشرية القهقرى من عدّة نواح أخص منها العلمية والخلقية، أو يعود الوفاق شقاقاً، والمحبة بغضاً وعداءً، من ذلك ما أتحف به الخليفة الثاني الأمة الإسلامية يوم جلس على سرير الحكم وأخذ بزمام الأمور، وسارت به العربة التي أشار إليها الرسول الكريم فأوصى بوضع زمامها بيد علي وعترته لسوقها إلى جادة الصواب والهداية، وإذا به دون رقيب ـ كما كان في

عهد رسول الله يكبته عما يبعثه فيه روح الطموح، وغريزة الأنانيّة وحبّ الجـاه، ويرى الإيمان الذي غرسه رسول الله، والإرادة التي زرعها الإسلام في النفوس قد آتت أكلها، والقوى المعنوية التي أخرجها القرآن والسـنّة النـبوية عـصفت بـهم، وتوجّه الأمة الى الجهاد والفتح، وإذا بالامبراطوريات تنهار الواحدة تلو الأخرى، وإذا الفتوح في الشرق والغرب والشمال والجـنوب، وإذا بـبلاد الله تـحت رايـة الإسلام والمسلمين وهي عطش الى من يملؤها عدلاً ومساواة وعـلماً وحكـمةً وإيماناً وإخلاصاً، وإذا بمنبع الوحي بيد من يجهل أصولها وفروعها، ومن أمر به الله ورسوله أن يُتّبع مقيّد في ركن لايحير ولايطيق أن يدفع ظالماً، أو يغيث مظلوماً، أو يصلح فاسداً، أو يدرك مستغيثاً، وإذا ببلاد الله في خبط، وإذا بعبادها في حيرة وغفلة، فكأنما الغاية من الفتح الغزو والإغارة والسلب والإهـانة، وكأن الإسـلام الذي بعثه الله رحمة للعالمين وقع نقمة على كثير من العرب وكلّ العجم من أقباط وفرس ورومان وغيرهم، وكأن المعارف والحكمة الإسلامية والمنطق السليم غير ذلك الذي عناه الإسلام، وكأن الوحدة والإخاء هما الضرب على أيدي المـتقين، وإطلاق يد الانتهازيين من الطلقاء والمنافقين، وإذا نفوس آل بيت رسول الله وأهل بيت الرحمة التي أوصى بها القرآن بقوله: ﴿قل لا أسألكم عـليه أجـراً إلاّ المـودّة في القربى﴾[١]. وقال فيها رسول الله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وأهـل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما فلن تضلّوا». وإذا عليّ الذي قال فيه: «هو مني بـمنزلة هارون من موسى»، وما نزل فيه من القرآن، وما أدلى به رسول الله عنه في خيبر وغيره، إذا بهؤلاء وقد كمت أفواههم مـحجورين مكـبلين بـعيدين عـن القـدرة والمشورة والرأي، مسلوبين الحق والنصرة، وقد حجز بينهم وبين الأمة المخذولة،

---

(١) الشورى: ٢٣.

وإذا بأعدائهم من الذين أبعدهم رسول الله وأقصاهم. والطلقاء الذين لمّا يدخل الإيمان الى قلوبهم يسيطرون على أزمّة الأمور، ويتربّصون بأقرب آل البيت وأخلص الصحابة الدوائر. وإذا بسنّة رسول الله يمنع تدوينها والتحدث بها، وإذا بالصحابة وكتّاب رسول الله ووعاة أحاديثه في كبت وحبس بالمدينة، محجورين من القول والرأي، مهددين بالإهانة والضرب، وإذا بدرّة عمر تعلو على الظالم والمظلوم، والعالم والجاهل، والقوي والضعيف، العالم يخشى إهانته والجاهل يخشى ظلامته.

ثم إذا به يتحدى بعد السنّة النصوص، وبعد أن يمنع الحديث وتدوين السنّة يدعو الصحابة الى حرق كتب العلوم في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وإذا به يعامل الناس كعهدهم في الجاهلية، فميز بين العرب والعجم في المكانة والشخصية والقسمة، ويفرق بين العرب القحطانيين والعدنانيين والصحابيين، وإذا به يتّهم ولاته ويقاسمهم ويشاطرهم أموالهم دون دليل أو برهان، فيعزل هذا ويقي ذاك ويغضب ذلك، لا على أساس علم وتقوى، فمن هو المغيرة الزاني حتى يدفع زياد ابن أبيه الى تغيير شهادته فيه، ثم حد الشهود، ونصبه على ولاية البصرة والكوفة؟ ومن هو معاوية بن أبي سفيان الوضّاع الكذّاب، قاتل الصحابة وأهل بيت العترة، الكافر، حتّى ينصبه والياً على سورية وفلسطين والأردن؟ ومن هو عمرو بن العاص الفاجر الكافر، الذي قاتل إمام زمانه وخليفة رسول الله، حتى يعينه والياً على مصر، وعلى يده أحرقت مكتبة الأسكندرية؟ وكيف جاز له أخيراً أن يرقى منبر رسول الله ويصرّح معلناً دون خوف أو حذر بأنه يحرّم متعة الحج ومتعة النساء، مع نص القرآن عليهما وممارستهما على عهد رسول الله.

هذا الصراحة وهذا الجهر بمخالفة أحكام الله وسنن رسوله، وهو يجلس

مجلس رسول الله وينطق باسم خليفة رسول الله.

ربما جاز له ذلك لو قال إني أمنع ذلك في المدينة مثلاً، أو في زمان معين، كمريض يمنعه من صيام شهر رمضان لزمن ما، ما دام يضره، دون أن يتعرض لجميع الناس وبصورة مطلقة فيقول إن الصيام كان فرضاً على عهد رسول الله وأنا أحرّمه، ويضيف لمن عمل به حدّاً قاسياً كأشدّ من يخالف حدود الله.

ترى، هل كان عالماً حقاً بأن المتعة نصّت عليها الآية: ﴿وأحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة ولاجناح عليكم في ما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً﴾[١]، وهل تراه قرأ الآية الرابعة عشرة من نفس السورة: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً وله عذاب مهين﴾[٢]؟ فإن كان على علم بهذه الآيات والآيات التالية: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٣]، و﴿فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه﴾[٤]، و﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[٥]. و﴿إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾[٦].

تراه كان يعلم كل ذلك واجتهد وخالف؟ وهل جاز له الاجتهاد في محلّ

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤.

(٣) سورة الحشر: الآية ٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨١.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٦) سورة النساء: الآية ٦١.

النص وهو يعترف أنها كانت على عهد رسول الله؟! ما هو عذره، وهو لم يبدو عذراً؟ أم أنه (والعياذ بالله) غير مؤمن بهذه الآيات كلها؟!

إنه ـ وهو من بيده الحلّ والعقد ـ رأى أن يجرب قدرته وسيطرته، وغلبت عليه غريزة الأنانية وحبّ السيطرة، وكان قد سبق له واجتهد في زمن رسول الله، كما في صلح الحديبية، وأراد تغيير رأي رسول الله وصدّه عنه، وشكّ في قول رسول الله عن فتح مكة، وأولى بشكوكه الى أبي بكر، لكن رسول الله نبهه الى خطئه، وكما اجتهد بزعمه في مرض رسول الله حين طلب الدواة والقرطاس ليكتب للأمة شيئاً لن تضل بعده، فصدهم عمر عن ذلك، وقال لابن عباس: إنما صددته لأنه أراد أن يعهد بالأمر الى عليّ كتابة!

وهذا حديث متواتر، فمن كان هذا صنعه في حياة رسول الله فهل يستبعد منه أن يخالف النصوص؟ وكيف بمقدوره ذلك وهو يعلم أن رسول الله: ﴿ما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى﴾ (١). وهنا لم يتبقّ لنا سوى وجه واحد، وهو أن عمر كان يجهل كل ذلك، لكن هذا أيضاً لانقبله لأمرين:

الأول: أنه اعترف بأن ذلك كان على عهد رسول الله، **والثاني**: أن عمر إذا كان على هذه الدرجة من الجهل بالنص فكيف جاز له أن يقعد مقعد رسول الله، وهو صحابي قد سمع من رسول الله جميع أحاديثه في كتاب الله وعترته؟ وكيف جاز له أن يجلس في مجلس رسول الله بعهدٍ من فرد واحد من المسلمين فقط، وهو أبو بكر؟! وهو القائل عن أبي بكر: «إنّ بيعته كانت فلتة!» فهي إذن بيعة باطلة.

إنّ هذه الأمور دارت ولابدّ بخلد أنصار عمر وشيعته، فحسبوا حسابهم لإخراجه من هذه المخمصة (الاجتهاد مع النصّ) وكأنهم وضعوا أنفسهم عمداً في

---

(١) سورة النجم: الآية ٣ و٤.

موضع الاتهام، بقبولهم بمخالفة نصّ القرآن الصريح دون أن يجدوا لذلك الحلّ المزعوم دليلاً منطقياً يخرجهم هم من الورطة! قالوا ـ وقد أجمعوا بشكل متواتر (إلا قلة معدودة لا يعتدّ برأيها) ـ (بل هم بمخالفتهم للجميع برهنوا عن الجهل المطبق والتعصب الأعمى) ـ إن المتعة كانت جارية في زمن رسول الله، واعترفوا بالآية المارّة الذكر، بيد أن بعضهم زعم بأنها نسخت بآية قرآنية، وقال آخرون: إنها نسخت بأحاديث نبوية، وقالت فئة أخرى بأنها نسخت بالإجماع، وفئة رابعة قالت: إن عمر ـ وهو خليفة المسلمين ـ يحقّ له الاجتهاد مثل رسول الله، فاجتهد! وسنورد في ما يلي المصادر الواحدة تلو الأخرى.

أسناد حول إثبات المتعتين

١ـ جاء في «سنن البيهقي» ج٧ ص٢٠٦، وفي «صحيح مسلم» عن أبي نضرة عن جابر (رض) قال: قلت: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة، وإن ابن عباس يأمر بها. قال: قال على يدي جرى الحديث. تمتعنا مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر (رض) فلما تولّى عمر خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ هذا الرسول، وإن القرآن هذا القرآن، وإنه كانت متعتان على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، إحداهما متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلاّ غيّبته بالحجارة، والأخرى: متعة الحج.

وعن أبي نظرة مع اختلاف في اللفظ ومع نفس المعنى، أخرجه مسلم في «صحيحه» ج١ ص٣٩٥، والبيهقي في «سننه».

٢ـ وعن جابر بن عبدالله قال: تمتعنا متعتين على عهد النبي ﷺ: الحج والنساء، فنهانا عمر فانتهينا. أخرج ذلك الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» ج٣ ص٣٥١

و٣٦٣ بطريقين: أحدهما طريق عاصم، صحيح، رجاله كلهم ثقات، والسيوطي، و«كنز العمال» ج٨ ص٢٩٣ عن الطبري.

٣ـ عن أبي نضرة، نفس المعنى مع تغيير في الألفاظ وفيه: هدّد عمر من أتاها بالرجم. أخرجه مسلم في «صحيحه» ج١ ص٤٦٧، وفي «أحكام القرآن» للجصاص ج٢ ص١٧٨، وفي «سنن البيهقي» ج٥ ص٢١، وفي «تفسير الرازي» ج٣ ص٢٦ و«كنز العمال» ج٨ ص٢٩٣، و«الدر المنثور» ج١ ص٢١٦.

٤ـ وعن قتادة عن أبي نضرة نفس المعنى الذي ذكر أعلاه مع اختلاف قليل في اللفظ عن «مسند أبي داود» الطيالسي ص٢٤٧.

٥ـ وأخرج الجاحظ في «البيان والتبيين» ج٢ ص٢٢٣، وفي «أحكام القرآن» للجصاص ج١ ص٣٤٢ و٣٤٥، وج٢ ص١٨٤، و«تفسير القرطبي» ج٢ ص٣٧٠، وفي «المبسوط» للسرخسي الحنفي في باب القرآن كتاب الحج وصححه. وفي «زاد المعاد» لابن القيم ج١ ص٤٤٤، حيث قال: ثبت عن عمر، وفي «تفسير الفخر الرازي» ج٢ ص١٦٧ وج٣ ص٢٠١ و٢٠٢، وفي «كنز العمال» ج٨ ص٢٩٣ عن كتاب أبي صالح والطحاوي وص٢٩٤ عن ابن جرير الطبري وابن عساكر، وفي «ضوء الشمس» ج٢ ص٩٤ عن عمر أنه قال في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء. وفي لفظ الجصاص: لو تقدمت فيها لرجمت.

فاستدل الخليفة العباسي (المأمون) على جواز المتعة بهذا الحديث، وهمّ بأن يحكم بها، كما في «تاريخ ابن خلكان» ج٢ ص٣٥٩ طبع إيران، واللفظ هنا: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر (رض) وأنا أنهى عنهما.

٦ـ قال الراغب في «المحاضرات» ج٢ ص٩٤: قال قيل ليحيى بن أكثم

الشيخ بالبصرة: بمن اقتديت بجواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب (رض)، قيل: كيف وعمر كان أشدّ الناس فيها؟ قال: لأن الخبر الصحيح أنه صعد المنبر فقال: إن الله ورسوله قد أحلاّ لكم متعتين، وإني محرّمهما عليكم، وأُعاقب عليهما. فقبلنا شهادته، ولم نقبل تحريمه.

٧ـ أخرج الطبري في «تاريخه» ج ٥ ص ٣٢ عن عمران بن سوارة قال: صلّيت الصبح مع عمر فقرأ «سبحان» وسورة معها ثم انصرف فقمت معه، فقال: ألك حاجة؟ قلت: لي حاجة، قال: فالحقْ. قال: فلحقت، فلما دخل أذن لي، فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء، فقلت: نصيحة، فقال: وحبّاً بالناصح غدواً وعشياً، قلت: عابت أُمتك، قال: فوضع رأس درّته في ذقنه، ووضع أسفلها على فخذه ثم قال: هات، قلت: ذكروا أنك حرّمت العمرة في أشهر الحج، ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر (رض)، وهي حلال، قال: هي حلال لو أنهم اعتمروا في أشهر الحج رأوها مجزية عن حجّهم فكانت قائبة قوب عامها فقرع حجهم، وهو بهاء في بهاء الله، وقد أصبت. قلت: وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله، نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. قال: إن رسول الله ﷺ أحلّها في زمان ضرورة ثم رجع الناس الى السعة، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها. فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق، وقد أصبت.

قال: قلت: وأعتقت الأُمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيّدها. قال: ألحقت حرمة بحرمة، وما أردت إلا الخير وأستغفر الله. قلت: ونشكو منك نهر الرعية وعنف السياق. قال: فشرع الدرة ومسحها حتى أتى على آخرها، ثم قال: أنا زميل محمد (وكان زامله في غزوة قرقرة الكور) فوالله إني لأرفع فأشبع، وأسقى فأروي، وأنهز اللفوت وأزجر العروض، وأذب قدري وأسوق خطوي، وأضم

العنود وألحق القطوف، وأكثر الزجر وأقلّ الضرب، وأشهر العصا وأدفع باليد. لولا ذلك لانحدرت. قال: فبلغ ذلك معاوية فقال: كان والله عالماً برعيته.

نعم. هذا كلام معاوية، ويحق له أن يمدح من جعله كسرى العرب، والناس على دين ملوكهم. وهل كان هذا جواب الرجل بعد أن اعترف بأنها كانت حلالاً من الله ورسوله؟ وقد نسي أن حلال الله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة، وأنه خالف الله ورسوله في حدوده في الآيات التي مرّ ذكرها.

الأسناد في صحة متعة الحج

١ـ عن مسلم في «صحيحه» ج ١ ص ٤٧٤، كما أخرجه القرطبي بنفس اللفظ في «تفسيره» ج ٢ ص ٣٦٥، عن أبي رحال عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله، وأمرنا بها رسول الله، ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول الله حتى مات. قال رجل برأيه بعد ما شاء. وأخرجها مسلم في صور عديدة أخرى بنفس المعنى مع تغيير في اللفظ.

٢ـ وجاء في «صحيح البخاري» بالمعنى نفسه، وفي صور متعددة باختلاف في الألفاظ، منها: أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله، ولم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء «صحيح البخاري» كتاب التفسير، سورة البقرة ج ٧ ص ٢٤ ط سنة ١٢٧٧. وبلفظ آخر: «صحيح البخاري» ج ٣ ص ١٥١ ط سنة ١٢٧٢. وفي بعض نسخ صحيح البخاري قال: يقال إنه عمر. قال القسطلاني في «الإرشاد»: لأنه كان ينهى عنها. كما ذكرها ابن كثير في «تفسيره» ج ١ ص ٢٣٣، عن البخاري وقال: ثبت أن عمر نهى الناس عن التمتع. ونقل نفس المعنى ابن حجر في «فتح الباري» ج ٤ ص ٣٣٩، ونقله

الإسماعيلي عن البخاري، وذكرها القرطبي والنووي في «شرح مسلم» والحميدي والقسطلاني في ج ٤ ص ١٦٩، وجاء في «السنن الكبرى» ج ٥ ص ٢٠ بلفظ الشيخين بنفس المعنى.

٣ـ كما جاء في «سنن النسائي» ج ٥ ص ١٥٥، و«مسند الامام أحمد بن حنبل» ج ٤ ص ٤٣٦، نفس معنى البخاري ومسلم، وورد في «فتح الباري» ج ٣ ص ٢٣٨. كما أخرجه النسائي أيضاً في «سننه» ج ٥ ص ١٥٣ عن أبي موسى بنفس المعنى، ومسلم في «صحيحه» ج ١ ص ٤٧٢، وابن ماجة في «سننه» ج ٢ ص ٢٢٩، وأحمد في «مسنده» ج ١ ص ٥٠، والبيهقي في «سننه» ج ٢ ص ٢٠، و«تيسير الوصول» ج ١ ص ٢٨٨، و«شرح الموطأ» للزرقاني ج ٢ ص ١٧٩. كما جاء ذلك عن مطرف عن عمران بن حصين في «صحيح مسلم» و«مسند أحمد» و«سنن ابن ماجة» و«فتح الباري».

٤ـ وفي لفظ الدارمي «أن المتعة حلال في كتاب الله لم ينه عنها النبي ولم ينزل فيها كتاب، قال رجل برأيه ما بداله». ورد في «سنن الدارمي» ج ٢ ص ٣٥ و«صحيح مسلم».

وفي «سنن النسائي» ج ٥ ص ١٤٩، و«مسند أحمد» ج ٤ ص ٤٢٨، و«صحيح مسلم» عن مطرف عن ابن حصين في مرض موته قال فيه: «إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشت فاكتم عليّ، وإن متّ فحدّث بها إن شئت، إنه قد سلم علي واعلم أن نبي الله قد جمع بين حج وعمرة، ثم لم ينزل فيها كتاب الله، ولم ينه عنها نبي الله ﷺ، قال رجل فيها برأيه ما شاء»[1].

---

(١) ترى من هذا الحديث شدّة خوف الصحابي من عمر، إذ يرجو أن يكتم الخبر في حياته، ويحدث به بعد مماته.

وعن محمد بن عبدالله بن نوفل تأييد معاوية لمتعة الحج وإنكاره على عمر[١].

وعن محمد بن عبدالله أيضاً تأييد سعد بن أبي وقاص لمتعة الحج[٢].

وأقرّ بها ابن عمر وأثبتها. فقد قال سالم: إني لجالس مع ابن عمر في المسجد إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة الى الحج، فقال ابن عمر: حسن، جميل، قال: فإن أباك كان ينهى عنها. قال: ويلك، فإن كان أبي نهى عنها وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به، أبقول أبي آخذ أم بأمر رسول الله ﷺ؟ قم عني. أخرجه القرطبي في «تفسيره» ج ٢ ص ٣٦٥ نقلاً عن الدارقطني. وعنهما أيضاً نفس المعنى في حديث آخر. أخرجه الترمذي في «صحيحه» ج ١ ص ١٥٧، و«زاد المعاد» لابن القيم ج ١ ص ١٩٤، وفي حاشية «شرح المواهب» للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٢. وعن ابن عمر نفس المعنى وبلفظ آخر، جاء في «السنن الكبرى» ج ٥ ص ٢١. وفي صورة أخرى عن ابن عمر، جاءت في «مجمع الزوائد» ج ١ ص ١٨٥، و«سنن البيهقي».

وأخرج أحمد في «مسنده» ج ١ ص ٤٩، عن أبي موسى أن عمر (رض) قال: «هي سنّة رسول الله، يعني المتعة، ولكني أخشى أن يعرّسوا بهنّ تحت الأراك

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» ج ٢ ص ٣٥.

(٢) أخرج ذلك مالك في «الموطأ» ج ١ ص ١٤٨، والشافعي في «كتاب الأم» ج ٧ ص ١٩٩، والنسائي في «سننه» ج ٥ ص ٥٢، والترمذي في «صحيحه» ج ١ ص ١٥٧، والجصاص في «أحكام القرآن» ج ١ ص ٣٣٥، والبيهقي في «سننه» ج ٥ ص ١٧، والقرطبي في «تفسيره» ج ٢ ص ٣٦٥، وابن القيم في «زاد المعاد» ج ١ ص ٨٤، و«المواهب اللدنية» للقسطلاني، و«شرح المواهب» للزرقاني ج ٨ ص ١٥٣.

ثم يروحوا بهنّ حجّاجاً»[(١)].

وأخرج أحمد في «مسنده» ج١ ص٣٣٧، وأبو عمر في «مختصر العلم» ص٢٢٦، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي ج٣ ص٥٣، وابن القيم في «زاد المعاد» ج١ ص٢١٩، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تمتّع رسول الله ﷺ. فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر

كما ورد عن ابن عباس قال لمن كان يعارضه في متعة الحج بأبي بكر وعمر: يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء. أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر. أخرجه ابن القيم في «زاد المعاد» ج١ ص ٢١٥، و«هامش شرح المواهب» ج٢ ص٣٢٨.

وعن الحسن سبط رسول الله أن عمر أراد أن ينهى عن متعة الحج فقال له أبي: ليس ذلك لك، فقد تمتعنا مع رسول الله ﷺ[(٢)(٣)].

وأخرج البخاري في «صحيحه» ج٣ ص١١٤، كتاب الحج باب فمن تمتع بالعمرة الى الحج، بحلّيّتها عن ابن عباس، كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ج١ ص٢١٧، عن البخاري ومسلم.

وأخرج منع عمر ابن القيم في «زاد المعاد» ج١ ص ٢٢٠، وأيّد ذلك ابن

---

(١) كان ذلك خفي على الله ورسوله! فانظر الى الظن الذي منع الله عنه في كتابه.

(٢) ترى من فحوى هذا أن عمر كان يعمل دائماً برأيه، ولا يهمه قول الله أو النبي أو الوصي، وإن ما مر كراراً أنه قال «لولا علي لهلك عمر» قال ذلك في موارد كانت توافق رأيه وطبعه.

(٣) أخرجه الامام أحمد في «مسنده» ج٥ ص١٤٣، وابن الهيثمي في «مجمع الزوائد: ج٣ ص٢٤٦، والسيوطي في «مجمع الجوامع» ج٣ ص٣٣، وجاء في «الدر المنثور» ج١ ص٢١٦.

حزم.

وأخرج أبو يوسف القاضي منع عمر في «كتاب الآثار» ص٩٧، رواية عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب.

وأخرج النسائي في «سننه» ج ٥ ص١٥٣ عن ابن عباس قال: سمعت عمر يقول: والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله، ولقد فعلها رسول الله ﷺ(١).

وعن سعيد بن المسيب حديث مفصل منه أن عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في أشهر الحج، وقال: فعلها مع رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنها... الخ.

أسناد متعة النساء

١ـ أخرج مسلم في «صحيحه» ج١ ص ٣٩٥، وابن الربيع في «تيسير الوصول» ج ٤ ص ٢٦٢، وابن القيم في «زاد المعاد» ج١ ص ٤٤٤، وابن حجر في «فتح الباري» ج ٩ ص ١٤١.

كما جاء في «جامع الأصول» لابن الأثير، و«كنز العمال» ج٨ ص ٢٩٤، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى ـ ثم ـ نهى عنه عمر في شأن عمرو بن أبي حريث».

٢ـ وأخرج الطبري في «تفسيره» ج ٥ ص ٩، بإسناد صحيح، والثعلبي في «تفسيره»، والرازي في «تفسيره» ج٣ ص ٢٠٠، وأبو حيان في «تفسيره» ج٣ ص٢١٨، والنيسابوري في «تفسيره»، وجاء في «الدر المنثور» بعدّة طرق، عن الحكم أنه سئل عن هذه الآية ـ آية المتعة ـ أمنسوخة؟ قال: لا. وقال علي: «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي».

---

(١) إن هذا ليؤيد أن عمر ما كان يعير النص أو السنة ما يمنعه عن مخالفتهما إذا شاء.

٣ـ وجاء في التفاسير، منها «تفسير الثعالبي» وتفسير «الرازي» ج٣ ص٢٠٠ و٢٠٢، و«أبي حيان» ج٣ ص٢١٨، و«النيسابوري» عن عمران بن حصين قال: «نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى، ولم تنزل آية بعدها تنسخها، فأمرنا بها رسول الله ﷺ، وتمتعنا مع رسول الله ﷺ، ومات ولم ينهنا عنها، قال رجل بعد برأيه ما شاء».

٤ـ عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله قالا: «تمتعنا الى نصف زمن خلافه عمر (رض) حتى نهى عمر الناس عنها في شأن عمرو بن أبي حريث»[1].

٥ـ قال ابن عباس: «أول مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير». عن «العقد الفريد» ج٢ ص١٣٩.

٦ـ أسناد أن عبدالله بن الزبير ابن متعة: أخرج أبو عمر في «العلم» ج٢ ص١٩٦، وابن القيم في «زاد المعاد» ج٢ ص٢١٩، وفي «مختصر أبي عمر» عن أيوب: قال عروة لابن عباس (حبر الأمة): ألا تتقي الله ترخّص في المتعة؟ قال ابن عباس: سل أمّك ياعريّة! فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا. فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر.

وإن إحالة ابن عباس فصل القضاء على أم عروة أسماء بنت أبي بكر إنما هي لتمتّع الزبير بها، وأنها ولدت له عبدالله.

أخرج الراغب في «المحاضرات» ج٢ ص٩٤: عيّر عبدالله بن الزبير عبدالله بن العباس بتحليله المتعة، فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك، فسألها فقالت: ما ولدتك إلاّ في المتعة.

---

(١) أخرجه العيني في «عمدة القاري» ج٨ ص٣١٠، وابن رشد في «بداية المجتهد».

كما أخرج مسلم في «صحيحه» ج ١ ص ٣٥٤، عن مسلم القرى قال: سألت ابن عباس عن متعة الحج فرخّص فيها، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فقال: هذه أم ابن الزبير تحدّث أن رسول الله ﷺ رخّص فيها، فادخلوا عليها فاسألوها. قال: فدخلت عليها فإذا امرأة ضخمة عمياء، فقالت: قد رخّص رسول الله فيها. أخرجه بهذا اللفظ عن طريقين. ثم قال: وأما عبدالرحمان ففي حديثه «المتعة» ولم يقل متعة الحج، وأما ابن جعفر فقال: قال شعبة: قال مسلم (يعني القرى): لا أدري متعة الحج أو متعة النساء. غير أن أبا داود الطيالسي أخرج في «مسنده» ص٢٢٧ عن مسلم القرى قال: دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء فقالت: فعلناها على عهد النبي ﷺ.

المستدلّون بنسخها

عزيزي القارئ، ذكرنا لك فيما مر بعض الأسناد حول المتعتين: متعة الحج ومتعة النساء، ثم الأحاديث الخاصة بمتعة الحج، وبعدها الخاصة بمتعة النساء، وسنورد في ما يلي أدلّة القائلين بنسخها، وبعدها المؤيدة لإثباتها، ونبدأ ذلك بالمجمل:

فقد اعترف الجميع من مفسرين ومحدثين ومؤرخين أن المتعة نزلت في الآية (٢٤) من سورة النساء[١]، وأنها كانت على عهد رسول الله، وبعدها اختلفوا،

---

(١) «والمحصنات من النساء (معطوفة على آية المحرمات قبلها رقم ٢٣) إلاّ ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم، وأحلّ لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة، ولا جناح عليكم في ما تراضيتم به من بعد الفريضة، إن الله كان عليماً حكيماً».

وأساس اختلافهم إنما نشأ من منع عمر (رض) لها، فمنهم:

١ـ من استند في القول بنسخها الى بعض الآيات.

٢ـ ومنهم من استند الى نسخها بإجماع الأمة.

٣ـ ومنهم من استند إلى نسخها بأحاديث وأخبار واهية.

٤ـ ومنهم من استند الى منع عمر (رض).

فأما الإمامية وأهل اليمن ومكة فقد أقرّوها بأنها حكم في كتاب الله كباقي الأحكام، ولم ينسخ بحكم آخر أبداً، وأنه كان جارياً في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر (رض) ونصفٍ من عهد عمر (رض) ثم منعها عمر بعد أن اعترف بحلّيّتها على عهد رسول الله، وكان اعترافه بحلّيّتها صريحاً، وأمره بمنعها صريحاً، دون ذكر نسخها وعلة تحريمها، وأردف لها أشدّ العقاب وهو الرجم لمجربها حتى يواري. ونحن بعد أن اعترف الجميع بحلّيّتها نبدأ بالبحث عن أسناد القائلين بمنعها، ثم نعود الى أسناد القائلين بتأييدها.

١ـ استند جماعة الى نسخ الآية (٢٤) من سورة النساء بآية المؤمنين: ﴿.. والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم... الخ... فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾[1]. حيث قالوا: ليس الرجال والنساء هنا أزواجاً، فليس لهم بمقتضى الآية إلاّ المحافظة على فروجهم حيث إن الآية تمنعهم من إباحة فروجهم كالأزواج، وقالوا: إن لم يحفظوا فروجهم ينطبق عليهم حكم «فأولئك هم العادون».

الجواب: أولاً: الاستناد الذي استند إليه هؤلاء واهٍ من أصله، وذلك لأن آية المتعة مدنية نزلت بعد آية المؤمنين التي هي مكية، ومثلها سورة ﴿سأل سائل

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥ ـ ٧.

بعذاب واقع﴾[1]. هذا وإن نقيهم صفة الزوجين عن الرجل والمرأة إنما هو كلام جزاف فارغ، لأن المتعة تنتج أبناء من الرجل والمرأة يرثونهما كما في الزواج الدائم، والفرق بين الزواج الدائم والزواج الموقت (المتعة) هو أن المرأة هنا لاترث، علماً بأن بعض علماء الإمامية كالسيد المرتضى وغيره قالوا بأنها ترث ما دامت في رباط المتعة عند وفاة زوجها.

ثانياً: استند بعضهم الى آية الإرث في قوله تعالى: **﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم... الخ»**. في حين أنه لاإرث في المتعة.

الجواب: ذكرنا أعلاه أن جملة من العلماء يقولون بأن المتمتعة ترث، على أن الإرث ليس شرطاً من شروط الزوجية، وهناك في الزواج الدائم من لاترث: تقاتلة زوجها و...

ثالثاً: قالوا بنسخ آية المتعة بآية الطلاق في قوله تعالى: **﴿والمطلقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء...﴾**. وقوله تعالى: **﴿إذا طلّقتم النساء فطلقوهنّ لعدّتهنّ..﴾**، والمتعة ليس فيها طلاق لذا فهي قد خرجت وفسخت.

الجواب: هناك زوجات لاطلاق لهنّ في الزواج الدائم كالمرتدّة، والأمة، وزوجة الملاعنة، وكل منهن تفارق دون طلاق، إضافة الى أن آية الطلاق نزلت في سياق سورة البقرة التي نزلت قبل سورة النساء، فلايمكن أن تنسخها وهي السابقة لها، ثم إن هبة المدة أو انقضاؤها يقومان مقام الطلاق.

رابعاً: قالوا بنسخها بآية تعدد الزوجات في قوله تعالى: **﴿وانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع...﴾**.

الجواب: إن آية المتعة تلت آية التعدد، فمن المضحك اعتبارها ناسخة لها.

---

(١) سورة المعارج: الآية ١.

٢ـ الذين استندوا في القول بنسخها الى أحاديث نبوية وليس إلى آيـات، ولايخفى على كل من أُعطي ذرة من العقل أن الكتاب وهـو المـصدر الأسـاس، وفوق القوانين الأساسية للأُمة، والذي حلاله حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة لايمكن أبداً نسخه.

هذا وقد منعوا في زمن أبي بكر وعمر تدوين الأحاديث، وعمر نفسه لطالما قال: عندنا كتاب الله، فما كان يتقيد بأي حديث آخر، وعلى هذا الأسـاس مـنع تدوين الحديث، وهو الذي منع جلب الدواة والقرطاس اللذين طلبهما رسول الله ليكتب للأمة شيئاً لاتضل بعده، وقال: عندنا كتاب الله. هذا وإذا كان بالإمكان أن نفتي بتغيير النصوص بالأحاديث فما قيمة النصوص إذاً؟ ولاننسى كم من آيـات وردت في عدم تغيير أو تبديل ما أنزل الله، وقد تقدم ذكر أربع آيات في ذلك فمن شاء فليعد إليها في المقدمة.

هذا وسوف نرى أن الأحاديث الواردة متضاربة ومتعددة، يناقض أحـدها الآخر دون الاستناد الى دليل متين، وإذا صحّ ذلك فلماذا لم يتّكئ عليها عمر نفسه عند منعه، ولم يستند الى آية حتى، بل قال قولاً صريحاً بأنها كانت حلالاً عـلى عهد رسول الله، وهذه شهادة تامة منه وإقرار كامل على رؤوس الأشهاد، ولكـنه أردف بأنه يحرّمها ويعاقب عليها! إن هذا نهاية الجزاف والغرور والأنانية، يعترف بحلّيّتها في زمن رسول الله ويمنعها دون أن يذكر علة تحفزه الى ذلك، أو يشير الى مصلحة موقتة أو دائمة.

وأعظم من هذا هو من نقل قوله واتّـبع سـبيله وهـو يـدّعي العـلم والفـقه والمعرفة، إلا أنه الضعف في الرأي والجرأة على الله ورسوله مما لايمكن بوجه من الوجوه ترميمه، فاعجب الى ما أقدمه لك من التضارب فـي التـحريف والوضـع

والجعل والدسّ من أيادي النفاق والفسق والكفر، ثم يريدون أن يستبدلوا به كلام الله! فاعجب من إصرارهم ونزاعهم وتضاربهم دون أن يعير الواحد أهمية لقول الآخر.

فمنهم من قال ـ كالحازمي ـ إنها أباحتها الضرورة حيناً، ثم حرمت آخر سنة حجة الوداع، ومنهم من أراد أن يستدلّ كما زيّن له هواه، فكأنه يجاري بذلك الذي حرّمها فيقول إنها لاتحتاج الى نسخ لأنها أبيحت ثلاثة أيام فحسب، وانتهت بانتهاء الأيام الثلاثة، فمن أين بدأ، ومن أين انتهى، ومن أين جاء بهذه الأيام الثلاثة والآية واضحة؟!

ومن قائل إنها أبيحت ونهي عنها في غزوة تبوك دون ان يوضح السند، ورابع يقول بعكس الأول وأنها أُبيحت في حجة الوداع ثم نهي عنها، بينما يقول الأول: إنها أبيحت للضرورة ثم حرّمت في آخر سنة حجة الوداع، ويناقض الخامس ما تقدم ويقول: إنها أُبيحت ثم نهي عنها عام الفتح، والسادس يقول بإباحتها يوم الفتح وتحريمها فيه! ومن قائل بإباحتها في عمرة القضاء وحسب. ثم يأتي النحاس ويقول: إنها زنى ولم تبح قط! فكذّب بذلك عمر الذي أقر بحليّتها، وكذّب السنّة والشيعة والمفسرين والمحدثين.

ومن قائل إنها أبيحت في صدر الإسلام وحرمت يوم خيبر، وأبيحت في غزوة أوطاس وحرمت بعدها. وآخر أباحها عام خيبر ثم أباحها عام الفتح ثم حرمها بعد ثلاث، ومنهم من قال إنها أبيحت ثلاثاً وحرّمت ثلاثاً، وآخر أباحها سبعاً وحرمها سبعاً، «صحيح مسلم» ج١ ص٣٩٤، و«شرح صحيح مسلم» للنووي على هامش «الإرشاد» ج٦ ص١٢٤ ـ ١٣٠، و«شرح الموطأ» للزرقاني ج٢ ص٢٤، و«أحكام القرآن» للجصاص ج٢ ص١٨٢.

ومنهم من قال: أُبيحت أول الإسلام ونهى عنها ﷺ يوم خيبر. راجع الصحاح الستة: «البخاري» ج٨ ص٢٣، و«صحيح مسلم» ج١ ص٣٩٧، و«سنن ابن ماجة» ج١ ص ٦٠٤، و«سنن الدارمي» ج٢ ص ١٤٠، و«صحيح الترمذي» ج١ ص٢٠٩، و«سنن النسائي» ج٦ ص١٢٦. وراجع القاضي عياض والزرقاني في «شرح الموطأ» ج٣ ص ٢٤، والسهيلي عن «الروض» ج٢ ص٢٣٨، وأبا عمر صاحب «الاستيعاب»، والزرقاني الذي حكاه عنه في «شرح المواهب» ج٢ ص٢٣٩، وفي «شرح الموطأ» ج٢ ص ٢٤، وأبي عيينة والبيهقي في «سننه» ج٧ ص٢٠١، و«زاد المعاد» ج١ ص٤٤٣، والخطيب في «تاريخ بغداد» ج١ ص١٠٢ وج٨ ص٤٧١. فيطالعك فيها تزييف وتضعيف المذاهب والمحدثين والمفسرين الواحد للآخر، أو هكذا يكون اللعب بالدين وبكتاب الله وسنّة رسوله يا رجال الدين؟! يا من تشهدون بالتوحيد والإيمان برسالة رسوله وبكتابه، وأنتم أيها الكُتّاب في القديم والحديث الداعون الى الوحدة والإخاء الذي جاء به الاسلام، ولا أُريد أن أذكر اسم واحد منهم كي لا أزيد في الطين بِلّة، ومن يراجع يجد كيف زيّفوا على الله ورسوله، فمن تصدّق منهم، ومن تكذّب؟ والله لهم بالمرصاد.

٣ـ من استند في القول بنسخها الى إجماع الأمة. وعلى هذا نورد سؤالين:

الف ـ هل يجوز نسخ النص القرآني بإجماع الأمة؟

ب ـ هل هناك حقاً إجماع من كل الأمة، واتفاق على نسخ ذلك؟

لاشك أنه لايمكن القول بنسخ النص أبداً لا من الأفراد ولا من المجموع، وإذا صح ذلك لتضعضعت النصوص ولما بقي لكتاب الله قيمة ولأصبح التلاعب على أثر ذلك غير محدود، ولتغيّرت أو زالت نصوص كثيرة، كما فعل أحد رؤساء الدول إذ منع الصيام بحجة أنه يخالف مصالح العمال، ولعُمل ذلك في الصلاة

والزكاة، وفي الأوامر والنواهي. والحق انه لايجوز بتاتاً التجاوز عن نصّ إلا بنصّ آخر، كما ورد في صوم شهر رمضان، حينما ورد النص الآخر: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر**﴾ والنصوص قوانين للأمة الإسلامية، بل هي أكثر ثباتاً من القوانين الطبيعية، فقانون الجاذبية قانون ثابت لايزول إلاّ بقانون مثله أو أقوى منه، ولولا ذلك لما أمكن تجاوز قانون الجاذبية والصعود الى السماء، أو الذهاب الى القمر، فقد تم ذلك بقانون آخر، كما في قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لاتنفذون إلاّ بسلطان**﴾[1]، والسلطان هو القانون الشامل الذي وضعه الله لذلك النفوذ، فترى أن أحكام الله في كتابه راسخات باقيات لايمكن تجاوزها إلاّ بمثلها وأقوى منها، حتى لتجد رسول الله الذي لاينطق عن هوى ﴿إن هو إلاّ وحي يوحى﴾ لايتجاوز نصاً إلاّ بنصّ، فكيف نستطيع أن نحصل على إجماع الأمة على أمر ما؟ ومتى حصل ذلك الاجماع المطلق؟ ومتى استطاع الناس أن يعرفوا مصالحهم كمعرفة الله ورسوله، وإلا لتُرك الأمر لإجماعهم؟ وهل بإمكان الأمة أن تجمع على أمر وهي تجهل أغراضه ومراميه، وأكثرهم بل كلّهم في ذلك اليوم في جهل مطبق إلا رسول الله والأوصياء، وقد دلّتنا الحوادث على ذلك في ما مرّ ذكره وما سيأتي. وهل كان عمر يعرف المصالح الطبية والأمراض الروحية والنفسية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية تنشأ عن منعه لموضوع صغير نزل به نصّ في القرآن، وسار عليه الرسول الكريم، حتى قال فيه أعلم الأمة، ووصي رسول الله، الفاروق الأعظم، والصدّيق الأكبر، علي أمير المؤمنين حينما اعترض على منع عمر، وقال كما مرّ ذكره: لولا منع عمر

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

للمتعة ما زنى إلاّ شقي. وسنفسر ذلك ونذكر ما حصل وغيره. فأي إجماع كان في الإمكان، وهل في الإمكان أن يكون إجماعاً تاماً من عقلاء القوم وحكمائهم وعلمائهم؟ هل حصل يوماً ما إجماع ما؟ وقد مرّ ذكر السقيفة وإجماع السقيفة، وكيف طعن عمر نفسه بهذا الإجماع فقال عنه: كانت فلتة وقى الله شرّها. وحتماً كان هذا نظر أبي بكر حينما لم يترك تعيين أبي بكر لإجماع وانتخاب الأمة بل عهد إليه هو نفسه بالأمر رغم مخالفة أقرب الناس إليه مثل ابن عمه طلحة، كما عمل عمر على إرجاع الخلافة نهائياً الى عثمان وبني أُمية بتقليده أعظم الولايات لمعاوية وتقويته له، ثم نصبه عثمان بصورة غير مباشرة. فأي إجماع تحقق بين الأمة سوى إجماعها على نصب عليّ للخلافة، ونكوث طلحة والزبير، وقيام بني أمية ضده، وكيف دالت الأمور على هذا الإجماع حتى أُرغمت الأمة على الوصول الى أتعس ما يمكن أن تؤول إليه. وإن نحن عدنا إلى هذا الإجماع المزيف الذي ادعوه في أمر المتعة إلا فرداً واحداً قاده هواه الى تحريمها، ثم تابعه الهمج الرعاع من جهة دون تعقل، وسايره آخرون انتهازيون رعاية لمصالحهم، وجماعة ثالثة غلب عليهم الخوف بعد تهديده بالرجم، ورابعة كانوا قلة، ولم تكن أصواتهم لتبلغ مسامع الجمهور الذي كانت تستحوذ عليه الانتصارات الصورية والفتوح الشكلية. فأين الإجماع، وكيف حصل، ومن قال به؟

لقد قال عمر كلمته تلك بمنع المتعتين، وكما ذكرنا سكتت الأمة خوف الرجم، وهو الحاكم الفظ الغليظ على حدّ قول طلحة، وجاء بعده خليفته عثمان وآل أمية الذين نصبهم قهراً على الأمة، فرعوا حقه وأشادوا به ما شاءوا، وتبعهم بنو العباس فقهروا بني أمية بني أعمامهم، ولولا خشيتهم من أن تعود دولتهم لآل النبي وبني الزهراء من أولاد علي لقلبوها رأساً على عقب، ولأظهروا الحقائق

المزيفة والأحاديث المدسوسة والموضوعة، ولساروا على خطى جدهم عبدالله ابن العباس الموالي لرسول الله وآله، بيد أن حبّ السلطة والملك جعلهم ينهجون نهج سابقيهم، وأبقوا الغصب على حاله إبقاء على ملكهم، إلا الفترة القصيرة التي أظهر فيها المأمون بعض الحقائق، وأظهر بعض الواقع، وسرعان ما عاد الى سيرته وسيرة سابقيه، وسار خلفاؤه على نهجه.

وهكذا فتسديداً لنظر عمر، وبعد عشرات بل مئات السنين قام أنصاره الذين هالهم هذا التجاوز المنكر على النص، فبحثوا عن مخرج ينزّهونه به عن هذه الأخطاء المتكررة والمتوالية كتجاوزه على النصوص القرآنية، وكقوله الصريح بأنهما «كانتا حلالاً على عهد رسول الله وأنا محرّمهما ومعاقِب عليهما». فإن سايروه في قوله وأقروا أنه خالف نص القرآن وسنة رسول الله فقد نسبوا له الكفر والفسق. وإن قالوا إنه قالها جهلاً وهو لايعرف فحواها فقد نسبوا الى خليفة رسول الله الجهل الفظيع، وبرهنوا على اغتصابه لهذا المقام الشامخ في كلا الحالتين. فلابدّ لهم بعد هذا كلّه من مخرج، وإذا بهم بدل أن ينجوه يوقعون أنفسهم الى حضيض الكفر والفسق بالكذب على الله ورسوله، فحاولوا حرف الآية عن واقعيتها، وما راعهم ما يصيبهم ويصيب غيرهم من هذا التحريف، الذين ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾، وأرادوا تضليل الأمة لتنزيه فرد واحد، وإذا بهم لايرعوون ولايعقلون، ويرسلون أقوالهم جزافاً، كل جماعة منهم تكذّب الأخرى، وكل جماعة تلتمس مخرجاً، وإذا بجميع مخارجهم مغلقة لاتنتهي إلى حلّ، وجميعها تخالف الواقع وتغاير الحقيقة ونصّ القرآن الصريح، وإذا بهم ينكرون النصّ بعد اعترافهم بالأمر الواقع في عهد الرسول، وكلّ منهم ضائع في مسلكه الضيق القصير، وأمامهم السبيل الواضح والمنهج القويم.

٤ـ واستندت فئة في تحريم المتعة إلى منع عمر، وهنا خبطوا خبط عشواء، وضلّوا أكثر من ذي قبل فأضلّ أعمالهم، وقارنوا سيد الرسل، وخاتم الأنبياء والمعصوم من الزلل الذي لم تدنّسه الجاهلية بأرجاسها، إلى عمر باعتباره صحابياً صحب رسول الله فترة بعد أن قضى أكثر حياته في الجاهلية، وعُرف كما مرّ بالعصبية الجاهلية، ومعاقرة الخمرة، والاعتراض على رسول الله في أعماله، كما مرّ في الحديبيّة، ومنعه الدواة والقرطاس عن الرسول، ومحاولته التخلف عن جيش أسامة، وتأخره في الحروب وكان أخيراً رجل السقيفة إذ حول فيها الخلافة من علي إلى أبي بكر، فحلب حلباً كان له شطره، على حدّ قول الإمام، ولم يكتف بذلك الاغتصاب لمصلحة أبي بكر ولنفسه حتى راح يمدّ يده الى النصوص القرآنية يحرفها، ويحوّل الخلافة نهائياً إلى بني أمية.

نعم، صرّح عمر أنها كانت حلالاً على عهد رسول الله، وأنه حرمها ويعاقب عليها بالرجم، ورأينا كيف أن جماعات أرادوا تخليص عمر من هذا المأزق، وهم أعوانه وأنصاره، فاعترضوا بأنها نسخت بآيات قرآنية، وقال آخرون بأنها نسخت بأحاديث، وآخرون بالإجماع، وقد أجبنا عليها جميعاً.

وهنا جاءونا بأمر جديد.. فقد أهملوا النص القرآني وقالوا: إن رسول الله اجتهد بتحليله المتعة، واجتهد عمر مثله بتحريمها! لأن زمانهما يختلفان فقد كان من مقتضيات عهد رسول الله أن يحلل المتعة، وكان من تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد عمر مايوجب عليه، وهو خليفة المسلمين، أن يحرمها، ولا بأس في ذلك، وقالوا إن الأمة استقبلت تحريمه بالرغبة والقبول، ولكونه خليفة رسول الله وأعلم الأمة وأعرفها بالمصلحة فقد استقبلوه بالطاعة.

أما الجواب على أقوالهم: تُرى، لو لم يرد فيها نص قرآني بل كانت سنّة

نبويّة، فهل يساوي أحد رسول الله بالقدسيّة والعصمة والعلم والقول الفصل؟ وهذه الآيات الكثيرة التي وردت في رسول الله دون غيره، ثم في علي بعده وحسب، فهو وحده الذي نزل فيه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[١]. وفيه وحده قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٦]. وقد نزلت في محمّد وعليّ، وقد سبق ذكر أسنادها.

تُرى، هل نزلت آية تخوّل عمر ذلك؟ وقد رأينا عمر نفسه يصرّح ويعترف بحلّيّة المتعة وأنه هو يحرمها ويعاقب عليها دون أن يستند في ذلك إلى دليل أو حق يخوله ذلك. وهل كان هناك نص في القرآن يعارض النص القائل في الصيام: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أُخر﴾[٧]. حتى يأتي عمر فيمنع ذلك بحجة اختلاف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟ وهل

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة النجم: الآية ٣ و ٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨١.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٥) سورة النساء: الآية ٦١.

(٦) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

كان العالم كله يعيش في مكة والمدينة وحسب؟ ألم تختلف الأوضاع في مختلف البلاد الإسلامية عن أوضاع المدينة؟ نعم فالأوضاع اختلفت بعد ذلك، ولكن عمر لم يخصّ ذلك بمكان أو زمان، بل قال ذلك مطلقاً دائماً. فكأنّه المشرع الأعلى، وله هو تغير النصوص والسنن.

وأما قولهم بأن أحداً لم يعترض عليه وأن الجميع لم يخالفوه فقد رأينا في مقدمة المخالفين أمير المؤمنين حقاً وصدقاً بعد رسول الله بالنص ووصيّه وخليفته، وواعي علمه وأبو ذرّيّته، الثقل الذي أوصى باتباعه رسول الله مع كتاب الله فقال: «إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا». وخالفه فيه جميع عترة الرسول وفي مقدمتهم الإمام الحسن بن علي، كما خالفه فيه حبر الأمة ابن عباس، وقد مرّت الأحاديث عنهم بأسنادها، ونذكر ممن أخذ بها أهل اليمن وأهل مكة.

وينسب جواز المتعة الى مالك في «فتاوى الفرغاني» تأليف القاضي فخر الدين حسن بن منصور الفرغاني، وفي «خزانة الروايات» في الفروع الحنفية تأليف القاضي حكن الحنفي، وفي «كتاب الكافي في الفروع الحنفية» وفي «شرح الهداية» تأليف أكمل الدين محمد بن محمود الحنفي، ويظهر من «شرح الموطأ» للزرقاني أنه أحد قولي مالك. كما أخرجه أبو عمر صاحب «الاستيعاب» في أنّ أهل مكة واليمن أصحاب ابن عباس كلهم يرون المتعة حلالاً، كما جاء في «تفسير القرطبي» ج ٥ ص١٣٣ و ٢٣٢، و«فتح الباري» ج ٩ ص ١٤٢. وقال الرازي في «تفسيره» ج٣ ص ٢٠٠ في آية المتعة: اختلفوا في أنها هل نسخت أم لا؟ وقال أبو حيان في «تفسيره» بعد نقل حديث إباحتها: «وعلى هذا جماعة من أهل البيت والتابعين».

وقال فخر الدين أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي في «تبيان الحقايق شرح كنز الدقائق»: قال مالك هو نكاح المتعة ـ جائز لأنه كان مشروعاً، فيبقى إلى أن يظهر ناسخه.

القائلون بحلّيّتها من مشاهير الصحابة

قال ابن عباس بحلّيّتها، وتبعه على ذلك أكثر أصحابه من أهل اليمن ومكة، وكان يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ﴾[(١)].

وهاك جماعة من مشاهير الصحابة والتابعين القائلين بحلّيّتها:

١ـ عبدالله بن مسعود، وكان يقرأ الآية هكذا: فما استمتعتم به منهن الى أجل وقرأ ذلك أيضاً مثله جماعة، وعدّه ابن حزم في «المحلى» والزرقاني في «شرح الموطأ» من الذين ثبتوا على إباحتها. وأخرج الحفّاظ عنه أنه قال: كنا نغزو مع رسول الله وليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ورخّص لنا أن ننكح بالثوب الى أجل، ثم قال: ﴿لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم﴾[(٢)]. أخرجه «البخاري» ج٨ ص٧ و«مسلم» ج١ ص٣٥٤، وأبو حاتم البشتي والبيهقي ج٧ ص٢٠٠، والقرطبي في «تفسيره» ج٥ ص١٣٠، وابن كثير في «تفسيره» ج٢ ص٨٧، و«الدر المنثور» ج٢ ص٣٠٧ عن تسعة حفاظ، وقال الجصاص بعد الحديث: إن الآية من تلاوة النبي عند إباحة المتعة وهو قوله:

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٧.

﴿لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ لكم﴾[1].

٢ـ جابر بن عبدالله الأنصاري، وقد مرّ ذكره، وقد ثبت على حلّيّتها.

٣ـ عمران بن الحصين، وقد مرّ ذكره.

٤ـ عبدالله بن عمر، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» ص ٩٥.

٥ـ معاوية بن أبي سفيان، ذكره ابن حزم في «المحلى» والزرقاني في «شرح الموطأ».

٦ـ أبو سعيد الخدري، ذكره ابن حزم في «المحلى» والزرقاني في «شرح الموطأ».

٧ـ معبد بن أمية، ذكره ابن حزم في «المحلى» والزرقاني في «شرح الموطأ».

٨ـ سلمة بن أمية بن خلف، ذكره ابن حزم في «المحلى» والزرقاني في «شرح الموطأ».

٩ـ الزبير بن العوام، وقد مرّ ذكره.

١٠ـ خالد بن مهاجر بن خالد المخزومي، أخرجه مسلم في «صحيحه» ج ١ ص ٣٩٦، و«سنن البيهقي» ج ٧ ص ٢٠٥.

١١ـ سعيد بن جبير، راجع المحلى لابن حزم، وقيل إنه من التابعين.

١٢ـ عمر بن حريث، جاء في «كنز العمال» ج ٨ ص ٢٩٣، وقد أخرجه الطبري عن سعيد بن المسيب، وقد ولد له من المتعة في زمن أبي بكر وعمر.

١٣ـ ربيعة بن أمية.

١٤ـ أبي بن كعب.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٧.

١٥ـ سمرة بن جندب، جاء في «الإصابة» ج ٢ ص ٨١، قال: كنا نتمتع على عهد رسول الله ﷺ.

١٦ـ زفر بن أوس المولى، جاء في «البحر الرائق» لابن نجيم ج ٣ ص ١١٥، وذكره ابن حزم في «المحلى».

١٧ـ طاوس اليماني، وهو من التابعين، وعدّه ابن حزم من الثابتين على المتعة.

١٨ـ عطاء أبو محمد المولى، وعده ابن حزم من الثابتين على المتعة.

١٩ـ مجاهد.

٢٠ـ السدي. جاء في «تفسيره».

٢١ـ الحكم. راجع «كتاب المتعة» للدكتور محسن شفائي ص١٠٨.

٢٢ـ عبدالله بن منصور، «كتاب المتعة» للدكتور محسن شفائي ص١٠٨.

* * *

المؤيّدون لبقاء حلّيّة المتعة

يستند المؤيّدون لبقاء حلّيّة المتعة إلى الآية الرابعة والعشرين من سورة النساء، والتي تلت الآية الثالثة والعشرين، والتي جاء فيها ما حرّمه الله على المؤمنين.

ونصّ الآية الرابعة والعشرين: **﴿والمحصنات من النساء إلّا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم﴾**

﴿وأحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾

﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة، ولا جناح عليكم في ما تراضيتم به من بعد الفريضة، إنّ الله كان عليماً حكيما﴾

وهكذا ترى أنّ الآية تنقسم إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأوّل يتبع الآية التي قبلها، والقسم الثاني هو الحدّ الفاصل الذي يحلّل ما وراء المحرّم، والقسم الثالث وفيه التصريح بعقد المتعة، ونجد عبدالله بن مسعود يقرأ الآية هكذا: **﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل﴾** وكذلك قرأها ابن عباس وأبيّ بن كعب وسعيد بن جبير، وقد أيّد ذلك صاحب «مجمع البيان». هذا وقد نقل الثعلبي في «تفسيره» عن حبيب بن أبي ثابت أن ابن عباس قرأها كما مرّ: **﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل﴾**. وقال أبو نضرة: إنّي سألت ابن عباس عن المتعة فقال: ألم تقرأ الآية: **﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّىً﴾**؟ قلت: لم أقرأها هكذا، فأقسم بأنّ الله أنزلها هكذا ثلاث مرّات. وقرأها سعيد بن جبير مثل ابن عباس **﴿إلى أجل مسمّىً﴾**

وقال: سألت شعبة بن الحكم عنها هل إنّها منسوخة؟ فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «لولا نهي عمر عن المتعة لما زنىٰ إلّا شقي»، وأيّد ذلك عمران بن حصين أنّها نزلت في المتعة، وأنّها لم تنسخ حتىٰ وفاة رسول الله، ولم ينهنا عنها، بيد أنّ عمر نهانا عنها، كما ورد في «صحيح مسلم» عن حسن الحلواني عن عبدالرزاق عن ابن جزء عن عطا الحراني أنّهم رووا أنّهم كانوا عند جابر بن عبدالله، وهو من معمّري الصحابة، وذكرنا عنده المتعة فقال: قد كنّا نستفيد من المتعة في زمن رسول الله وزمن أبي بكر وقسم من عهد عمر.

يقول صاحب «مجمع البيان»: إنّ المتعة غير العقد الدائم باعتبار أنّه متىٰ جرى العقد وجب الأجر الكامل، وبخلافه العقد الدائم، فالتي يعقد عليها ولم يدخل بها فلها نصف المهر. ويزيد «مجمع البيان» أنّ عمر نفسه الذي حرّمها قد أقرّ واعترف بأنّها كانت حلالاً على عهد رسول الله.

هذا وإنّ الإمام الرازي في «تفسيره» ذكر أنّ ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وجمعاً آخر من الصحابة قبل تحريم عمر، كانوا يقرأون الآية: (إلى أجل مسمّىٰ) بيد أنّهم بعد تحريم عمر أيّدوا قوله وتمسّكوا به.

وقد أيّد جمع من العلماء أنّ ذكر الأجرة في هذه الآية إنّما هو دليل على المدّة، وهو النكاح الموقّت، ويؤيّد ذلك أنّ ذكر هذه الآية إنّما ورد بعد ذكر النكاح الدائم ونكاح ملك اليمين، وأنّه استثناء على المحرّمات المارّة الذكر في الآية ٢٣ وما قبلها. وأيّد ذلك بأنّها غير النكاح الدائم بتخصيصه على دفع الأجرة كاملة. وربّ قائل يقول: إنّما هو تكرار للعقد الدائم، والقول في هذا يخالف فصاحة وبلاغة القرآن بتكرار الشيء من دون حاجة، وهذا لغو، واللغو لا يجوز افتراضه في القرآن.

وقد مرّ ذكر المخالفين وأدلّتهم، بيد أنّ القائلين بالمتعة يؤيّدون قولهم بأنّ الجميع يقرّون بوجود المتعة، وبعدها يقولون بنسخها، وقد اختلفوا كما مرّ بأدلّتهم وجميعها ضعيف يخالف النصوص والسنّة، أخصّ منها إقرار عمر واعترافه وشهادته بحلّيّتها في زمن رسول الله، وتحريمه لها دون ذكر سبب أو علّة أو دليل. وبعد أنّ ثبت وجودها وحلّيّتها في زمن رسول الله فهي باقية بسبب الاستصحاب حتىٰ إقامة دليل مثل نصّ القرآن الماضي، ولم يحصل ذلك.

أخرجه أئمّة السنّة وحفّاظ القرآن ومفسّروه

وإنّ اعتُرض على النصّ القرآني وقيل إنّما جاء به الشيعة فهذا جهل صرف من قائله، فقد أخرجه أئمّة السنّة وحفّاظ القرآن ومفسّروه، لذا فإنّنا نشير فيما يلي إلى فريق منهم:

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» ج ٤ ص٤٣٦ بأسانيد موثوقة عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالىٰ، وعملنا بها مع رسول الله ﷺ فلم تنزل آية تنسخها.

كما أخرجها غير واحد من المفسّرين وقد مرّ ذكر بعضهم.

وأخرج أبو جعفر الطبري المتوفّىٰ سنة ٢١٠ هجرية في «تفسيره» ج ٥ ص ٩، عن أبي نضرة، عن ابن عباس الذي قال بآية المتعة وقرأها: ﴿**فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّىٰ**﴾ كما أخرج عن قتادة ما قرأه أبي بن كعب أيضاً: ﴿**فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّىٰ**﴾.

كما أخرج بأسناد موثوقة عن شعبة عن الحكم عن الآية وهل هي منسوخة؟ فأجاب: لا. كما روى عن عمر بن مرّة أنّه سمع سعيد بن جبير يقرأ:

﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّىٰ﴾. وعن أبي ثابت: إنّ ابن عباس أعطاني مصحفاً فيه: ﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّىٰ﴾. وأيّد وجود (الأجل المسمّىٰ) في آية المتعة:

١ـ الحافظ أبو بكر البيهقي في «سننه الكبرىٰ» ج٧ ص ٢٠٥.

٢ـ الحافظ أبو محمّد البغوي في «تفسير هامش تفسير الخازن» ج١ ص٤٢٣.

٣ـ جار الله الزمخشري في «الكشّاف» ج١ ص٣٦٠.

٤ـ في «تفسير القرطبي» ج ٥ ص ١٣٠.

٥ـ أبو بكر الأندلسي في «أحكام القرآن» ج١ ص ١٦٢.

ونعود للقرطبي في «تفسيره» ج٥ ص ٣٥، في قوله: ﴿ولا جناح عليكم في ما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ قال القائلون بأنّ الآية في المتعة، وهي إشارة إلى ما تراضينا عليه من زيادة في مدّ المتعة في أوّل الإسلام، فإنّه كان يتزوّج المرأة شهراً على دينار مثلاً، فإذا انقضى الشهر فربّما كان يقول: زيدني في الأجل أزدك في المهر. بيّن أنّ ذلك كان جائزاً عند التراضي.

٦ـ ابن رشد في بداية «المجتهد» ج ٢ ص ٥٨.

٧ـ فخر الدين الرازي في «تفسيره الكبير» ج٣ ص ٢٠٠ و ٢٠١.

٨ـ علاء الدين البغدادي في «تفسير الخازن» ج١ ص ٢٥٧.

٩ـ ابن الجزري في «تفسير التسهيل» ١ ص ١٣٧.

١٠ـ محمد بن يوسف الأندلسي المعروف بابن حبان في «تفسيره» ج٣ ص٢١٨.

١١ـ ابن كثير الدمشقي في «تفسيره» ج٢ ص ٤٧٤.

١٢ـ السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٢ ص ١٤٠.

وقد أخرجها من طرق عديدة، ومنهم أخرجها عن عبدالرزّاق وأبي داود في «ناسخه» وابن جرير عن الحكم أنّه سئل عن هذه الآية أمنسوخة هي؟ قال لا.

١٣ـ القاضي الشوكاني في «تفسيره» ج ١ ص ٤١٤.

١٤ـ أبو السعود العمادي الحنفي في «تفسيره» على هامش تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٥١.

١٥ ـ «تفسير الآلوسي»، البغدادي ج ٥ ص ٥.

وقد مرّ بنا ذكر الصحاح ومنهم: البخاري، ومسلم، وأحمد، والطبري، ومحمد بن كعب، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن صريح، والجصّاص، وابن الأنباري، وفخر الرازي، والنووي، والبيضاوي، والخازن، وأبو السعود، والشوكاني وغيرهم.

١٦ـ وراجع أخيراً القوشجي في «شرح التجريد» في مبحث الإمامة قال: قال عمر وهو على المنبر: أيّها الناس، ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنّ وأحرّمهنّ وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحج، وحيّ على خير العمل.

١٧ـ وراجع ما تحدّث عنه ابن القيّم في «زاد المعاد» ج ١ ص ٤٤٤.

١٨ـ وقال صاحب المستدرك في «مستدركه» ص ٥٨٨: أنّ أخت عمر تمتّعت وحملت وأولدت، فتأثّر ومنعها.

١٩ـ وقد أحلّها أهل البيت جميعاً وعلى رأسهم إمام المتّقين، ووصي وأخو رسول الله، وباب علمه، ومن هو منه مقام هارون من موسىٰ، وعترته عدول القرآن أهل العصمة والطهارة.

❁ ❁ ❁

ما هو زواج المتعة؟

ويحقّ لنا أن نتساءل: ما هي المتعة، وما فائدتها؟

الجواب: الزواج إما دائم أو موقّت، فالزواج الدائم: هو عبارة عن عقد يقع بين الرجل والمرأة ـ من إيجاب المرأة، وقبول الرجل ـ بالزواج لقاء مهر معيّن، دون ذكره مدّة.

والزواج الموقّت: هو وقوع العقد بين الرجل والمرأة، من إيجاب وقبول كالأوّل، بشرط تعيين المدّة. وهذه المدّة قد تمتد من أقلّ من يوم إلى أكثر من سنة، حتىٰ ليمكن امتدادها حتى مائة سنة وأكثر. والفرق بين الإثنين يتأتّىٰ في البدء من عدم تعيين المدّة في الدائم، وتعيينها في الموقّت (المتعة). أما أهمّ آثاره في الدائم: فالطلاق ولزوم العدّة لدى المفارقة، والوراثة بين الرجل والمرأة ما داما في قيد الزوجيّة، وثبوت النسل وتوارثهم.

وأمّا في الموقت فيقوم الفراق بهبة بقيّة المدّة من قبل الرجل للمرأة، والتوارث بين الزوجين، على حدّ قول السيد المرتضىٰ والبعض الآخر، وعدم التوارث عند الآخرين، مع ثبوت النسل وتوارثهم. فالفرق المهمّ إذاً بين العقد الدائم والموقّت في المرحلة الأولىٰ إنّما هو تعيين المدّة حين العقد، وسهولة إجرائه، ومدّة العدّة عند الحمل في الزواجين وضع الحمل، وبغيره أربعة قروء في العقد الدائم و ٤٥ يوماً أو حيضتين في الموقت. والأولاد للآباء في كليهما، ولا يفرّقون في العقدين.

وللعقد الموقت كالدائم أربعة أركان: العقد، والحلّ، والمهر، وتضاف المدّة.

وبتعيين المدّة تزول مشاكل الطلاق، وتسهل الفرقة بهبة بقيّة المدّة أو

تمديدها عند التراضي.

وللمتعة كما للزواج الدائم شروط:

١ـ شرط المهر والمدّة الصحيحة.

٢ـ شروط ضمن العقد جائزة.

٣ـ البلوغ والرشد في الرجل والمرأة.

٤ـ جواز العزل.

٥ـ ليس فيها طلاق، وتقوم هبة المدّة المتبقية مقامه.

٦ـ ليس في المتعة لعان ولا إيلاء.

٧ـ على حدّ بعض الأقوال ليس فيها بين الزوجين توارث (ووجوده على قول).

٨ـ العدّة حيضتين عند الدخول، والوضع عند الحمل.

ولم تكن المتعة كما أدعى البعض كذباً ـ دوريّة، مع ملاحظة الشروط المتقدّمة، وهي تمتاز بخفّتها على الرجل والمرأة، وأمّا من حيث التوالد فالنسل كالدائم ـ ثابت للإثنين، وبعهدة الرجل النفقة كالدايم، ويتوارثان، وهكذا فهي تجمع محاسن الزواج الدائم من اللّذة الجنسية ممن أرادها، والتناسل لمن رغب فيه، وهي تسهّل على المرء كثيراً من العناء الجنسي لبساطتها، وعلى الأخصّ إذا كان أعزب فلا يستطيع من ناحية مالية على إقامة حياة زوجية دائمة. أو لسبب من الأسباب الأخرىٰ كالسفر الطويل، وعدم المكان استصحاب زوجته معه، وإنّ الزواج الدائم والموقت (المتعة) إنّما وضعا لحلّ مشاكل الحياة الجنسية وتسهيل أفتراق الزوجين.

والزواج الموقت يدفع عن المرأة مساوئ الحياة الجنسية الحرّة. بوقاية البشر من وضع بنين يولدون دون عقد على قارعة الطريق، وهم يعلمون أنّهم أبناؤهم تخلّصاً من أعباء اجتماعية وقانونية واقتصادية، وينشأ هؤلاء الأبناء وهم

لا يعلمون شيئاً عن آبائهم.

والمتعة هي من الأسباب المهمّة لتقليل عدد الزوجات عند من يجيز التعدّد، وتقليل التماس الجنس الحرّ والخليلات غير الشرعيّات وأولاد الزنىٰ، وبه تقلّ الأمراض الجنسية النفسية والعصبية والعقلية والتناسلية. وعندما نتصفّح كتب العلوم النفسية، ونعود إلى ما كتبه العلّامة فرويد عن أثر الغيرة الجنسية في البشر، وكيف وصفها وعظيم أثرها في جميع شؤون حياته، فلم يترك موهبة أو منقصة فيها إلّا نسبها إلى هذه الغريزة،، ولم يستثن شيئاً من ذلك حتىٰ قال: إنّ كلّ ما يحمله البشر وما يؤول إليه في حياته من سموّ وهبوط، وفضيلة ورذيلة، وتقدّم وتأخّر في جميع مناحي حياته إلّا وللغريزة الجنسية الأثر مائة بالمائة، وجاء العلماء بعدها، سيّان منهم تلامذته أو غيرهم ونسبوا خمسين في المائة منها للغريزة الجنسية، والباقي لبقيّة الغرائز. ونحن، حتىٰ لو أخذنا بقول الآخرين الذين أنقصوا من أهميّة هذه الغريزة الجنسية وقالوا بتأثيرها خمسين في المائة في حياة البشر، لوجدنا أنّ لها القدح المعلّىٰ في تسيير المرء وسعادته وشقائه إلى درجة تحتّم علينا أن نعدّ لها القوّة لتوجيهها التوجيه الحسن، وإعطائها المكانة اللائقة بها من الاعتناء والدقّة. لا سيّما إذا طالعنا ما يورثه الإفراط في استعمال الغريزة الجنسية من أمراض النورستانيا، أي الأمراض العصبية، وبالعكس ما تسبّبه الغريزة من الإحجام من الأمراض الروحية، من أنواع الهستيريا حتىٰ تبلغ درجة الجنون، وتأثير ذلك على صحّة وسلامة العقل والبدن الإنساني في حياته الإجتماعية والطبيعية، وسلوكه وسيرته وهنائه وشقائه. هذا من جهة، ومن جهات أخرىٰ ما ينشأ من التعرّض للحياة الجنسية الحرّة من شتّى الأمراض التناسلية المدمّرة للفرد والعائلة من التماس الجنسي الحرّ الغير المنظّم، غير ما يحصل عليه

من الإفراط من أمراض المقاربة كالسفلس والسيلان والقرحة اللبينة، آلامها وآثارها على الفرد وعلى المجتمع وعلى النسل، ومدىٰ أضرارها الجسمية والعقلية والوراثية، وما يعقب ذلك، هذا إذا أصيب بها، وحتىٰ إذا لم يصب بها المرء، وتسبب بهذه المقاربة والتماس الجنس الحمل، وما يورثه للمرأة وهي تريد أن تتخلّص منه لتخليص شرفها من الدنس، ومن تعدّد الإجهاض، وقيامها بأعمال منكرة من قبيل قتل الجنين وإسقاطه، وإفاضة دمها التي قد تؤول إلى موتها. أمّا إذا ما وضعته فكيف تتخلّص منه؟ أتقتله أم ترميه في الطريق وهي أمّه وذاك أبوه؟ وما يحصل من ذلك من العذاب الوجداني والصدمات النفسية التي تكتنفها.

هذا في بلاد الغرب، أمّا إذا عدنا إلى بلاد الشرق، والبلاد العربية على الخصوص، وما يقع للأفراد من المخازي والمضاعفات من قتل وهتك، فلطالما تسبب هذا التقارب الجنسي في قتل الرجل والمرأة، ووقوع الخصومات والمشاحنات، وهتك الأفراد وتلطيخ شرف العائلة بأرذل العار والشنار، وإنّ أنس فلا أنس مصيبة بشرية تقشعرّ منها الأبدان، وهي أنّ شاباً تزوّج من ابنة إحدى العائلات وهو مصاب بداء السيلان الذي تلقّاه من ممارسة السفاح، وعجز عن شفائه، فتصاب الزوجة المسكينة به منذ اللحظة الأولىٰ وهي بكر، ويبلغ الداء أشدّه، وإذا بالزوج، وتخلّصاً من اللوم، يتّهمها هي بذلك الداء، حتىٰ انتهىٰ الأمر إلى قتلها، وهي معصومة أتاها عن طريق زوجها الذي أصيب به من التقارب الجنسي الحرّ.

وأعرف عائلة من أب وأم وأربعة أولاد، من الطبقة الراقية، جاءني الأب يشكو إليّ أمراً يكاد يجنّ منه، وهو أنّه على سبيل المصادفة اضطرّ إلى تحليل دمه، وإذا به مصاب بالسفلس، ولأنّه يعرف خطورة هذا الداء العضال وسرعة

انتقاله إلى الغير حلّل دم زوجته وأولاده فإذا هم جميعهم مصابون بنفس الداء، الذي انتقل إليه أساساً من التقارب الجنسي الحر.

وما أكثر هذه الكوارث والصدمات التي لا تعدّ ولا تحصىٰ، والتي يسبّبها التقارب الجنسي الحرّ، الذي يلتجئ إليه الأفراد أحياناً لتفاقم الغريزة الجنسية لديهم، فيسبّب ما يسبّب.

وأعرف عائلة اتّصل رجلها بإمرأة من عائلة أخرىٰ، حتىٰ إذا حملت وعجزت عن إسقاط حملها جاءها الطلق فزعمت أنّها مصابة بمرض، ولجأت إلى أهل الرجل الذي جنىٰ عليها، حتىٰ إذا وضعت قتلت وليدها في الحال بوضعه تحتها، وهو جنينها وفلذة كبدها، والرجل متزوّج له زوجة وأطفال. فلو كانت المتعة حلالاً، هل ترىٰ قتل الطفل، وهل قاست المرأة والرجل هذه المصائب؟ فعلىٰ من تقع تبعة هذه الأعمال؟

سلام الله عليك يا أبا الحسن وأنت القائل: لولا نهي عمر ما زنىٰ إلّا شقي. ما الذي حدا بك يا بن الخطاب إلى منع ما أحلّ الله ورسوله؟ وماذا تقول لرسول الله يوم تقف أمامه عند موقف العدل الإلٰهي، والأطفال وآباؤهم رافعون أكفّ الابتهال والدعاء لهذه المظلمة، والعوائل المسلوبة الحرمة المهتوكة قائلين: إلٰهنا ما ذنبنا كي نقتل في بطون أمّهاتنا؟ وآخرون يقولون: إلٰهنا ما ذنبنا كي نقتل أحياء ساعة ولادتنا؟ وآخرون يقولون: إلٰهنا ما ذنبنا كي نحرم من حنان الأمومة والأبوّة؟ وآباء وأمّهات يقولون: إلٰهنا وسيّدنا، خذ بحقّنا ممّن حرمنا من حلالك حتىٰ قهرتنا الغريزة فاستجبنا إلى الحرام وتركنا فلذات أكبادنا خوف الخزي والعار والنكاية على قارعة الطريق، وقلوبنا تتفطّر جزعاً: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد

وجئتنا بك على هؤلاء شهيداً﴾[(١)]؟ ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث في كلّ أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾[(٣)].

فما عساك رجوت يا بن الخطاب وأنت تعلن على الملأ مزمجراً معربداً بفظاظتك وغلظتك التي عرّفك بها طلحة إلى أبي بكر، وأنت تنذر القوم بقولك: متعتان كانتا حلالاً على عهد رسول الله ﷺ وأنا محرّمهما ومعاقِب عليهما؟ إذا قال لك ﷺ: ألم ينهك أقرب الصحابة وأعلمهم وأحقّهم بالأمر وفي مقدّمتهم، أميرك ومولاك الذي نصّبته عليك وعلى المسلمين كافّة علماً وإماماً ومولى وقدوة، لا يكرهه إلّا منافق، ولا يخاصمه في حقّه إلّا فاسق وكافر، ومنعك القريب والبعيد، فما حدا بك إلى تحريم حلال الله ووضع العقاب الصارم على من استحلّه؟ ألم تعلم أنّ من عمل ذلك فقد كفر وفسق؟ وأيّ استبداد تسلّطت به على المسلمين حتى حبستهم ومنعتهم عن حدود الله وسنّة رسوله، وهدّدتهم بالعقاب الصارم، وأنت لا تنفكّ تجتهد وتفتي خلاف حدود الله ونصوص كتابه، وأنت تعلم أنّ هناك من هو أعلم وأقدر منك على إدارة الأمور، وعلى القضاء والفتوى، باعترافك، ألم تعترف مراراً بأخطائك أمام الناس، وتعترف لعليّ بالفضل؟ ألم تقل مراراً: لولا عليّ لهلك عمر؟

ألم أقل لكم؟ أقضاكم علي؟ ألست القائل: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ألست في مرض موتي حلت دوني وإحضار كتف ودواة، وقلت: إنّ الرجل ليهجر، عندنا

---

(١) سورة النساء: الآية ٤.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

كتاب الله؟! أفحقّاً قلت ذلك مولعاً بكتاب الله؟ فما الذي حدا بك إذاً إلى مخالفة القرآن وأنت تعلم أن قد نزلت آية خاصّة بالمتعة ولا يجوز منعها، وأقررت بحليّتها على عهدي؟ ألم تعلم يابن الخطاب أنّني لا آمركم بشيء إلّا بما أمرني به الله، ولا أنهاكم إلّا عمّا نهاني الله؟ ألم تقرأ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟ أولا يليق بمن صحبني أن يرعىٰ حدود الله وسنّتي ولا يجوز مخالفة نصّ من كلام الله قطّ؟

ترىٰ أيّ ضرر أصابك من المتعة حتىٰ منعتها وقد جعلها الله رحمة للرجال وللنساء، دفعاً للسفاح والزنىٰ، وشفاء لأمراض الأرواح والنفوس القلقة، وردعاً لثورات الغريزة الجامحة، وتسكيناً للنفوس المضطربة تجاه الشهوات؟

أشهد أنّها كانت نفعاً صرفاً، وباستعمالها يمنع الزنىٰ منعاً باتّاً، ويقضى بها على كثير من الأمراض النفسية، وما ينشأ عنها من أمراض بدنية، وتقرّ بها النفوس المضطربة، وتسكن الخواطر المتهيّجة، وهي قانون طبيعي منظّم، إن استعمله المسلمون حقّ استعماله تخلّصوا من خطر الأمراض التناسلية، وهو بالعدّة التي تمتد خمسة وأربعين يوماً يمنع اختلاط المياه، وفيها يظهر أيّ مرض جنسي، وتبرز فيا أي عوارض.

ولقد جعلت حدّاً فاصلاً بين المتعة والزنىٰ، كالمهر والمدّة والعدّة والإرث وغيرها، وهي لا تختلف أبداً عن حدود الزواج إلّا بالأجل لا غير.

أما كان يليق بك وأنت صحابي صاحبتني في أحرج الأيّام، ولكم جرّبت اجتهادك معي في تلك الآراء، منها اعتراضك يوم الحديبية على قرار المصالحة مع المشركين، وشكوكك في أقوالي عن فتح مكّة حتىٰ نهرك أبو بكر وقال لك: إنّ عملك مخالف للإيمان، وأقنعتك بسؤالي إيّاك: إن كنت قد حدّدت موعداً لفتح مكّة

وانقضىٰ هذا الموعد؟ فقلت: كلا، فأجبتك: سوف نفتحها.

ولا يقلّ عنك أولئك الذين ادّعوا الإسلام وهم يتابعون خطأك ويستندون إلى أقوالك، مع علمهم ويقينهم بأنّ المتعة شريعة الله وسنّة نبيّه، عمل بها الصحابة في حياتي وحياة أبي بكر، ورغم كلّ ذلك فهم يجتنبون اليقين، وهذا كتاب الله يقول بها، وعترتي يقولون بها، وهذا عليّ وصيّي يأمر بها، وهؤلاء الأئمّة الأطهار من عترتي يأمرون بها. ورغم كلّ ذلك تعارضون حججهم الراسخة بأقوالكم المتناقضة، وأدلّتكم الواهية، تريدون بذلك الافتراء على الله ورسوله، وتعلمون أنّ ﴿الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[1].

وتحرّمون طيّبات ما أحلّ الله لكم على أنفسكم وعلى الأمّة، وإليك قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم﴾[2]. ولقد ضللتم إذاً بتبديلكم ما قضىٰ به الله ورسوله، إذ قال عزّ من قائل: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[3].

إذا رجعنا مرّة ثانية إلى آراء الفلاسفة والحكماء، غير فرويد وجماعته، في الحياة الجنسية، قديماً وحديثاً ربّما أدركنا أهميّة المتعة التي سنّها الإسلام، وعظّم خطيئة من حرّمها.

فقديماً نرىٰ أفلاطون يسنّ في جمهوريّته أمرين جعلهما أساساً قوياً لإدامة حياة الحكماء والفلاسفة، وهم الطبقة الراقية التي يعهد إليها بإدارة دفّة الحكم

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

والعدالة في شؤون الدولة، وبهذا وحده أراد تهدئة خواطرهم وضمن حسن سلوكهم ودقّة تفكيرهم، وإنقاذهم من الفوضىٰ الاجتماعية، ونشر بينهم الألفة لينكبّوا على أمور الدولة دون أن يعكّر عليهم صفو أفكارهم أمران حيويّان: الناحية الجنسية والناحية الاقتصادية، فترك فيهم شيوعيّة النساء وشيوعيّة الأموال دون أن يخصّهم بواحدة فحسب، ودون أن يفرض لهم أموالاً يقتنونها، فهم أحرار في نسائهم، ولهم حقّ صرف ما يحتاجون إليه من المال قدر كفايتهم، ومن هذا نستنتج أنّ أفلاطون اعتبر أنّ الرجل إنّما يعكّر صفو حياته شيئان: الناحية الجنسية، والناحية المالية. فإذا وقاه شرّهما فقد وفّر له الحياة الهادئة السليمة، والجسم والعقل السليمين الضروريّين لإدارة دفّة الحكم.

وإذا عدنا إلى ما يسمّىٰ بالشعوب الراقية لوجدنا الحياة الجنسية تلعب دورها المهمّ بين وحوش البشر ومثقّفيهم، فالغريزة الجنسية إذا ثارت في الإنسان تفقده أجلّ مقدّساته وهو العقل، وتستخدمه في مآربها وضروريّاتها، فالفجائع والمظالم التي تقع في أوروبا، وما يقاسيه الأفراد والجماعات من انحرافات العمل الجنسي الحرّ، وما يقود إليه من أمراض وتدهور وانحطاط أخلاقي ووجداني، وإنتاج عشرات الألوف من الأطفال الغير الشرعيين شهرياً، وحضانتهم وتربيتهم دون أن يشملهم حنان الأبوين، أولئك الآباء والأمّهات الذين يتركون أبناءهم لعصف الأزمان دون أن يجدوا الشجاعة لضمّهم إليهم، ويتحرّقون وجداً وندماً على ما أتوا به، وكم يترك هذا من عقد نفسية في حياة الأبناء إذا شبّوا، والآباء ما عاشوا.

هذه الويلات كلّها وجد الإسلام لها حلاً بتشريع المتعة، تلك الحياة الزوجية المشروعة الطبيعية بما فيها من عقد مقدّس بين الزوجين لا يختلف عن عقد

الزواج الدائم، وله أصوله وفروعه المتماسكة، يحفظ حق الاب والأم والابناء في المجتمع وينأى بهم عن مخاطر الأمراض المعدية، كما يخلّصهم من الأمراض الروحية والنفسية والعقلية لسهولته وإباحته. وإذا كانت المتعة تتّهم بالزنىٰ فهي كتهمة البيع بالربا من دقّة الفروق بينهما، وما شرّعت المتعة، وهي زواج مؤقّت، إلّا لوقاية الناس من السفاح والجرائم الناشئة عنه، فإذا جرىٰ العمل بها في الطريق الحلال كالزواج الدائم، وكان الأولاد شرعيين، ويمارسها الطرفان بطمأنينة ودون خوف، ويرعيان واجبهما في حفظ الولد، وتُراعىٰ العدّة فلا تختلط المياه، لاتنفىٰ حدوث الأمراض الجنسية.

فالعدّة التي تطول خمسة وأربعين يوماً ضمينة بكشف آخر مرض تناسلي إذا وجد، ولانتفت إصابة الرجال والنساء بأدواء الأمراض النفسية والروحية والعصبية، من جرّاء الكبت، أو الإفراط الجنسي، ولما ألقي مئات الألوف من الأطفال في الطرقات دون أن يعرف آباؤهم وأمّهاتهم، ولما قاسىٰ الرجل والمرأة العذاب بسبب هذه الغريزة الجامحة، ولمّا تعرّض الأفراد والجماعات، وعلى الأخصّ في بلادنا العربية والإسلامية، إلى مخاطر القتل والعار والشنار بسبب الممارسات الجنسية اللاشرعية. فالعمل الجنسي واحد في الزواج أو في الزنىٰ، لولا أن يفرّق بينهما أمر واحد هو النظام الشرعي.

والمتعة نظام شرعي يجمع حسنات الزواج الدائم، ويدفع مساوئ الزنىٰ والسفاح، وهكذا نرىٰ أنّ الزواج الموقّت (المتعة) هو أعظم ما سنّته الشرائع السماوية، وأكبر رحمة قدّمها الله للناس وأحلّها لهم، وبها وحدها تحفظ حياة العائلة وكيانها من شرور السفاح، كما تمنع من تعدّد الزوجات في الإسلام، وتمنع من اتّخاذ الخليلات في الغرب، وتحول دول فجائع الممارسة الجنسية الحرّة، دون رعاية الأصول والقواعد.

والمتعة زواج كامل في جميع أركانه وشروطه، غير أنّه يمتاز بتجديد المدّة، وربّما أدّت المتعة إلى الزواج الدائم الرصين، كما يجري في اليابان، فالرجل هناك يتمتّع بالمرأة إلى أمد معيّن، فإذا ما حصل التوافق بينهما تزوّجا بصورة دائمة. وإلاّ فعلاقتهما تنتهي بانتهاء المدّة. فإذا امتازت اليابان بهذا النوع من الحياة الزوجية فقد سبقها الإسلام إليها بمراحل.

فليحذر الذين قالوا إنّما البيع مثل الربا، وليحذر الذين قالوا إنّما المتعة مثل الزنىٰ، فهم إمّا أنّهم يعلمون الحقيقة فقد خانوا الله والأمّة، وخانوا ضمائرهم، وتغلّبت عليهم العصبية الجاهلية، وفضّلوا اجتهاد عمر في منعها على إباحة الله ورسوله لها، فـ﴿بئس للظالمين بدلا﴾. وإمّا أنّهم يجهلونها فليتحقّقوا عنها ممّن يعلمها، وليكن تحقّقهم فعل من يبحث عن الحقيقة، لا من يتوسّل الطعن والكذب والدسّ.

ومنهم من قال: إنّما يقصد بالمتعة تحصيل اللذة وحسب، والجواب أنّ قولهم واضح الغرض والدسّ والافتراء، فالمتعة كالزواج الدائم بتمام أركانه سوىٰ المدّة، وبجميع شروطه سوىٰ الطلاق والعدّة، فهي كالزواج الدائم من حيث تحصيل اللذة، ومن حيث التناسل وحفظ الأصول والقواعد، وبالمتعة وحدها يمنع الزنىٰ ويحافظ على العفّة التامّة، ويحفظ النسل، وتتمّ اللذة دون شوائب تعكّر حياة الفرد والجماعة، شرط إحسان استعمالها، كالزواج الدائم.

والآن بعد أن أثبتنا منافع المتعة وانتفاء ضررها، وبعد أن أوردنا النصوص والمستندات على حلّيّتها، ودوام ذلك من الله ورسوله، وبعد أن نقضنا كلّ ما جاء به عمر وأنصاره من منعها دون حجّة أو نصّ أو دليل، فهل نستطيع الوصول إلى العلّة التي تسبّبت في منع عمر لها من جهة، والى السبب في متابعة من تابعه على ذلك؟

ما الذي حدا بعمر إلى نقض النصوص

لنبدأ بالحديث عن العلل التي حدت بعمر إلى إعلانه نقص نصّ اعترف بحلّيته على عهد رسول الله.

إنّنا بحاجة كي نتمكّن من شرح الموضوع والوصول إلى العلل الحقيقية، إلى أن نحلّل سيرة عمر من عدّة جهات، ولو بصورة مقتضبة، من حيث حياته الاجتماعية والاقتصادية قبل الإسلام وبعده، ثمّ نبحث في خلقه وطبائعه وغرائزه وصلاته الواقعية دون أن تأخذنا في ذلك عصبية، بل كلّ ما نبغيه إنّما هو الوصول إلى الحقائق لتفسير أعمال قام بها في زمن حكمه نتيجة لتلك الأخلاق والطباع، الموروث منها والمكتسب، وتأثير العقد النفسية التي كان يكبتها دون أن يكون له فيها حول أو طول.

كان عمر قد أفنىٰ أكثر حياته في قريش، وهو من عائلة عدي التي لم تشتهر شهرة تكسبه بسطة وحسباً رفيعاً كغيره، وكان في الوقت نفسه فقيراً، كما أشار إلى ذلك واليه عمرو بن العاص حينما بعث إليه من يتحقّق من بعض شؤونه وهو عامله على مصر، فلعن زماناً يكون فيه والياً لعمر وهو الذي رآه بأمّ عينه زمن الجاهلية يحمل الحطب مع أبيه على كتفه. وكان عمر وهو الفقير يهوي معاقرة الخمرة ويحبّ مجالسها كما ثبت في ما تقدّم، وظلّ يعاقرها حتىٰ نزول آخر آية، حتىٰ إذا سكر أخذ يرثي قتلىٰ المشركين في بدر، وهذا ما أثار غضب رسول الله فأتاه وأهوىٰ عليه يضربه حتىٰ قال:: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله،

وقال: انتهينا، انتهينا، بيد أنّه استمرّ يشرب النبيذ الشديد، كما مرّ بأسناده في شكاية ابنه عبدالرحمن بن عمر.

حاول عمر أن يظهر نفسه ويبرز شخصيّته من عدّة جهات، وهو قد فقد الحسب الرفيع والسابقة الرفيعة من حيث الفصاحة والشجاعة وحسن الإدارة، وقد دخل في الإسلام والإسلام يجبّ ما قبله، فلا فضل إلّا بالتقوىٰ والبرّ والإحسان والتضحية الصادقة في زمن الحرب والسلم.

وهو إذ افتقد النسب العائلي الرفيع فقد استطاع أن يقدّم ابنته حفصة زوجة لرسول الله، ويكون أباً لزوجة خير البشر، وبهذا بلغ شرفاً جديداً، كما حصل على شرف آخر هو مصاحبته رسول الله، بيد أنّ الحظّ خانه في الباقي، فلم يكن عمر من ذوي الإدارة والشجاعة والبلاغة، كما خانه الحظّ في جميع الحروب والوقائع المشهورة وغير المشهورة، فلم يكن له اسم يذكر في «بدر»، وكان من القاعدين في يوم الأحزاب الذي انتهىٰ بالفوز بضربة علي لعمرو بن ودّ العامري وراء الخندق، وانتهىٰ به الأمر في «أُحد» و«حنين» إلى الفرار، وفي «خيبر» إلى الاندحار، فبان ضعفه في مقابلة الأعداء، وضعفه في قيادة الجيش وإدارة القتال في خيبر، ولم يولّه رسول الله إدارة قط، ولم ينبّه عنه في أي أمر زمن حياته، سوىٰ ما اندحر فيه، أعني «خيبر».

وقد حاول أن يحصل على شرف آخر فتقدّم لخطبة بضعة رسول الله فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، فجُوبِهَ بعدم القبول.

وفي صلح «الحديبية» اعترض على رسول الله ليبدي بذلك لياقته الأدبية، وآراءه الصائبة، فردّه رسول الله، وأغاظ الله ورسوله بشكّه بنبوّة الرسول في ذلك اليوم حين قال له: ألم تعدنا بفتح مكّة ولم نفعل؟

ثمّ تخلّفه وأبا بكر عن جيش أسامة، وقد لعن رسول الله من تخلّف عن جيش أسامة. وقبلها حين سدّ النبي بابه إلى المسجد مع كلّ الأبواب إلّا باب علي.

ثمّ إنّه يرى بعينيه تقدّم علي في كلّ معركة وخطاب، وفي كلّ معضلة، وما ورد فيه من آيات، وما يوليه به رسول الله من المدح والثناء في كلّ مقام، واختصاصه بجميع الحروب والفتوح، ولا سيّما «خيبر». واختصاصه ببضعة رسول الله، وإعلان إمامته وخلافته وإمارته ووصايته بعد رسول الله في غدير خم. وقد شكّل هذا كلّه عقداً ملأت قلب عمر حقداً وحسداً على علي وفاطمة وأبيها وبنيها، ولا يكاد يأتي بحركة أو كلمة إلّا ويرىٰ رسول الله له بالمرصاد في حياته.

وقد ثبتت غلظته وفظاظته وهي صفات يتّصف بها مَن يحمل غرائز الكبرياء والأنانية وحبّ الظهور لأقصى الحدود، وكان يفتقد الغريزة الجنسية المركّزة في غيره، إذ الغريزة الجنسية تورث صاحبها الحبّ واللطف والليونة، على حدّ قول الشاعر إذ يسأل:

أيا معشر العشّاق بالله خبّروا ... إذا حلّ عشق بالفتىٰ كيف يصنع

فيجيب الأديب المجرّب:

يداري هواه ثمّ يكتم سرّه ... ويخضع في كلّ الأمور ويخشع

نعم، كان عمر على خلاف ذلك، حتىٰ كانت النساء تفرّ منه رغم كونه خليفة. كان إذا خطب إمرأة لا ترضاه لها زوجاً لفقدانه حنان الزوجية والعواطف الرقيقة، وقد تقدّم ذكر خطبته لبعضهنّ وهو خليفة، وردّها له.

وأوّل ما بدأ عمر في حلّ عقده المكبوتة في نفسه كان حين طلب رسول الله دواة وكتفاً، وكان في مرض موته خائر القوىٰ لا يستطيع له صدّاً، فاندفع بحقده المكبوت يفجّره دفعة واحدة فيجَبَهُ رسول الله برفض طلبه ويقول عنه: إنّ الرجل

ليهجر، عندنا كتاب الله. فزرع بهذا أوّل فتنة بين المسلمين وخالف رسول الله ثانية بعد أن خالفه في التخلّف عن جيش أسامة، وكان في كلتيهما يحارب الله ورسوله ليحول دون تعيين علي للخلافة.

حتىٰ إذا توفي رسول الله بادر إلى تدبير أمر السقيفة وتقديمه لأبي بكر للخلافة، وعندها، وإذ علم أنّ علياً أوصاه رسول الله بعدم القتال، سارع إلى إظهار عقده المكبوتة واحدة تلو الأخرىٰ، فبدأ بحملته على بيت فاطمة والحسنين، وأشعل النار لحرقها، وعصر فاطمة خلف الباب حتىٰ أسقطت جنينها، ثمّ ما كان من لطم قنفذ لها بأمر عمر، وأخذه عليّاً قسراً لمبايعة أبي بكر رغم قوله: أنا عبدالله وأخو رسوله، وتهديده إيّاه بالقتل مع علمه اليقين بأنّه وصيّ رسول الله وخليفته، وهو الإمام بعد رسول الله، وهو الذي بايعه في «غدير خم» وقال له: بخ بخ لك يا علي، لقد أصبحت وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة»[(١)].

أتراه تنفّس الصعداء ونفث المكبوت من عقده تجاه فاطمة وعلي والحسنين عترة رسول الله، أولئك الذين طهّرهم الله من الأرجاس في آية التطهير وآية الولاية، والآيات الجمّة الأخرىٰ، وفي ما ورد فيهم من أحاديث ورغم ما بلغه عن علي بأنّ مَن خالفه وأبغضه فهو كافر فاسق ومنافق.

هل تراه اكتفىٰ بهذا تجاه فاطمة الزهراء، التي كان خطبها ولم يحظ بها، من إشعال النار لحرق دارها، وأخذه بعلها على تلك الشاكلة، وغصبه «فدك» بعد ذلك، فعندما عجز أبو بكر أمام حجج الصدّيقة وبعلها، وكتب كتاباً بإعادة فدك إليها، إذا بعمر يمزّق الكتاب، بينما أصحاب رسول الله وشيعته الأقربون في حجر لا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة من التهديد والوعيد، هذا وأبو بكر هو الخليفة،

---

(١) كان واثقاً بأنّ علياً موصى بعدم القتال، ولا خوف عليه منه.

ولطالما كان حجر عثرة أمام عمر يعارضه وخصوصاً في ما يعود لآرائه ومقاصده هو، كما في قضيّة خالد مع مالك بن نويرة وغيره.

فكيف بعمر وقد وطّد أبو بكر له الخلافة، كما وطّدها هو له من قبل، بعد أن هدأت الثورات، ونشر نفوذه شرقاً وغرباً، وحبس الأنفاس، وأبعد آل البيت وأعوانهم وأنصارهم، وأمّر ألدّ أعدائهم من خصوم الإسلام الذين لا همّ لهم سوىٰ الملك، رغم كونهم شرّ الناس كآل أميّة وابن العاص والمغيرة من شعبة، من كافر إلى فاسق إلى فاجر، هذا ما أفتىٰ به عمر واجتهد، وقد مرّ معك من شكاوي الناس منه، ومن أقواله هو نفسه: «لولا علي لهلك عمر» و«إنّ وليها الأصلع لأقامكم على الطريق»! فهو يقيم الحدود كما يشاء، فإن أعياه أمر قال: «لولا علي لهلك عمر» وقوله: «حتىٰ النساء أفقه منك يا عمر» فعلامَ يدلّ كلّ هذا؟ أعلىٰ التقوىٰ والإيمان، أم على الإخلاص والبرّ والإحسان، أم علامَ؟

ثمّ هناك ما مرّ معنا من أعماله في إحراق الكتب ومناصفة عمّاله أموالهم، وقتل إبنه المريض بالحدّ، والتصريح بمخالفة نصّ القرآن الذي عمل به رسول الله وأبو بكر وعمر نفسه، لا يعفيه من الذنب مهما كان السبب الذي ألجأه إلى ذلك. وإنّي لأحسب أنّه كان له من النوايا ما هو أبعد وأعظم من التلاعب بالنصوص والأحكام القرآنية، والسنن النبوية، لو أنّ الله مدّ في عمره، بيد أنّ القدر لم يترك له مجالاً أوسع فأفرغ كلّ ما يكبته من عقد باقية، فدفعته غرائزه إلى أقصىٰ حدّ بأن وجّه إلى الإسلام لطمة قويّة، تمزّقه شرّ ممزّق، بتعيينه موضوع الشورىٰ، وهو يدري تماماً أنّه بذلك إنّما يوسّد الأمر لبني أميّة، ويسلّطهم على رقاب الخلق، وهم ألدّ أعداء الإسلام، كما أثبت ذلك معاوية ويزيد ومروان بن الحكم وخلفاؤه.

وها هي ذي الشكايات الموجّهة إلى عمر منذ ذلك اليوم الذي منع فيه المتعة

وإلى قيام الساعة، من أولئك الأطفال المولودين من السفاح والزنىٰ، بسبب منع عمر للمتعة، فحرمهم عطف الأمومة ورفقة الأبوّة، وشكاوىٰ الآباء والأمّهات المضطرّين إلى ترك فلذات أكبادهم قهراً، خوف الفضيحة، وخوف عقاب المجتمع والقانون، وصحّ قول سيّد الوصيين علي بن أبي طالب: «لولا نهي عمر عن المتعة ما زنى إلّا شقي».

فأولئك وهؤلاء يتوجّهون بالشكوىٰ من عمر إلى الله تعالىٰ، وإلى، جانبهم كلّ أولئك الذين أصيبوا بشتّىٰ الأمراض التناسلية بسبب اختلاط المياه، ثمّ أولئك المحرومون من الطيّبات التي أحلّها الله لهم، فحرّمها عليهم عمر، فأصيبوا بشتّى الأمراض النفسية والروحية.

ثمّ بعدهم أولئك الذين نسوا أنفسهم فاقترفوا معصية الزنىٰ بحكم ضغط الغريزة الجنسية المتعطّشة للتفريغ، فمنعهم عمر من الزواج الموقت، وهم غير قادرين على الزواج الدائم. ثمّ تأتي بعد ذلك العوائل الكثيرة ممّن أصابهم العار والشنار بما جلبه لهم الزنى والسفاح من المخازي، وإنّ السبب الكامن وراء كلّ ذلك هو منع عمر للمتعة.

وإلى جانب كلّ هؤلاء كثير من المسلمين المؤمنين، من نساء ورجال وأطفال، حرموا من هذه الطيّبات، وهم يطلبون من الله الحكم العادل على من سبب لهم شقاءهم، ويدعون الله أن يعاقبه ويعاقب من وافقه على حكمه الجائر.

ثمّ يأتي إلى جانبهم أئمة المسلمين وعترة رسول الله، الذي ساروا على حكم الله ورسوله، فسُبّوا ونُكبوا واتّهموا لمحض إعلانهم حدود الله، وإظهارهم للحقيقة، وصدّهم للبغات المتاصرين لعمر دون دليل أو برهان.

ترى هل حلّل هؤلاء عمر من الناحية النفسية؟ وهل تعمّقوا في وضعه

الاجتماعي في الجاهلية وزمن الرسول الأكرم؟ وهل عادوا إلى وصايا الرسول في من أوصى وعيّن؟ ومن هو الأعلم والأتقى والأقضىٰ والأشجع، والأسبق في الإسلام؟ وهل تراهم نسوا مواقف علي في «بدر» وفي «أحد» حيث كاد عمر يستسلم؟ وفي يوم «الخندق» ماذا كان موقف المسلمين أمام بطل المشركين عمرو بن ود العامري لولا علي؟ وفي يوم «حنين» يوم وقف وحده ذابّاً عن رسول الله في حين كان أبو بكر وعمر مع الهاربين، وفي يوم «خيبر» من الذي فرّ ومن الذي كرّ أمام اليهود، ومن هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات من القرآن؟ ومن الذي أمر الله بتنصيبه يوم «غدير خم»؟ ومن الذي حثّ رسول الله على أتّباعه وعدم مخالفته؟ و. و. و.

فأيّ منقبة كانت لعمر خلال كلّ تلك الأيّام سوىٰ اعتراضه على رسول الله في صلح «الحديبية» حتىٰ شكّ في نبوّة رسول الله وكذّبه في أمر فتح مكّة؟

واستمراره في شرب الخمر حتىٰ رأىٰ رسول الله غاضباً منه، وظلّ رغم ذلك إلى آخر يوم في حياته مدمناً على النبيذ، وما أدراك ما النبيذ وما أثره في حياة المرء.

وهل ضلّوا بعد ذلك؟ بعد أن أوقع الخلاف بين المسلمين، وصدّه لرسول الله وهو في مرض موته عن تعيين ما أراد كتابته من نصب الخليفة من بعده كما صرّح، وأعماله في السقيفة وبعدها، وفي الشورىٰ وما بينهما؟

هل حلّل المدافعون عن عمر ذلك، وهل حلّلوا اعترافه بالجهل في اللغة والفقه والإدارة، وهل حلّلوا علّة الإطاحة ببني هاشم وإقصائهم، وسكوت هؤلاء وعليّ، وهل حلّلوا علّة إطلاق يد بني أميّة والمنافقين.أمثال ابن العاص المنافق الفاسق، والمغيرة الزاني وأمثالهما؟ وهل حلّلوا قتله لإبنه عبدالرحمن وتعذيبه له

وإقامة الحدّ عليه دون اتّباع أمر شرعي أو دليل، وهل حلّلوا مخالفته لنصوص القرآن (راجع «النص والاجتهاد» للعلّامة السيد عبدالحسين شرف الدين) واجتهاده فيها، وفتاواه المناقضة للحدود الشرعية، وطالما اعترف بذلك، وهل عرفوا علّة منعه المتعة وغيرها.

لقد نسبوا كثرة الفتوح إلى قدرته الإدارية، أليست تنسب إلى مسير المركبة التي سيّرها رسول الله، والتي ظلّت سائرة، بيد أنّه غيّر اتّجاهها ومراميها في نشر الإسلام والوفاق والإخاء والرحمة والبرّ والإحسان بين المسلمين من عرب وعجم، فهل أمر رسول الله بنهب البلاد المفتوحة وسبي نسائها حتى بلغ السبي في حملة واحدة عشرة آلاف من السبايا، قدموا بهنّ إلى المدينة، غير الثروات الطائلة. هل حاسبوا عمر عن أيّ إصلاح انتحاه في صرف هذه الأموال، وأيّ عمران قام به، وبين يديه أعظم فنّاني وعلماء العالم المفتوح، وكتبه وعلومه من طبّ وهندسة وهيئة وزراعة وصناعة وصيدلة وحكمة وإدارة وغير ذلك؟ هل حاسبوه على الكتب التي أمر بحرقها في الإسكندرية وبلاد فارس، والتي حرقها وقال: عندنا القرآن!! ومن قال له إنّها تنافي القرآن وقصد المشرّع الإسلامي؟ ألم يمدح الإسلام ويمجد العلم والعلماء، والحكمة والحكماء، والصناعة والزراعة؟ ألم يقل رسول الله: «تعلّم العمل من المهد إلى اللحد»، وقال: «اطلبوا العلم ولو بالصين»؟

هل حاسبوه على أعماله الجبّارة بالضرب على أيدي المدوّنين لسنّة رسول الله، كي لا يعلم الناس بوصاياه ومرامه في من تحقّ له الخلافة عمّن لا تحقّ له؟ هل حاسبوه على جهله في إدارة دقّة الأمور مع عملائه ومناصفتهم؟ وهل حاسبوه على استثنائه معاوية من هؤلاء وتركه يفعل ما يشاء، وهل حاسبوه لماذا

كان ديدنه الدفاع عنه والقول إنّه كسرى العرب؟!

لماذا هدّد عليّاً في الشورىٰ بمعاوية وعمرو بن العاص إذا قال: لا تختلفوا فإنّ معاوية وعمرو بن العاص لكم بالمرصاد. هل تراه قصد بهذا التهديد عثمان وهو ابن عمّ معاوية؟!

وهل حاسبوه على عجزه عن إجابة السائلين عن تفسير المتشابه وغيره من آيات القرآن؟ وهل حاسبوه على ضربه وتعذيبه جماعة من أولئك السائلين حتىٰ أودى بهم؟ وهل سألوه عن عجزه عن إجابة اليهود والنصارىٰ وكثيرين غيرهم حتىٰ كان يضطرّ إلى إحالتهم إلى عليّ؟ هل حاسبوه عن أمور غيرها وأعمال سيأتي ذكرها؟

هل نسوا يوم رفض المتخاصمون حكم عليّ فيهم بطلب من عمر، فقال لهم عمر: ويلكم! أتعرفون من هذا؟ هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة؟ وهل نسوا المتخاصم الآخر عندما طعن بحكم علي بعد أن أحاله عمر إليه، وقول عمر له: أحسبك منافقاً: (إشارة إلى قول رسول الله لعلي: لا يكرهك إلّا منافق، ولا يحبّك إلّا مؤمن). وهل حاسبواه أخيراً على غصبه للخلافة وهو يدّعي الإيمان بالله وبسنّة رسوله، فيحادوا الله ورسوله في عليِّ الذي نصّبه الله ورسوله وصيّاً وخليفة لرسول الله؟

إنّ الحساب الذي كان جديراً به أن يخضعوه له سيحاسب عليه يوم تشهد الأيدي والأرجل والجلود عليهم، ويكون الرسول شهيداً عليهم، وسيحاسب كلّ من دافع عن الظالمين وكان خصماً لعترة رسول الله وشيعتهم، وسيحاسب معاوية وشيعته، وآل أمية على ما دسّوا وزيّفوا من مناقب نسبوها إلى أبي بكر وعمر وآل أميّة، وعلى الحطّ من قدر محمّد وآله.

ذُكرت في ما تقدّم بعض فوائد المتعة، وسنورد على سبيل الإجمال هذه المزايا من النواحي الإيجابية والنواحي السلبية، ونستدل على صحّة ما نقول بما ورد في بعض الكتب والمجلّات والجرائد، وبالحوادث الجارية عسىٰ أن يعتبر بها القارىء الكريم. وتكون تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، والله عزّ وجل يقول في محكم كتابه: ﴿فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[١].

فوائد المتعة إيجابياً وسلبياً

١ـ قلنا إنّ المتعة تقابل الزواج بإضافة ركن رابع إليه وهو تعيين مدّة له، بشروط تقارب نفس الشروط في العقد الدائم، إلّا أنّها أكثر بساطة من يحث العدّة والمهر والطلاق، ثمّ إضافة الركن الرابع وهو تسمية المدة. وقلنا إنّها تماثل الزواج بلذاته، وحفظ النسل والألفة والسكن والاستمتاع في كليهما على حدّ واحد. ويرث فيها الأبناء آباءهم، غير أنّ هناك قولين في الوراثة، فمنهم من يقول بها ومنهم من لا يفعل. وخلاصة القول:

إنّ المتعة لا تفترق عن الزواج الدائم بأصولها ونظامها وشرعيّتها، وإنّ الطلاق فيها يقع بانتهاء المدّة أو هبة الزوج المدّة للزوجة، وإنّ عدّة المراة فيها خمسة وأربعون يوماً إن كانت مدخولاً بها، فالمتعة (الزواج الموقّت) قد يعقّبها الزواج الدائم، أو تقوم مقام الزواج الدائم بإطالة المدّة. وهي خير محكّ لبقاء الزوجين وإدامة حياتهما الزوجية إن وجدا انسجاماً تاماً فيما بينهما، وتكون الفرقة بانتهاء المدّة أو هبتها، مع حفظ النسل وكرامة الزوجين طبق شروط منظّمة ومحدّدة.

---

(١) سورة الزمر: الآيتان ١٧ ـ ١٨.

٢ـ هي كالزواج تشكّل العائلة، وتحول دون السفاح والزنىٰ الذي طالما تسبّب في أمراض تناسلية خطيرة بسبب اختلاط المياه، وانتقال الأمراض من سفلس وسيلان وقرحة، إضافة إلى المخازي والعار والشنار التي تلحق بالزوجين والعائلات وعلى الأخصّ المتقيّدة منها بالشرف والناموس.

٣ـ المتعة يداوى بها منذ القديم، وخاصّة مشاكل الحياة الجنسية اليوم (١).

قال الفيلسوف الانكليزي (برتراندراسل): إنّ سنّ زواج الشباب والبنات رغم وجود نفس المشاكل الجنسية، وعدم تغيّر دور الغريزة الجنسية ونشاطها، قد تغيّر ميعاد هذا الزواج بسبب الدراسة والتخصص، عمّا كان عليه قبل مائة أو مائتي سنة. فقد أصبحت الدراسات والحياة العائلية والمشاكل الاقتصادية تختلف عمّا كانت عليه في القديم، فقد اتّسعت العلوم وتنوّعت وامتدّت مدد التخصّص في كلّ الفروع العلمية، وكان الشاب على الأكثر في سنّ الثامنة عشرة مستعداً للزواج، بعد أن يكون قد أنهىٰ دراسته التي كان يتخصّص فيها، ويكون في مقدوره أن يتزوّج للتوالد والتلذّذ الجنسي، ولم يكن يجد مشقّة منذ بلوغه في سنّ الخامسة عشرة إلى السنة الثامنة عشرة سوىٰ ثلاث سنوات.

وربّما يتزوّج قبل ذلك فلا يلقىٰ حرماناً طويلاً في شبابه كما يلقىٰ اليوم، إذ نرىٰ الدراسة امتدّت حتىٰ يبلغ الشاب الثلاثين من العمر أو يتجاوزها، لكي يتمّ

---

(١) إليك كلمة العقاد في مجلة «المصوّر» تحت عنوان: الشباب، قال فيها الأستاذ: «وتركنا المذاهب والمفكّرين، واسترحنا من هذا الصراع الفكري الجبار، إلى موضوع الساعة: الكبت الجنسي، الجوع والظمأ، ماذا يصنع الشباب»؟

ويقول العقاد: «لقد كان التعليم في الماضي ينتهي في سنّ الخامسة أو السادسة عشرة، وكانت هذه سنّ الزواج، فلم تكن عندنا مشاكلكم هذه، فالشباب الذي يتعلّم يظلّ الآن إلى سنّ الثلاثين وأكثر.

تأهيل نفسه من الناحية العلمية والناحية الاقتصادية، وإذا به يـقضي خـير أيّـام شبابه، بل قل عنفوان شبابه الذي جهّزته به الطبيعة بالغريزة الجنسية القوية، واللّذة وتكوين النسل. والأشدّ من كلّ ذلك نراه اليوم وهو في دراساته العالية في تماس دائم مع الطرف الآخر، الذكر مع الأنثىٰ، في الداخل والخارج، وكلاهما في حالة جنسية ثائرة، لا يطيق الإغضاء والإمساك، وإن فعل فقد ولّد في نـفسه أمـراضاً نفسية وروحية قد تؤدّي إلى حرمانه من متابعة دراسته. وقلّة هم من تغلّب عليهم العفّة، وإذا بالشاب والفتاة ينحرفان عن جادّة الأديـان والشرائع والقـوانـين، ويستحلّان الاستفادة من التقارب الجنسي الحرّ، بما يـجلب لهـما مـن أمـراض تناسلية، وحمل غير مشروع يجرّ إلى الإجهاض أو الإسقاط أو الوضـع الغـير المشروع، ثم ترك المولود على قارعة الطريق، تتكفّل به الحكومة دون أن يعرفوا أمّة وأباه، وما يترتّب على هذا من مشاكل فردية وجماعية(١).

وهنا عاد الفيلسوف الإنكليزي ليجد طريقة تخلّص المـجتمع مـن جـهة، والأفراد من جهة أُخرى، من هذه الورطة، وإذا به لا يجد سبيلاً خيراً من المتعة التي شرّعها الإسلام، باتّخاذها منقذاً لحلّ هذه الورطة، فيجيزها للشـباب مـدّة دراستهم فيستمتعون بذلك استمتاعاً قانونيّاً يمكّنهم من الاستمرار فـي الدراسة

---

(١) وجد (برتراندراسل) حلاً لهذه المشكلة عندما كان فـي أمـريكا بـزواج الصـغار، وهـو أن يتزوّج الطالب زميلته خلال فترة الدراسة، على أن يظلّ أهلها يصرفون عليها، ويظلّ أهـله يصرفون عليه. وكان عليهما أن يتجنّبا مسـألة النسل. وعندما تنتهي الدراسة فإمّا أن يستمرّا في زواجهما إذا كان ناجحاً، أو أن ينفصلا في سلام، وقد حلّ الإسلام هذه المشكلة بالنسبة للجنود بزواج المتعة، وذلك حين يخرجون للغزو، وزواج المتعة هـو زواج لمـدّة مـوقوتة. والعودة إلى زواج المتعة باب من أبواب العلاج مع ضبط النسل، ولا بأس في هذا التشبيه، فإنّ الطالب في دراسته كالجندي في المعركة.

داخل نطاق العفّة، وبعيداً عن الأمراض التناسلية والنفسية، لا يفكّرون بالعواقب المخيفة التي تترك الشاب والشابة والعوائل في مشاكل عويصة، إضافة إلى الحكومة المحلّية نفسها، وما يعقب ذلك من مخاطر العقد النفسية، والتدهور الأخلاقي، والجرائم.

ولابدّ أن «راسل» وهو الفيلسوف المصلح الاجتماعي لم يرسل كلامه هذا جزافاً، بل هو شاهد بأمّ عينه التزايد المطّرد لأولاد الزنى، والأطفال الغير الشرعيين من الاتّصال الجنسي الغير المشروع، وعلى الأخصّ بين الشباب في الثانويّات والجامعات.

فقد كتبت جريدة «كيهان» الإيرانية في عددها رقم ٥٣٥٦ المؤرّخ في ١٤/٥/١٩٦٢ أنّ عشرين بالمئة من بنات إنكلترا يصبحن حوامل من طرق غير شرعية، وتجري سنويّاً خمسون ألف عملية إجهاض، وهذا العدد مع هذه النسبة في تزايد مطّرد، وإنّ المواليد المولودين في أمريكا من طرق غير مشروعة كانوا يعدّدن سنة ١٩٣٨ ثلاثين ألف مولود، بينما بلغ تعدادهم سنة ١٩٦٠ أربعمائة ألف مولود، وأنّ ثلاثمائة وثمانين ألفاً منهم كانوا من طالبات المرحلتين الثانوية والجامعية، وهذه النسبة كما نجدها في تصاعد فاحش مستمر. وقد أرجعت السيّدة (أمّ...) هذا الأمر لسببين: أوّلهما: الحريّة الموجودة بين الشباب والشابّات، وثانيهما: عدم وجود قانون يضع أساساً ينظّم هذه الرابطة الجنسية. وقد أشارت إلى قانون كهذا بيّنت فيه بعض الأصول التي لا تعدو ما جاء في المتعة.

وكم نجد في الشرق والغرب مشاكل قامت بين العائلات والجماعات، عويصة وعويصة جدّاً، لا تعدّ ولا تحصى، ولا يحلّها سوى القول بمشروعيّة المتعة، فكم من الرجال أنجبوا مواليد بطرق غير مشروعة، ويحنّون إليهم

ويحبّونهم، بيد أنّهم لا يستطيعون أن ينسبوهم إلي أنفسهم، وهذا على الأخصّ في الغرب..

نقل الدكتور «شفائي» في كتابه «المتعة» أنّ أستاذاً في إحدىٰ جامعات فرنسا أنجب ولدين من اتّصال جنسي بطالبة له أحبّها، ونظراً لأنّه متزوّج من إمرأة أخرىٰ ولا يسمح له القانون بطلاق زوجته والزواج مجدّداً فقد نشأت له ولولديه وللطالبة مشكلة اجتماعية عويصة لا يمكن حلّها، رغم أنّ الجميع غارقون في بحر من المشاكل. فهلّا كانت المتعة أفضل حل لدفع الملايين من هذه المشاكل التي لا تحصىٰ في الشرق والغرب.

وماذا يصنع الرجال الذين يصرّون على الزواج الدائم، وكيف يطفئون غرائزهم الثائرة؟ وهل الأفضل لهم الاتّصال بالعاهرات، فالزاني للزانية، واختلاط المياه، ونقل الأمراض التناسلية من دون مراعاة لنظام ولا قانون، أم اتّباع حلّ مشروع، كما في المتعة، يحفظ حقوق الأفراد والجماعات، ويحافظ على كياناتهم الاجتماعية، وأحوالهم الصحيّة، ويحفظ لهم عفّتهم وناموسهم، ويفرّج عنهم كابوس الكبت الجنسي المرهق، ويحفظ نسلهم، وهو المخلّص الوحيد للحكومات من عناء تنشئة الأولاد الغير الشرعيين، والذي به وحده يمكن سدّ بؤر الفساد والفحشاء، ويمكن غلق أبواب بيوت الزنىٰ والسفاح والفجور، تلك المراكز للأمراض التناسلية والانحطاط الخلقي. كما أنّه بالمتعة يستعاض عن التلقيح الاصطناعي الذي نادت أكثر الشرائع، والسماوية منها على الأخصّ، بعدم شرعيّته. وبالمتعة يمكن للرجل والمرأة والمتطلعين إلى النسل الحصول على ذلك من طريق مشروع، لا من طريق التلقيح الاصطناعي. فنتاج المتعة ـ إذا شرّعت ـ لا يختلف عن نتاج الزواج الدائم أبداً. وقد تؤدّي إلى الاتّصال الدائم إذا رغب

الزوجان المتجانسان روحياً، كما في اليابان.

إنّ المتعة في الواقع مشروع من أحسن المشاريع الاجتماعية الأخلاقية المفرّجة للرجال والنساء، والمفيدة الخالية من الضرر، وهي إحدىٰ سبل الوقاية والعلاج الذي لابدّ منه. ولا شكّ أنّها ستطبّق يوماً ما في العالم كلّه إذا صحا العلماء والمشّرعون لما فيها من حكمة.

شكاية شهود المغيرة

وفي يوم الحساب سيقف أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد، رافعين أكفّهم متظلّمين أمام العدل الإلٰهي قائلين: ربنا.. ياأقسط الحاكمين، ويا غياث المستغيثين والمظلومين، من نكال المستبدّين الظالمين، نشكو لك ممّن أمّر علينا أميراً منافقاً فاسقاً فاجراً زانياً مكّاراً، قد اختاره لشدّة مكره، واتّخذه عوناً له لما عرف عنه وعن سابقته في الجاهلية من الفجور، وفي الإسلام ومن بغضه وحقده على عليّ وآل رسول الله، ولمعونته له على غصب الولاية في السقيفة، وتحريضه له على ذلك الغصب صباح يوم السقيفة، وهو يتسقّط الأخبار ويتحسّس الأوضاع فيقول له: وماذا تنتظر أخيراً من أهل هذا البيت، وهويشير إلى عليّ وعترة رسول الله، ويحرّضه على الكيد لعلي وغصب الخلافة منه، فقام بها، وعاضده بها، فأسفر الكيد عن تنصيب أبي بكر، وكان حلّياً له شطره الأوفىٰ، وللمغيرة نصيبه من الغنيمة.

ويتقدّم أبو بكرة قائلاً: إلٰهي، لقد صبرنا على ظلم الظالمين، وعلى تسلّطهم على رقاب المسلمين، إلٰهي، وأنا من صحابة رسولك الأكرم المقرّبين، هالني ما وجدته من شتىٰ المنكرات وأنا في البصرة أرىٰ وأسمع من هذا الكافر المكّار، الذي سلّطه أميره على رقابنا، ونحن لا حول لنا ولا طول، حتىٰ إذا فضح الله

المغيرة ذات يوم وبيتنا يجاور بيت أمّ جميل، وكان بيتنا يضمّني مع يافع وشبل بن معبد وزياد بن أبيه، وإذا بالريح تفتح باب بيت أمّ جميل المقابل لنا، وإذا بالمغيرة وأمّ جميل في وضع لا يدع شبهة للرائي، فهو بين فخذيها، وإذا الميل في المكحلة دخولاً وخروجاً بمرأىً ومسمع منّا، ويعلو الشخير ويرتفع.

هذا وقد وجب على كلّ منّا، وقد رأى وسمع، أن يؤدّي الشهادة. لإزاحة هذا الأمير الفاجر الفاسق الوقح، والذي يؤمّنا في الصلاة، وذلك أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وأنا صحابي مؤمن بالله ورسوله، وعليّ أن أرعى أحكام الله وسنن نبيّه، وقد سمعت رسول الله يقول: «كلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

كاشفنا المغيرة بما رأينا وطلبنا منه الاعتزال فأبىٰ، ولم يكن بمقدوره أن ينفي الأمر عن نفسه، والأمر تحقّق بالشهود، إضافة إلى سوابقه في الجاهلية والإسلام، وسلوكه الشاذّ، ونحن يحدو بنا الإيمان والإخلاص إلى تنزيه منصب الولاية من مثل هذا الوغد. فأعلنّا الأمر لمن أمّره، وهو يجلس مجلس رسول الله، إنّه عمر بن الخطّاب، وقد أحاط نفسه بأعوان وأنصار من أمثال المغيرة وبني أمية، فدعانا إليه بالمدينة، فشهدت أمامه بما رأيت بعيني وسمعت بأذني من شخير ونخير، وفعل الزنىٰ بين المغيرة وأمّ جميل، وأيّدني في الشهادة نافع وشبل بن معبد، حتىٰ إذا وجد عمر أنّ صاحبه يكاد أن يحقّ عليه الحدّ، فكيف يمكن إنقاذه؟ ولم يتبقّ من الشهود سوىٰ زياد، فلم يخفىٰ عنه رغبته في شهادة تمنع إقامة الحدّ على المغيرة ونظراً لأنّ الأمر لا يمكن إنكاره فقد شهد زياد ببعض الأمر الواقع القبيح والمشهد المخزي الذي رآه من احتضان المغيرة لأمّ جميل، ورؤيته له وهو مدلّىٰ الخصيتين، وسماعه لتنفّسه من شهيق وزفير عاليين، غير أنّه خالفنا بحقيقة واحدة فشهد بأنّه لم ير الميل يدخل في المكحلة ويخرج منها.

ونحن نقسم بعظمتك إلهي وجلالك أنّ عمر لم يشكّ أبداً بزناء المغيرة، فهو يعرفه حقّ المعرفة، ويعرف منه صفاته الشائنة المزرية، سواء في الجاهلية وفي الإسلام، ومع ذلك ما كان منه إلّا أن أهمل شهادات الشهود على عمل المغيرة القبيح مع ذات بعل، ولو لم يصحّ عنده عمل الزنا، أفلا تكفي شهادة زياد في ما رآه من عمل المغيرة مع ذات البعل؟ ومع هذا فقد طلب من المغيرة أن يحدّنا، ويقوم هذا الزاني الحقير فيقيم علينا الحد، وأراد تجديد الحدّ عليّ مرتين لولا عليّ!

قام عمر بعدها بنقل المغيرة من ولاية البصرة إلى ولاية أعظم شأناً وأجلّ قدراً وأوسع رقعة وهي ولاية الكوفة، مع أنّ جميع الناس يعرفون الواقع والواقعة، والصحابة المؤمنون منهم يتميّزون غيظاً من هذا التجرّي الفظيع والمنكر الفادح، دون أن يجسر أحدهم على التفوّه ببنت شفة، وقد قال الشعراء في ذلك أشعاراً، ووضع فيه المنتقدون آثاراً.

كيف لا والرذيلة تجري مجرى الفضيلة، والسيّئة تجري مجرى الحسنة، ورأس الفاجر يعلو فخراً، ويطأطئ المؤمن رأسه تحقيراً وذلاً، وحدود الله تنتهك، وسنن رسوله تغيّر وتبدّل، فهل يرجو أحد غير هذا بعد الانقلاب الذي جرى، والفتنة العظمى التي وقعت بعد رحيل رسول الله، وغصب الخلافة من أهلها؟ وهل ينتشر من ذلك الغصب سوى أمثال هذه المفاسد والفتن؟ وهل يأتي الغاصب بغير هؤلاء، وبحجج وأدلّة غير هذه؟ فعل عمر ذلك وهو الذي أجرى حدّ الزنى على أفراد وجدوا تحت لحاف واحد، وبشهادة فرد واحد! وهو الذي أقام حدّ الزنى على إمرأة ولدت لستّة أشهر، وأراد رجم متسابّين، ويقيم الحدّ ـ وهو مدمن على شرب النبيذ ـ على من شرب من نفس نبيذه. وهو الذي يجلد صائماً لمجرّد حضوره مجلس شرب، وأمثال ذلك من هذه المتناقضات العجيبة. وأنت أعلم به

منّا يا ربّ، ولا تخفىٰ عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

ما الذي يجب على الخليفة

ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وإن خالها تخفىٰ على الناس تعلم

لا يختلف تكليف الولي على المولّىٰ عليهم مهما اتّسعت رقعة ولايته، ومهما اختلف شأنها والولاية على أنواع: فللأب حقّ الولاية على أولاده وأفراد عائلته، وهو قدوتهم في العمل، فإن شُوهد في الولد حسن أو قبح قيل: الولد سرّ أبيه، وذلك لأثر تربيته فيه، وسيرته، والإحساسات المتبادلة بين الآباء والأبناء، وخير ما يوصي به الآباء في تربية أبنائهم تعويدهم على الفضائل والأخلاق السامية، وردعهم عن الرذائل، على أن تظهر آثار ذلك في أقوال الآباء وفي أفعالهم، والحذر كلّ الحذر من أن يقول الأب قولاً ويخالفه عملاً، كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾(١)؟ أو كما قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

وربّما حاول الأب الكذب على ابنه الطفل، مهما كان سبب ذلك، إمّا ردعاً له عن عمل، أو تخلّصاً من أسئلة له محيّرة، أو اختصاراً للكلام، وذلك بقول يخالف الواقع، أو عمل يجافي الحقيقة، ناسياً أنّ الطفل لا يخفىٰ عليه ذلك، نعم، فحتىٰ الطفل يعرف الحقيقة أحياناً، ولا تخفىٰ عليه خفايا الأمور، بيد أنّه يختلف عن الكبير بأن يخونه التعبير، فالذي يكتسبه من هذا السلوك إنّما هو الاقتداء بالتمويه والكذب الذي جاء به أبوه، جاهلاً أنّها عادة قبيحة مستهجنة، كيف لا وها هو أبوه يأتيها، فلم الحذر؟

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

يروىٰ أنّ أباً كان له طفل يبلغ الثالثة من العمر، ضمّتهما ذات يـوم غـرفة واحدة، وكلّ منهما منصرف لشأنه، فإذا بالأب يشعر بريح في بطنه يضايقه، ولم يكن في الغرفة من تتوجّب مراعاة الحشمة والخجل معه سوىٰ هذا الصغير، فأطلق الأب لنفسه حريّتها في إخراج الريح ليرتاح، فأحدث ذلك صوتاً سمعه الطـفل، فالتفت ناحية أبيه متسائلاً: ما هذا يا بابا؟

خِيّل للأب أنّ طفله من السذاجة وصغر العمر بحيث تجوز عليه كذبة صغيرة فأجابه: إنّه صوت تلك الذبابة، وأشار إلى ذبابة طائرة، نظر الطفل إلى الذبابة ولم يقل شيئاً، وبعد يومين، وكان الأب وطفله في الموضع نفسه، جرىٰ ما أثار دهشة الأب ـ خاصة وأنّه كان مربّياً ـ فقد أحدث الطفل الحدث نفسه.

وأطلق ريحاً مقرونة بصوت، ولمّا بادره الأب بالسؤال عن ذلك أجابه دون كبير اكتراث: إنّه صوت تلك الذبابة.

هذا المثال على بساطته كبير الدلالة، إذ يبيّن كيف يـجب عـلى الأب أن يتصرّف في مثل هذه الحال، وأن يحرص على الحقيقة والواقع مع أطفاله في كلّ الأمور صغيرها وكبيرها، ليكون لهم قدوة حسنة ومثالاً في قوله وفـعله، وقـلبه ولسانه، يقتدون به وينهجون نهجه، وأن تكون هذه التربية طبيعية حقيقية، خالية من الكذب والكلفة، ممزوجة بالعطف والرفق، بعيدة عن العنف والقسوة، مـبناها الحبّ لا الشدّة.

وعلى الأب أن يكون عارفاً أنّ لكلّ كبير وصغير من البشر غرائز تسوقه إلى إشباعها بشتّىٰ الطرق، إلّا إذا اقتنع نفسياً بضررها. أمّا إذا أجبر خـوفاً عـلى تركها فتراه يتحيّن الفرص لعملها في غياب أبيه، وهو حتىٰ في أصول المـجاملة والآداب والامتثال قد يظهر امتثاله لأبيه، ويمحّض إن أدار وجهه لمزه وهـمزه،

وترىٰ الأولاد، والأم أحياناً، يقومون بأدوار عجيبة عندما يجدون أنفسهم بعيدين عن أبيهم الشديد الفظّ. الضاغط على حرّيتهم دون مراعاة أصول وقواعد وجدانية وأخلاقية.

وهناك أعمال قد لا يقوم بها الأب المسنّ، لكن عليه أن لا ينسىٰ أنّها كانت تتملّكه حينما كان طفلاً أو يوم كان شابّاً، فيعطي حقّها للأطفال أو الشباب، وإن كانت مستهجنة فعليه التغلّب عليهم عقلياً ونفسياً، إقناعاً باطنياً، لا بالخوف والشدّة، وإنّه إذا فعل ذلك دون مراعاة خَلَقَ منهم بنين مرائين ذوي وجهين، ذوي رياء ونفاق، أو كذب وخداع، أو ذوي شراسة وصرامة، أو ممّن تغلّبت الرذيلة فيهم على الفضيلة فانحرفوا عن الطريق السوي.

وليس هذا شأن الأب فحسب بل ما الأب إلّا مصغّر هذا الولي والمربّي في القدرة والسلطان، فهناك المعلّم بين الطلاب، وربّ العمل بين العمال، ومدير الشركة، ورئيس القبيلة، وأمير الجيش، ومحافظ المدينة، وبالتالي السلطان، سيان أكان ملكاً أو خليفة أو ما شاكل، ولهذا قيل: الناس على دين ملوكهم، فأنت ترى الملك الصالح يقود الأمّة إلى الصلاح، والعالم يقودهم إلى العلم، والأديب إلى الأدب وهلمجرا.

ولنعد إلى التاريخ لنتصفّح الوقائع، ونستنتج منها الحقائق، فنرىٰ كيف أنّ ملوكاً شادوا وعمّروا، وارتقوا بأمّتهم إلى أسمىٰ قمم الثقافة والعمران، وآخرين نزلوا بهم إلى حضيض الجهل والغواية، وآخرين خلقوا في الأمّة الرحمة والبرّ والإحسان والمساواة والعدالة، وآخرين بذروا بذور النفاق والعصبية والخلاف والشقاق والمظالم. منهم من خلق الأخلاق السامية والمثل العالية، وآخرون الخصام والعجرفة والسفه والخسّة.

ولم يكن فتح البلدان وتوسعة رقعة المملكة عنواناً على التقدّم وفخراً للأمّة كلاّ، فهناك أمثال جنكيزخان وهولاكو من التتر والمغول، ممّن توسّعوا وخلقوا الوبال والدمار، بل العنوان هو العدالة الاجتماعية، وإسناد الأعمال لذوي الكفاءات والمخلصين الأتقياء من ذوي الدراية والعلم، وذي النفوس الطاهرة المشبعة بروح الإنسانية والعطف والبرّ والإحسان، على أساس: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الذين يتحسّسون بأدنىٰ ما يتحسّسه المسوس تحت رعايتهم وسلطتهم. وأذكر للمثل ما جاء في «الرياض النضرة» ج٢ ص: ٥٧، و«الفتوحات الإسلامية» ج٢ ص ٤٠٨، و«نور الأبصار» ص ٦٥: أنّه لمّا رجع عمر بن الخطّاب من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبارهم، فمرّ بعجوز في خبائها فقصدها، فقالت: يا هذا ما فعل عمر؟ قال: هو ذا قد أقبل من الشام. قالت: لا جزاه الله عنّي خيراً. قال: ويحك، ولم؟ قالت: لأنّه والله ما نالني من عطائه منذ ولي إلى يومنا هذا دينار ولا درهم، فقال: ويحك، وما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله، ما ظننت أنّ أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين شرقها وغربها.. فقال: كلّ واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر.

نعم، إنّ من يتزعّم أمّة يجب أن يكون أعلم وأحكم وأتقىٰ وأبرّ وأخلص أفراد الأمّة، وأعدلهم وأعظمهم رحابة صدر، وأفقههم في الدين، وأوعاهم بمشاكل الأمّة، وأدراهم بالقاصي والداني، والغني والفقير، وأبذلهم جهداً لتحمّل المشقّات، وتحرّياً لحاجاتهم ونواقصهم، هذا ما يرجوه فيه أفراد الأمّة أفراداً وجماعات، وهذا ما يلزم أن يتحسّسه، فهلا استمعت إلى حديث عليّ؈ في رسالته إلى عثمان بن حنيف يوم سمع أنّه دعي إلى وليمة، فكتب إليه:

«أمّا بعد يا بن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى

مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان[١]، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ[٢]، وغنيّهم مدعوّ. فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه. ألا وإنّ إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد... الخ».

وعلى الوليّ والسلطان العدل والمساواة، دون تفاوت بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد. ومن أقوال عليﷺ في عهده إلى مالك بن الحارث الأشتر حينما ولّاه ولاية مصر:

«أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوىٰ من رعيّتك، فإنّك إن لا تفعل تَظْلِمْ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً حتىٰ ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد..» إلى قوله:

«وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعيّة، فإن سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة، وإن سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة، وليس أحد في الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عن ملمّات الدهر من أهل الخاصّة، وإنّما

---

(١) الجفان: جمع جفنة وهي القصعة.

(٢) مجفوّ: أي مطرود، من الجفاء.

عماد الدين وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء، العامّة من الأمّة، فليكن صفوك لهم، وميلك معهم..».

في الجمل المتقدّمة يحرّض الإمام على اتّباع الحقّ وإجراء العدل دون محاباة لأحد من الخاصّة، بل مراعاة العامّة. ثمّ يعود الإمام عليّ يحرّض مالكاً في «عهده» على انتخاب الأخيار للولاية والوزارة بالكلمات التالية:

«إنّ شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شَرِكهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانة، فإنّهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممّن لا يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه...» إلى أن يقول:

«ولا تنقُض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك..».

ويتابع عليه السلام قوله إلى أن يأتي للكلام في من يوليه من الجنود فيقول:

«فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممّن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممّن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف، ثمّ الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثمّ أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنّهم جماع من الكرم، وشعب من العرف، ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّده الوالدان من ولدهما..».

ثمّ يتابع كلامه فيعطف إلى العدالة ومودّة الرعية بقوله: «وإنّ أفضل قرّة عين

الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية». إلى قوله: «ولا يدعونّك شرف أمرىء إلى أن تعظّم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً»، إلى أن يقول في كيفيّة انتخاب الحكّام وفي أوصافهم: «ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ممّن لا تضيق به الأمور، ولا تمحّكه[1] الخصوم، ولا يتمادىٰ في الزلّة، ولا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى منهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصدقهم عند اتّضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثمّ أكثر تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علّته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوىٰ، وتُطلب به الدنيا».

«ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباة ولا أثرة، فإنّهما جماع من شعب الجور والخيانة. وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقِدَم ـ في الإسلام ـ المتقدّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً. ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثمّ تفقّد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإنّ تعاهدك في السرّ لأمورهم قدوةٌ لهم

---

(١) تمحّكه: أي تسيء خلقه.

على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية». إلى أن يقول عليه السلام:

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد..». إلى أن قال: «واجعل لذوي الحاجات منك قِسْماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتُقعِد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرَطك، حتى يكلّمك متكلّمهم غير متَتَعْتِع. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: «لن تقدّس أمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع».

«ثمّ احتمِل الخرق[1] منهم والعي». ويعود متحدّثاً عن القسط والعدالة فيقول عليه السلام: «وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك في قرابتك وخاصّتك حيث وقع».

ثمّ يقول: «وإيّاك والاستئثار[2] بما الناس فيه أسوة، والتغابي[3] عمّا تعني به ممّا قد وضح للعيون، فإنّه مأخوذ منك لغيرك، وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويُنتصف منك للمظلوم.

جاء في ما تقدّم ذكر طرف من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر، وفيه أحكم الآراء في سلوك الولاة والملوك في انتخاب الحكّام والأمراء، وأصول العدالة والبرّ والإحسان والتواضع، وتفقّد حاجات الناس، وعدم استئثارهم في شيء، أو محاباة فردٍ على آخر في الحكم سواء أكان ذلك الفرد قويّاً أو ضعيفاً،

---

(١) الخُرق: العنف، ضدّ الرفق.

(٢) الاستئثار: تخصيص النفس بزيادة.

(٣) التغابي: التغافل.

قريباً أو بعيداً. والتحذير من استعمال الأشرار، وحديثي العهد بالإسلام، ممّن لم يعهد فيهم سموا الخلق، وممن لهم سابقة في المفاسد، ومن ذي الأحساب الوضيعة، والاستفادة ممّن هو أعرق نسباً، وأسبق إيماناً، وأكثر برّاً وإحساناً، وأزكىٰ نفساً، وأرقّ حسّاً، وأسمىٰ خلقاً.

وهكذا كان علي ﷺ قولاً وفعلاً، فما قال شيئاً إلّا وعمل به، وما قال شيئاً إلّا وصدق فيه، وحاشاه أن يتناقض في قول أو فعل، وعلى هذا ربّىٰ أبناءه. فكان الحسن والحسين كما وصف القرآن الكريم أهل البيت في آية التطهير، وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم، فكانوا قولاً وفعلاً أصدق لهجة، وأزكىٰ وأتقى وأعلم وأحكم أفراد الأمّة، أُباة أحراراً مخلصين، وقد أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ودافعوا عن دين جدّهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، وحسبك يوم الطف.. فهل تجد له مثيلاً في التضحية من أبيّ الضيم الحسين؟ ذلك اليوم الخالد، ذلك اليوم الأغرّ، ذلك اليوم الذي كان فيه لسان حال الحسين:

إن كان دين محمد لم يستقم ... إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

لقد ضحّىٰ بنفسه بعد تضحيته ببنيه وإخوته ورجال أسرته وخيرة صحابته، وأسر أطفاله ونسائه، وبرهن بهذه التضحية على أسمىٰ التضحيات، وأعطىٰ دروساً للعالم في عزّة النفس والنبالة والكرامة، والذبّ عن كيان الدين، وإقامة نهضة ظلّت تقاوم الظلم والاستبداد، وترك شيعةً ظلّوا يسيرون على منهجه القويم، وهذا نبع من أصل ذلك الطود العظيم الذي عظم كأصله، وبرهن على أنّه إمام يقتدىٰ به، وسيّد ومفخرة يفتخر به.

ولنعد إلى عبدالله بن عمر الذي أشار المنافقون على أبيه بتنصيبه خليفة وهو أدرىٰ بخلقه، فلا هو من أهل الدنيا فيستطيع كبني أمية وبني العباس أن يشيد

ملوكيّة دنيوية، ولا هو من أهل الآخرة فيبرهن كعترة رسول الله على مثل التضحيات التي قدّمها الحسين وآل علي، وقد برهن على تذبذبه وذلّته، فاعتزل مبايعة علي إمام المتّقين وناوأه، ومال إلى معاوية الكافر الفاجر، الذي عرف فيه ما يجب أن يعرفه، فما بلغ منه حتىٰ درجة عمرو بن العاص الفاجر، ولا المغيرة الزاني المنافق، وأذلّه الله حينما مدّ في عمره ليرىٰ الذلّة بعد الذلّة، ويندم على عدم مبايعته علياً، وأيّ ندم!

أتعرف أيّها القارئ الكريم متىٰ ندم؟ لقد ندم يوم أراد مبايعة الحجاج عامل عبدالملك بن مروان فمدّ له ذلك النجس رجله ليبايع حذاءه، فبايع!! فيا للخسّة ويا للذلّة له ولمن خلّفه، وليته كان حيّاً ليرىٰ من ولّاهم على رقاب الناس من آل أمية وآل بني معيط، كيف استخفّوا به وازدروا بنيه، واستحلّوا المحرّمات، ولم يرعوا فيه ولا في صنيعه معهم من تثبيته الحكم لهم إلّاً ولا ذمّة، ومن زرع بذرة النفاق والظلم بتحويل الخلافة من آل الرسول إلى آل أميّة، حقّ له ذلك في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزىٰ.

ملكنا فكان العفو منّا سجيّة ... ولمّا ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

وإذا عدنا إلى صدر الإسلام وما قاساه رسول الله ﷺ من أبي سفيان وبني أمية وشيعتهم، ومن قريش، وكيف عفا عنهم وصفح عمّا بالغوا فيه من أذيّته وقتاله، بتلك العزّة والمنّة، وإذا بهم لم يألوا جهداً في عدائهم لأهله وشيعتهم قتلاً ونهباً وسمّاً وسبّاً وتعذيباً.

الحرّ حرّ وإن جار الزمان به ... والعبد عبد وإن طوّقته ذهبا

نعود ثانية إلى ما بدأنا به لنتكلّم عن أثر الأب في أبنائه، والمعلّم في طلّابه،

ومدير العمل في عمّاله، وكلّ سيّد في رعيّته الذين هم تحت سلطته، والناس على دين ملوكهم، فإن كان خيّراً انتخب الأخيار، وتوجّهت الدولة، إلى العدالة، وساد الأبرار، ومنع الأشرار، وإن كان شرّيراً انتخب المنافقين والانتهازيّين والأشرار فسلّطهم على رقاب الناس، ومدّ سلطانهم عليهم، إذ لم يجد في الأبرار والأخيار بغيته من إطاعة وتحقّق ما يريد، ثمّ بالعكس أخمد أنفاس ذوي الكفاءات والحكماء والعلماء، فالأوّل جرّ إلى الحكم من كان على شاكلته حتىٰ ساد الناس العدل والمساواة، وساد ذوو القابليّات، أمّا الثاني فـفعل عكس الأوّل، وصدق القول: الناس على دين ملوكهم.

وكذلك نحن نصدّق المثل الآخر: الكلام صفة المتكلّم، والعمل صفة العامل، والإدارة صفة المدير، وسيرة الدولة صفة السلطان. وحقّ لرسول الله يوم نصح أمّته أن يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا». أي: اتّبعوا كتاب الله، وهذا الكتاب يحتاج إلى من يعرف تأويله وهم عترتي أهل بيتي، فإن تركتم أحدهما تخلّفتم حتماً عن الثاني، إن تركتم الكتاب فقد تركتم عترتي، وإن تركتم أهل بيتي فلن تجدوا من يهديكم إلى تأويل الكتاب وضللتم، فعليكم باتّباعهما معاً إن شئتم أن تهتدوا ولا تضلّوا. وصدق الله عزّ من قائل: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلف من قبله الرسل أفإنْ مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (١)؟

لقد تركوا السبيل الذي أمرهم به، وساد الناس من هو مفتقر إلى أن يهتدي بآل بيت رسول الله لو كان يؤمن بالله ورسوله، ويتّبع حدود الله وسنّة رسوله، ولقد اعترف الأوّل بجهله وعدم قابليّته للحكم حينما قال: «أقيلوني فلست بخيركم»!

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

إنّه إقرار واعتراف بأنّه ليس بخيرهم حينما أعياه الجواب أمام حجج الزهراء عليها السلام بضعة رسول الله، وحجج زوجها إمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين»، ووصيّ رسول الله، ووليّ المؤمنين وأميرهم حقّاً وصدقاً، و«يعسوب الدين، والفاروق الأعظم، والصدّيق الأكبر» على حدّ قول رسول الله. واعترف الثاني حينما قال: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرّها». وحين اعترف مراراً بجهله إذ قال: «حتىٰ النساء أفقه منك يا عمر»، وإلى اعترافه بأنّ علياً مولاه، بقوله مراراً وتكراراً: «لولا عليّ لهلك عمر». واعترافه لمّا أحال أعرابيين متخاصمين إلى علي ليفصل بينهما ففعل، لكن أحدهما استصغر عليّاً وحكمه، فنعته عمر بالنفاق تأسياً على قول الرسول بأنّه لا يكره علياً إلّا منافق. إلى اعترافه حين كان يعرض صفات أعضاء الشورىٰ حتىٰ إذا بلغ عليّاً قال: إنْ وليها أقامهم على الحقّ، فسأله ابنه عبدالله: وما يمنعك من توليته فيجيبه: لا أريد أن أتحمّلها حيّاً وميتاً؟! فكيف أدلي بها إلى بني أمّية إذاً؟ حتىٰ أعقب ذلك الفتن والمجازر، إذ ترك شرار الناس يعبثون بخيارهم!

إنّه من جهة يعترف بمقام علي وينزّهه، ويعترف بأقوال رسول الله فيه، ويعترف أنّه صلى الله عليه وآله أراد النصّ على توليته كتابة في مرض موته، لكنّه حال دونه وذلك، ومع هذا يعترف بفضله وعلمه.

لكنّه من جهة أخرىٰ يهدّده بمعاوية حين دعاه بكسرى العرب، ويولّيها عثمان، ولو ترك النصّ يأخذ مجراه لكان خيراً له وللمسلمين، لكنّه ترك بذرة النفاق في قلب طلحة والزبير، وسعد وابن عوف وعثمان، حتىٰ حسب كلّ منهم أنّه نظير لعلي، وما قاد هذا إليه من نشوب حرب الجمل وغيرها.

سيّدٌ ينتخب من عمّاله رجالاً لا على أساس التقوىٰ والسابقة والعلم

والحكمة والدين والإخلاص، بل على أساس العنصرية والقبلية والعصبية الجاهلية، والأثرة والأغراض الشخصية، ويعاملهم لا على أساس العدالة والمساواة وأحكام الله وسنن نبيّه في العزل والنصب، والتفهيم والتنبيه، فمن هو معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأمثالهم؟ وما هي سابقتهم، وما هو مدىٰ حرصهم على الإسلام والمسلمين؟ وما هو دينهم وعلمهم إذا ما قيسوا بالأنصار والمهاجرين؟ لقد رأينا أفعالهم، وها هو التاريخ يحكي لنا عن خصالهم من بعدٍ عن الدين ونقضٍ لأحكام الله وسنن نبيّه، وقتلٍ لأخيار المسلمين ومن بينهم عترة رسول الله عدول القرآن وأنصار رسول الله، وخياناتهم باستباحتهم المحرّمات وتحريمهم المستحلّات، وكيف لا يقومون بما قاموا به وهذا إمامهم وقدوتهم الذي سلّطهم على رقاب المسلمين، يسبقهم بغصب حقّ عترة رسول الله، واستحلال حرامه، ومنع أحكام الله كالمتعتين، وما أفتىٰ به من الفتاوىٰ الكثيرة المخالفة للكتاب والسنّة، ممّا تقدّم ذكره وممّا سيأتي مع اعترافه بالجهل هو ومن عهد إليه بالخلافة، فكأنّهما يملكان رقاب المسلمين يعملون بها ما يشاءان، فينصّبان من أرادا من الكفرة الفجرة، ويجتهدان حتىٰ في نصوص القرآن والسنّة، ويمنعان حكم الله وسنّة رسوله علناً على المنابر، ويهدّدان فاعل المباح من أحكام الله بالعقاب الصارم (راجع: «النص والاجتهاد» للعلّامة السيد عبدالحسين شرف الدين، وراجع ما ذكرناه في الشكايات الماضية وما سنذكره في الآتية مع مساندها.

كانا وحاشيتهما يعاملون أهل بيت الرسالة وعترة النبوّة معاملة من هو خارج عن دين الله ودين رسوله، فمنعوا الخمس بعد أن منعوا الزكاة، وأصبحت أفعالهم بمرور الزمان تأخذ صبغة شرعية على أيدي الخلفاء من بني أميّة، ومن

جاء بعدهم من بني العباس، لأنّ مبنىٰ حكومتهم يقوم عليها لأنّها حكومة الغصب والإحاطة بذوي الحقّ من أئمّة الهدىٰ من ذرّية رسول الله وأتباعهم وأنصارهم وشيعتهم.

وتريد بعد هذا أن تقوم للإسلام قائمة حقّ، وأن يعمّ الإسلام العالم؟ وتحسب أنّ مجرّد الفتوح بعد رسول الله إنّما هي بغية الإسلام، ألا تجدّد تشتّت الكلمة وضعف الحجّة، والتفرقة وقيام المذاهب والعقائد التي يتبرّأ منها الإسلام ونبي الإسلام.

أنتم أيّها المحدّثون والمؤرّخون، تكتبون عن رسول الله أحاديثه المعقولة ثمّ تنقضونها بأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان؟ ترفعون مقام رسول الله وعترته طوراً بأدلّة وبراهين، وآيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وتنقضونها طوراً بما دسّه أعداؤهم ممّا لا يتّفق والمنطق السليم؟

الأسناد في صحّة زناء المغيرة

سند لي في ما يلي بأحاديث من أهل السنّة مؤيّدة لمّا مرّ من شكاية شهود المغيرة: جاء في «الأغاني» لأبي الفرج الأبهاني ج١٤ ص ١٤٦، و«تاريخ الطبري» ج ٤ ص ٢٠٧، و «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٥٢، و«تاريخ الكامل» لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٨، و«تاريخ ابن خلّكان» ج ٢ ص ٤٥٥، و«عمدة القاري» ج٦ ص ٣٤٠، و«تاريخ ابن كثير » ج٧ ص ٨١، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٣ ص ١٦١، و«السنن الكبرى» للبيهقي ج٨ ص ٢٣٥، عن أنس بن مالك:

أنّ المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، وكان أبو بكرة (نفيع الثقفي) يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: إلى حاجة. فيقول له:

حاجة ماذا؟ إنّ الأمير يزار ولا يزور.

قال: وكانت المرأة أمّ جميل بنت الأفقم، التي يأتيها جارة لأبي بكرة، قال: فبينما أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ورجل آخر يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفة تلك المرأة بحذاء غرفة أبي بكرة، فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته، فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال أبو بكرة: هذه بليّة ابتليتم بها فنظروا، حتىٰ أثبتوا. فنزل أبو بكرة حتىٰ خرج إليه المغيرة من بيت المرأة فقال له: إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا. قال: وذهب ليصلّي بالناس الظهر فمنعه أبو بكرة وقال له: والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصلّ فإنّه الأمير! وأكتبوا بذلك إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه أن يقدموا عليه جميعاً: المغيرة والشهود.

قال مصعب بن سعد:

إنّ عمر بن الخطاب جلس ودعا بالمغيرة والشهود، فتقدّم أبو بكرة فقال له: أرأيته بين فخذيها؟ قال: نعم والله، لكأني أنظر إلى تشريم جدريّ بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له: لم أك قد أثبتّ ما يخزيك الله به! فقال له عمر: لا والله حتىٰ تشهد لقد رأيته يولج المرود في المكحلة. فقال: نعم، أشهد على ذلك. فقال له: اذهب مغيرة ذهب رُبعك.

ثمّ دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة. قال: لا، حتىٰ تشهد أن يلج فيه ولوج المرود في المكحلة.

فقال: نعم حتىٰ بلغ قذذه، قال: اذهب مغيرة ذهب نصفك.

ثمّ دعا الثالث فقال: علامَ تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبيّ. فقال: اذهب مغيرة، ذهب ثلاث أرباعك، ثمّ كتب عمر إلى زياد فقدم على عمر، فلمّا رآه جلس له في المسجد اجتمع له رؤوس المهاجرين والأنصار، فقال المغيرة: ومعي

كلمة قد رفعتها لأحكم القوم. قال: فلمّا رآه عمر مقبلاً قال: إنّي لأرىٰ رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين!! فقال: يا أمير المؤمنين أما أنّ الحقّ ما لحق القوم فليس ذلك عندي، ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت أمراً حثيثاً وانبهاراً، ورأيته قد بطنها. فقال له: أرأيته يدخله كالميل في المكحلة؟ فقال: لا.

وفي لفظ قال: رأيته رافعاً رجليه، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها، ورأيت خفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً.

وفي لفظ الطبري: رأيته جالساً بين رجلي امرأة، فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان، واستين مكشوفتين، وسمعت خفزاناً شديداً، فقال له: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المحكلة؟ فقال: لا، فقال عمر: الله أكبر قم إليهم فاضربهم!!

فقام إلى أبي بكرة فضربه ثمانين، وضرب الباقين، وأعجبه قول زياد، ودرأ عن المغيرة الرجم! فقال أبو بكرة بعد أن ضرب: فإنّي أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا، فهمّ عمر بضربه، فقال له علي: إن ضربته رجمت صاحبك! ونهاه عن ذلك.

لقد رأينا وسنرىٰ أنّ المغيرة وفسقه وزناه أشهر من أن يستطيع عمر يجدّه شهود المغيرة، ـ أن يبعد التهمة عنه ـ وعمر لا تعزب عنه الحقيقة الناصعة الواضحة، وهو الذي يقيم الحدّ على الشكّ والشبهة، كما تقدّم وكما سيأتي، وهو الذي خاطب المغيرة لما وافقت أمّ جميل عمر بالموسم، والمغيرة هناك، وإذا بعمر يسأل المغيرة عنها، فيجيبه: هذه أمّ كلثوم بنت علي!! فقال له عمر: أتتجاهل عليّ، والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلّا خفت أن أُرمى بالحجارة من السماء.

أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» ج ١٤ ص ١٤٧، وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ص ١٦٢ و ص ١٦٣. وفيها هجاء حسان للمغيرة بن شعبة:

لو أنّ اللوم ينسب كان عبداً قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين والإسلام لمّا بدت لك عذوة ذات النصيف

وراجعت الصبا وذكرت لهواً من القينات في العمر اللطيف

فهل ترىٰ هنا أنّ حسّاناً ومن نقل عنه الشعر، وأخصّ منهم ابن أبي الحديد، وهو يؤيّد زناء المغيرة، بيد أنّه حاول أن يبرّئ عمر بقوله: يستحبّ للإمام درء الحدّ وإن غلب عليه الظنّ أنّه قد وجب الحدّ!

نرىٰ هنا تناقضاً في أقوال ابن أبي الحديد وخطأ في محاولته خلق عذر لعمر في درئه الحدّ عن المغيرة، بعد اعترافه بأنّ عمر يخاطب المغيرة ويؤكّد لك زناءه في الكعبة كما مرّ، وأنّ عمر ـ وقد حصل له اليقين من الشهود الثلاثة الأوائل ـ تراه يتوسّل إلى زياد، ويبدي له رغبته بعدم الشهادة بقوله: أرجو أن لا يرجم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على يده، ولا يخزي بشهادته (كما جاء في «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٥٣. فما معنىٰ هذا الرجاء سوىٰ أنّه يفهم زياداً برغبته في عدم إدلائه بشهادته على النحو الذي أدلىٰ بها الشهود قبله، وذلك ما أدركه زياد، فغيّر شهادته، فأتىٰ بنفس المعنىٰ مع تغيير في اللفظ بقوله: إنّه رأىٰ أستين مكشوفتين، وخصيتين تتردّدان بين فخذي أمّ جميل، وقدمين مخضوبتين تخفقان، وأنّه سمع خفراناً شديداً ونفساً عالياً، ورآه متبطّناً لها!!

فما هو النكاح، وما هو الزنىٰ من رجل يعمل ذلك بذات البعل، وقد شهد ثلاثة قبله بنفس المعنىٰ، وأضافوا دخول الميل في المكحلة. وهل إنّ عدم ذكره لذلك دليل على براءة المغيرة، بعد أن قال إنّه رأى مجلساً قبيحاً؟ وما تبع ذلك كما مرّ من التبطّن وتدلّي الخصيتين وتعرّي الإستين و و... ؟

وما الذي أدّىٰ إلى خوف عمر من أن يرمى بحجارة من السماء سوىٰ أنّه برّأ

الزاني وعاقب البري؟ وإذا أراد عمر درء الحدّ بالشبهات عن المغيرة استحباباً فكيف أقام الحدّ على ثلاثة من الأبرياء بينهم صحابي مؤمن ثابت الإيمان، ومن العبّاد، وهو أبو بكرة؟ وكيف أراد أن يعيد عليه الحدّ لمجرّد أنّه أصرّ على رأيه وقال: رأيت وسمعت؟ أيدرأ الحدّ عن زان قيل عنه إنّه كان أزنى الناس في الجاهلية والإسلام؟ (راجع «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٣ ص ١٦٣، نقلاً عن المدائني.

وعمر هو الذي أفتىٰ بضرب خمسين على من وجد مع امرأة في لحافها وعلى فراشها، كما أخرجه محمد بن إدريس الإمام الشافعي في كتاب «الأم» ص ١٧٠. وكما أخرجه الطبراني والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦ ص ٢٧٠، حول إقراره حكم ابن مسعود في رجل وجد مع امرأة في لحاف، فضرب كلاًّ منهما أربعين سوطاً، كحدّ للزنىٰ، وأقامهما للناس.

هناك لعمري أمثالها من الفتاوىٰ الدالّة على جهله في الفقه، وعدم تمسّكه كما ادّعىٰ ابن أبي الحديد ـ بدرئه الحدود بالشبهات، بل هو على العكس من ذلك، يأخذ بالظنّ والشبهة، والاجتهاد الخاطئ، من ذلك حكمه بالرجم على امرأة ولدت لستّة أشهر، كما أخرجه الحافظ عبدالرزاق وعبد بن حمد وابن المنذر مسنداً إلى الدؤلي، وكما أخرجه الحافظان: ابن أبي حاتم والبيهقي عنه، والحافظان: العقيلي وابن السمان عن أبي حزم بن الأسود، وأنّ عليّاً لمّا بلغه الخبر منعه عن ذلك بعد أن أثبت له أنّ حملها ووضعها طبيعيّان، وبعد تلاوته عليه الآيات: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[1]. وقوله تعالىٰ: ﴿والوالدات يرضعن

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

أولادهن حولين كاملين﴾[1]، وقوله تعالى:

﴿وفصاله في عامين﴾[2].

فعندها قال عمر: «لولا علي لهلك عمر». وعلى قول: قال عمر: «اللهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب»[3].

فلماذا لم يستشر هنا علياً في أمر المغيرة والشهود، وهو الذي طالما اعترف بضعفه وقال: «لولا علي لهلك عمر»، وقال... وقال:

وكيف أراد أن يقيم الحدّ ثانية على أبي بكرة، رغم قسمه بأنّ المغيرة فعلها؟ لولا أن منعه علي وهدّده بإقامة الحدّ على المغيرة، باعتبار أنّ عمر إن أقام الحدّ على المغيرة مرّتين فقد اعتبره اثنين، وأنّه قام مقام شاهدين، وعندها تكون الشهادة كاملة من أربعة، وعندها يتوجّب إقامة الحدّ على المغيرة.

ولا ننسىٰ أنّ عليّاً وجد أنّ المغيرة زانٍ ووجب عليه الحدّ، وهدّده بذلك إن ولي الأمر بقوله: لئن أخذت المغيرة لأتبعنّه أحجاره، كما جاء في «الأغاني» ج ١٤ ص ١٤٧.

لذا نرىٰ أنّ المغيرة في زمن معاوية ولا سيّما حين تخلّص من علي، وصفا له الجو، بدأ في النيل من علي.

قال ابن الجوزي: قدمت الخطباء إلى المغيرة من شيعة الكوفة، فقام صعصعة ابن صوحان رضي الله عنه فتكلّم. فقال المغيرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن عليّاً

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٣) «السنن الكبرىٰ» ج٧ ص٤٤٢، و«مختصر جامع العلم» ص ١٥٠ و«الرياض النضرة» ج٢ ص١٩٤ و«ذخائر العقبىٰ» ص٨٢ و«تفسير الرازي» ج٧ ص٤٨٤ و«أربعين الرازي» ص٤٦٦ و «تفسير النيسابوري» ٢ في سورة الأحقاف، و«كفاية الكنجي» ص١٠٥.

(وكان صعصعة من خيار الصحابة) فقال: لعن الله من لعن الله ولعن عليّاً بن أبي طالب، فأخبر بذلك فقال: أقسم بالله لتقيّدنه، فخرج فقال: إنّ هذا يأبىٰ إلّا عليّاً بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله، فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه.

جاء في «رسائل الجاحظ» ص ٩٢، و«الأذكياء» ص ٩٨، وأخرج ذلك أحمد في «مسنده» ج ٤ ص ٣٦٩، عن قطبة بن مالك أنّ المغيرة كان يسبّ عليّاً.

فانظر إلى أمثال هؤلاء الأمراء والولاة الذين كان عمر يولّيهم، ويسند إليهم أمور المسلمين، ويسلّطهم على رقابهم وأموالهم، مع أنّه كانت تثبت له أعمالهم الفاسدة منذ الجاهلية وفي الإسلام، بينما من حوله فطاحل الصحابة من المهاجرين والأنصار، ممّن تشبّعوا بالإخلاص والإيمان بكتاب الله وسنن نبيّه، فأبي إلّا أن يولّي أمثال المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية، باعتبار أنّه كان يعدّهم في مصافّ الدهاة، بينما المعوّل على الدين والإسلام ومصالح المسلمين، لا على الملوكية والتوسعة الجاهلية، المعوّل على العدل والمساواة وعلى إجراء أحكام الله وسنن رسوله، والنهي عن الظلم والفحشاء والغدر والخيانة، والغصب والقتل والتنكيل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى البرّ والإحسان.

نعم.. فهذا المغيرة الداهية، وهذا عمر أمير المؤمنين، وهذه أفعالهم وصنائعهم في الإسلام والمسلمين، هذا الزاني الفاجر يميّزه عمر ويسنده على مرأىٰ ومسمع من الصحابة من المهاجرين والأنصار، وهذا هو حكمهم كما رأيت، يحكمون به متىٰ شاءوا وينقضونه كما شاؤوا، يبرّئون الجاني ويعاقبون البريء، ويولّون أعداء الله ورسوله على رقاب المسلمين، ويوقعون بالصحابة البررة والأخيار أمثال أبي بكرة وصعصعة بن صوحان، ويصبّون نقمتهم على من أمر بمعروف ونهىٰ عن منكر!

فهل عرفت أيّها القارئ الكريم كيف يكون الناس على دين ملوكهم؟ فاحكم بالله عليك، هل يقوم أمثال أبي بكرة، بعدما جرىٰ، ومهما رأوا من المغيرة وأمثاله من مفاسد ومنكرات، هل يقومون باستنكار فعالهم والتعرّض لهم ونهيهم عن أعمالهم؟ كيف وهم الذين لاذوا بأمير المؤمنين ليدفع ظلمه وأذاه عنهم، فإذا به يجعل من نفسه خصماً لهم، وينكّل بهم بأقسىٰ ما يكون التنكيل، كأنّهم هم الزناة الفجرة، والفساق المردة وإذا بالمغيرة يغدو، على رؤوس الأشهاد، بريئاً مرفوع الرأس عالي القدر، وإذا به وهو الزاني الحقير يرفع درجات، ويسند إليه إقامة حدّ ظالم على الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، بأقسىٰ ما يكون العقاب على من صادر حدود الله وأحكامه.

ترىٰ، أكان عمر يحسب حساباً لعذاب الله في الدنيا والآخرة؟ أتراه كان يؤمن بالله وكتابه وسنن نبيّه وهو يقول للمغيرة: والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلّا خفت أن أرمى بالحجارة من السماء! قالها لمّا وافقت أمّ جميل عمر بالموسم والمغيرة هناك، وهو يسأله عنها. (راجع «الأغاني» ج ١٤ ص ١٤٧، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٦٢.

ما بال عمر وهو الذي يعتقد بزناء المغيرة في قسمه ذاك، لا يخش من تبرئة المغيرة الزاني، ومن إجراء الحكم على البررة الأبرياء، وخطابه للمغيرة في الموسم، وفي مكّة المكرّمة، وفي بيت الله الحرام، فانظر إلى هذا المشهد، واستمع إلى هذا القول الذي ينجلي على لسان عمر عن الإعتراف دون خوف يخالجه من عمله، بل يرى الخوف عند المغيرة، وهو يدري أنّ المغيرة يعرف حقّ المعرفة أنّ عمر الذي برّأه قد تحقّق عنده صدق أبي بكرة وبقية الشهود، وأنّه قد حاباه فعفا عنه، حتىٰ أنّه حاباه عن الزجر والتوبيخ دون خوف ولا حذر لا من الله ولا من

الناس، وألقىٰ تبعة الأمر على الأبرياء صحابة رسول الله!!

فبخٍّ بخٍّ للخليفة وأعوانه أمثال المغيرة، ومعاوية كسرىٰ العرب، و عمرو بن العاص وغيرهم، لكن الله للظالمين لبالمرصاد ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**﴾[1]. ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾[2].

ويستشهد شهود المغيرة (بالآية المتقدّمة) إذ إنّ عمر أقام عليهم الحدّ دون أن يثبت مقتضاه.

راجع بذلك «طبقات ابن سعد» ج٣ ص ٢٠٥، في أحوال عمر، كما أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» بأسانيد معتبرة:

أن بريداً قدم على عمر فنثر كنانته فبدرت صحيفة فأخذها وقرأها فإذا بها:

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً ... فدىً لك من أخي ثقة إزار

فلا تصنا هداك الله إنا ... شغلنا عنهم زمن الحصار

فما قلصٌ وجدن معقّلات ... قفا سلع بمختلف البحار

قلائص من بني سعد بن بكر ... وأسلم أو جهينة أو غفار

يعقّلهنّ جعدة من سليم ... معيداً يبتغي سقط العذار

فعند ذلك يدعو جعدة من سليم ويجلده مائة جلدة معقولاً، ونهاه أن يدخل على امرأة نسيبه. فأين الشهود الأربعة الذين طلبهم للمغيرة، وكيف ثبت له الزنىٰ؟ وإن صحّ أنّ جعدة عمل شيئاً فكان عليه أن يعزّره، وذلك بعد الثبوت، وأن يجلده أقلّ من عشر. أهكذا التلاعب بأمور المسلمين، وهكذا نقض العدالة؟

تمّ الكتاب بإشاءةِ الملك الوهّاب.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

فهرس المصادر

فهرس المصادر

الطبقات الكبرى .... لابن سعد

الجمع بين الصحيحين .... للحميدي

الموفقيات .... للزبير بن بكار

التاريخ الكبير .... لابن عساكر

الغدير .... للعلامة الأميني

الرياض النضرة .... لمحب الدين الطبري

المحاضرات .... لابن السمّان

الموافقات .... للراغب الإصبهاني

الآثار .... لأبي يوسف

الطرق الحكميّة .... لابن القيّم الجوزية

الأم .... للإمام الشافعي

أحكام القرآن .... للجصّاص

الأصابة في معرفة الصحابة .... لابن عبدالبرّ

التمهيد .... للباقلاني

أسنى المطالب ....

الامام علي بن أبي طالب .... للاستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود

السيرة النبوية .... لابن هشام

المبسوط .... للسرخسي

الفهرست .... لابن النديم

الإتقان في علوم القرآن .... لجلال الدين السيوطي

السيرة الحلبية .... للحلبي

الإفادة والاعتبار .... لعبداللطيف البغدادي

المواهب اللّدنيّة .... للقسطلاني

الأغاني .... لأبي الفرج الإصبهاني

التذكرة .... لسبط ابن الجوزي

العقد الفريد .... لابن عبد ربّه الأندلسي

الفائق .... للزمخشري

الاستيعاب .... لابن عبدالبرّ

الخلفاء الراشدون .... لعبدالوهاب النجار

المستدرك .... للحاكم النيسابوري

الدر المنثور في التفسير بالمأثور .... لجلال الدين السيوطي

الملل والنحل .... للشهرستاني

المسند .... للامام أحمد بن حنبل

المعجم الأوسط .... للطبراني

الفصول المهمة .... لابن الصبّاغ المالكي

النص والاجتهاد .... للامام شرف الدين العاملي

الفتوحات الاسلامية .... لاحمد بن زيني دحلان

المستطرف في كلّ فن مستظرف .... لشهاب الدين الأبشيهي
الإمامة والسياسة .... لابن قتيبة
الإشاعة لأشراط الساعة ....
النصايح الكافية لمن يتولى معاوية .... للسيد محمد بن عقيل
الموطأ .... للامام مالك
الأربعين .... للفخر الرازي
الصواعق المحرقة .... لابن حجر الهيثمي ط مصر
الأذكياء .... لابن الجوزي
العرائس .... للثعلبي
الحجة .... للمقدسي
الموفقيات .... للشاطبي
الكنى والألقاب .... للدولالي
البيان والتبيين .... للجاحظ
المواعظ .... للعسكري
اصول تفسير ابن تيميّة ....
التذكرة .... للذهبي
السياسة الشرعية .... لابن تيميّة
بداية المجتهد ....
بهجة النفوس ....
بين يدي عمر .... خالد محمد لخالد
تاريخ ابن خلكان ....

تاريخ الكامل .... لابن الأثير

تاريخ القرماني ....

تاريخ التمدن الاسلامي .... لجرجي زيدان

تاريخ الخلفاء .... لجلال الدين السيوطي

تاريخ ابن خلدون

تيسر الوصول .... لابن الديبع

تاج العروس .... للزبيدي

تاريخ أبي الفدا ....

تاريخ بغداد .... للخطيب البغدادي

تفسير الفخر الرازي ....

تفسير القرطبي ....

تفسير ابن كثير ....

تفسير الشوكاني ....

تفسير الكشاف .... للزمخشري

تفسير جامع البيان .... لأبي جعفر الطبري

تفسير روح المعاني .... للآلوسي

جامع مسانيد أبي حنيفة ....

جمع الجوامع .... للسيوطي

جامع بيان العلم ....

حياة الصحابة .... للكاندهلوي

حياة الحيوان .... للدميري

حاشية سنن البيهقي ....
ذخائر العقبى .... للمحب الطبري
ربّ العلم والسيف .... لرودلف الآلماني
ربيع الأبرار .... للزمخشري
زاد المعاد .... لابن القيّم
سيرة عمر .... لابن الجوزي
سنن البيهقي ....
سنن النسائي ....
سنن ابن ماجة القزويني ....
سنن أبي داود ....
شرح الموطأ .... للزرقاني
شرح المذاهب .... للزرقاني
شرح صحيح البخاري .... للقسطلاني
شرح نهج البلاغة .... لابن أبي الحديد
شذرات الذهب ....
صحيح البخاري ....
صحيح مسلم ....
صبح الأعشي .... للقلقشندي
عمدة القاري .... للعيني
عبقرية عمر .... لخالد محمد صالح
فتح القدير .... للمناوي

فتح الباري في شرح صحيح البخاري .... للدارمي

فتح الباري .... لابن حجر

فضائل القرآن .... لابن الضرّيس

فتوح البلدان .... للبلاذري

كنز العمال .... للدهلوي

كشف الظنون .... للشيخ خليفه

كتاب الاحتجاج .... للطبرسي

لسان العرب .... لابن منظور الإفريقي

مشكاة المصابيح ....

مصباح الظلام .... للجرواني

معجم البلدان .... لياقوت الحموي

مصباح الظلام .... للدمياطي

مطالب السؤل ....

مصابيح السنة .... للبغوي

نهج البلاغة .... للامام علي (ع)

مجلة الأزهر .... لإدارة الجامع الأزهر

مختصر جامع العلم .... لابن عبدالبرّ

مناقب .... للخوارزمي

مجمع الزوائد .... للهيثمي

نور الأبصار .... للشبلنجي

نزهة المجالس .... للصفوري

فهرس مواضيع الكتاب

فهرس مواضيع الكتاب

فهرس مواضيع الكتاب ٣٣٥

❊ ❊ ❊

الدكتور
جواد جعفر الخليلي

السَّقيفَةُ أمُّ الْفِتَنْ

(منها خرجت الفتنه و إليها تعود)

تقديم

السَّيد مُرتَضى الرّضوي
صاحب كتاب مع رجال الفكر في القاهرة
وعضو رابطة الادب الحديث بالقاهرة

الارشاد للطباعة والنشر
بيروت - لندن